

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

محمود السعدني



حمار من الشرق



محمود السعدني

حمار من الشرق

كتاب اليوم

أسسه
مصطفى أمين وعلي أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الادارة
ابراهيم سعده

العدد ٣٢٤ — محرم ١٤١٢ هـ — اغسطس ١٩٩١ م
أب

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط
تلكس دولى ٩٢٢١٥ - محلى ٩٢٢٨٢

الاشـــــتراكات

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوى ١٦ جنيه مصرى

[illegible]

دول اتحـاد البريد العربى والافريقى ١٥ دولار امريكى اوما يعادله
باقى دول العالم واوربا والامريكتين وآسيا واستراليا ٢٠ دولار امريكى اوما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
● ترسل القيمة الى الاشتراكات ١٢ ش الصحافة القاهرة ت ٧٥٨٨٤٤ (٥ خطوط)

اسعار كتاب اليوم

المغرب	٢٠	درهم
لبنان	٧٥٠	ليرة
الاردن	٧٥٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	٧٠٠	فلس
السعودية	٧	ريالات
السودان	١٥٠٠	قرش

فى الخارج

ايطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فلورن
اليونان	١٠٠	روبية
النمسا	٤٠	فرنك
الدنمارك	١٥	دراخمة
السويد	١٥	شلن
الهند	٣٥٠	كرونة

تونس	١٢٥٠	مليما	سلطنة عمان	٧٠٠	بيسة	الامارات	٨	درهم	كندا امريكا	٣٠٠	سنت
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما	غـزة	١٠٠	سنت	قطر	٨	ريالات	البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
سوريا	٣٠	ل.س	ع اليمنية	٣٣	ريال	انجلترا	١٢٥	بنى	جنوب افريقيا	٣٥٠	سنتا
الحبشة	٦٠٠	سنت	نيوزيلندا	٨٠	بنى	فرنسا	١٠	فرنك	نيجيريا	٤٠٠	سنت
البحرين	٨٥٠	فلس	السنغال	٦٠	فرنك	المانيا	٥	مارك	استراليا	٤٠٠	سنت

● الغلاف محمد عفت

● الرسوم الداخلية : محمد عمر

سبحان الذى أعطى !



أول مرة جئت فيها الى باريس ، تصورت انى قادم الى الفردوس . الشوارع من البلور ، والأرض من الزجاج وحيطان البيوت من ذهب ، والحدائق من شجر الجنة ، وتصورت النساء من جنس آخر ، الجلد زبدة ، والدم قشطة ، والكلام نغم موسيقى ، خليط من اناشيد كاهن فرعونى ، ومزامير داود ، وتراتيل سماوية للشيخ رفعت ! وتصورت نساء باريس بلا فضلات ، لأن بطونهن بلا أمعاء ، وافواههن للهمسات والقبلات ، وليس للمضغ والطحن وازدراد الفول والكبة النية !

وتصورت انى ساجد فى باريس سوقا رائجة ، فانا شرقى ، والشرق ساحر ، وانا اسمر والسمار مطلوب ، ولابد ساعثر على حورية اخر شخلعة وآخر دعدعة ، والخدود تفاح ، والشفايف عجمية والعيون فناجيل شاى ، والخصر مخنوق ومزنوق ، والصوت مبحوح ومجروح ، نسوان سبحان الذى صور والذى كور ، وسبحان الذى خلق الناس اشكالا على الوان كاسنان العبد لله ! ياقوة الله لو التقيت ببنت من عائلة فوشية او بنت من قبيلة روشيه فلابد فى فرنسا عائلات !

وحتما ولابد البنت وارثة ، ضياع تملك ، سيارات تركب ، بلاطى فرو تلبس ، فرنكات كثيرة تحوز ، والود ودى لو تعانقنا وتناغشنا ، وياسلام لو الهوا اصبح سوا فتزوجنا وتناجبنا ، وعشنا فى التبات والنبات وخلفنا صبيان وبنات ، وربما اتحول الى كونت او فونت ، وسيعوض الله صبرنا خيرا ، وساعيد المجد الذى ولى ، فانا ايضا من قبيلة كان عددها يفوق عدد سكان اوروبا ، وجدى الأول كان له شرف الاشتراك فى بناء سد مارب ، وجدى الثانى كان رئيس طاقم النجارين الذى صنع عرش بلقيس ، وجدى الرابع سار على قدميه من جزيرة العرب الى جزيرة شندويل بالصعيد غازيا فى سبيل الله ، وكان يرحمه الله يعشق اكل الفول والبصل والمخلل ، وجاءت منيته بسبب امتلاء بطنه ، ربما لاول مرة منذ ولادته !

ومن يدرى ، ربما كانت حكمة الهية اننى اشتغلت فى الصحافة واننى سافرت الى باريس ، واننى ساصير ثريا المعيا لوذعيا يشار اليه بالحذاء ! ونذر على العبد لله ان اقيم تماثيل للعائلة فى السوربون وفى ميدان الكونكورد وفى مركز الباجور منوفية !

ولكن كيف الكلام والسلام والعبد لله يعرف من الفرنسية مقدار ما تعرفه امى من اداب اللغة اليابانية ! واول الحب كلمة ، وطريق الحب الملاغية ، وعلى رأى الشاعر العربى الحب همسة ثم لمسة ثم موعد فلقاء فكلام فغرام فمأذون فزواج ثم الذى منه !

وانا فى الهمس ولا عصفور من عصافير الكناريا وفى اللمس ولا نشال فى الموسكى ، وفى اللقاء ولا عزرائيل الموت ، وانا فى الكلام اعوذ بالله فى العربى بربند فى الفرنسلوى انا ابكم ، ولكن من قال أن الكلام ضرورى والحكلوى لازمة ! وعمنا شارلى شابلن مثلا ادهش العالم بلا كلام ،

واشتهر بدون حاجة الى استعمال اللسان ، وانا فى اللغة الصامتة ولا محمد على كلاى فى الوزن الثقيل ، وأحد جدودى كان من مواليد قرية الصامتة محافظة اسيوط ! وانا اصلح استاذا لاداب اللغة الصامتة فى جامعة باريس .

ولكن المشكلة ، هل استعمل الصامتة الفصحى ام الصامتة العامية ؟ ولو اننى استعملت الصامتة الفصحى ، فنهار ابويا ازرق عند الدكتور لويس عوض ، ولو استعملت الصامتة العامية ، فنهار ابويا اسود عند المجمع اللغوى .

وانقذنى من حيرتى مرور بنت لهلوبة ولا ارنب برى ، شعنونة ولا قنفد فى برارى البصرة . بنت متحركة متكركرة متشنكرة ، واتفضلى شاى ، لا متشكر ! وغمزت لها بعينى فلم تستجب ، مسحت بيدى على صلعة راسى من باب التحية والسلام ، فساقت التقل على العبد لله ، وتصنعت الدلال ، وتقصعت ذات اليمين وذات الشمال ، ثم دارت ثم لفت ، ثم افلتت ، ثم ادبرت ، ثم اقبلت اخر حلاوة واخر انسجام !

وانتهزت الفرصة فغمزت وهرشت ، واذا بالبنت الفرنسلوية تطب فى غرام دباديب العبد لله ! ودنت واقتربت وسالتنى فى دلال ، هل انت مريض يامسكين ياعدمان ؟

قلت حاشا لله وما بى الا مرض حمى حبك ، وحرارة الشوق الى قربك .

قالت : ولكنك تكسر عينك وهذا دليل مرض العين ، وتهرش راسك ، وهذا دليل على وجود قملة فى شعرك !

قلت للست الغندورة الكركورة : اما الرمد ، فاعوذ بالله ، اما القمل فموجود فى الشعر وبكثرة ، وهو تراث فى العائلة منذ العصر القملى الاول ، ولكنى غمزت لك من باب الغرام ، وهرشت من باب التحية والسلام .

قالت : اذن أنت عاشق ولهان ؟ قلت : وواقع لشوشتى فى بحر الغرام .

وجرتنى البنت من يدى جرة قوية ، فوقعت على الفسقية ! وصرخت : ايها الشرقى الطيب .

قلت : عفوا ياسيدتى ، انا لست من الشرقية ، بل من مركز الباجور

منوفية ومن قرية بهناس بالذات . وهي شيء مختف عن بهناس البلد ، وبهنلس المحطة ! ثم أنا لست من النوع الطيب أو المكسور ، ولكني فحل منوفي على كيفك ، في العراك وفي الهراش انفع ، وعلى حلقات الغرام محسوبك ولا تليسون على حلقات الملاكمة !

وسحبتني البنت الحلوة وعكمتني كشرطي علكم واحد صايع تحرى ، وقالت : بنا ايها الغلبان العدمان نغزو باريس ، نغزوها من اليمين ومن الشمال ، ونغزوها من الخلف ومن الأمام ، وهتفت مسرورا مبسوطا ، من سنديس الى باريس سبحان الذي اعطى ! البنت المضروبة اللهلوبة ، اتضح للعبد لله انها تلميذة وفي السوربون تتعلم ، وتسعى للدكترة في علم الاجناس ، وتستطيع بنظرة ان تكتشف من سحنة البني آدم ، اذا كان اصله من العرعر ام من البربر ، والبنت رقيقة وقطقوطة وسمباتيك وتعشق الحياة والحب وتموت في صنف الرجال .

وسحبتني كالجاموسة الى الحي اللاتيني (كارتييه لاتان) وفي مقهى بسيط دخلنا ، وفي زاوية منعزلة جلسنا ، واكلنا صندوق بطاطس مقلي وكسرة خبز لا تصلح لسد رمق طفل من اطفال العروبة السمان .

قالت البنت الحلوة وهي تمضغ طعامها كالعصفورة الكركورة دون ان تفتح فمها ، وهي مسألة عويصة ، لأنني احيانا ارى امعاء عويس بن خالتي اذا هجم على مائدة الطعام ! ولكن هذه البنت اللهلوبة تحرك اضراسها دون ان تفتح شفتيها ، معجزة لاشك تفوق معجزة الاخوين رايت عندما انطلقا يحلقان في السماء !

المهم ، البنت نظرت في وجه العبد لله ، ثم حققت ثم دققت ثم حدقت ، ثم واصلت التحقيق والتدقيق والنظرات ، وخيل الى انها اكتشفت انني لم اغسل وجهي ذلك الصباح ، فاعتذرت لها بانني من اسرة مصرية لا يغسل افرادها وجوههم الا من مياه ترعة الزمر التي تتهادى بالقرب من الاهرام ! ولهذا فان اغلب افراد عائلتي وجوههم لا يمسها الماء ، والسبب ان مياه ترعة الزمر جفت منذ الاسرة الفرعونية الرابعة ، ولم يعد فيها الا طين وضفادع وبقايا أعشاب !

وتجاوزت البنت الحلوة المضروبة تفسيري المادي الجدلي لتاريخ الاسرة ، ثم صرخت صرخة مدوية وقالت : انت نادر ايها الانسان .

قلت وانا شديد التعجب : انا نادر ؟ من قال هذا الكلام ؟ انني من عائلة تجيد عملية النسل وبوفرة ، وستجدين في كل بلد عربي عشرات من قبيلة السعدني ، بعضهم في الوظائف وبعضهم صياع ، وبعضهم عنده فلوس وبعضهم عنده برد ، وبعضهم يقيم في الفنادق وبعضهم يقيم في السجون ، ومن طنجة الى صنعاء ، ولهذا مدحنا الشاعر العربي الاموى بهذا البيت المشهور جدا (اكتسبتم شرفا على شرف بنو سعدان) وكان يقصد اننا بهذا الانتشار الخرافي على الأرض العربية ، قد حققنا الوحدة دون الانتظار لاعلانها رسميا من جانب الحكومات !

اما الشرف الثاني الذى اكتسبناه فهو هذا التنوع الكمي والكيفي لافراد العائلة ، فمنهم عساكر شرطة وموظفو ضرائب وقضاة محاكم ونشالون وقطاع طرق ، وهذا يعني ان العائلة تمثل تحالف قوى الشعب العامل ، فالكل يعمل ويسعى على رزقه حسب التساهيل والاحوال ، ومن حق عائلتي الان ان يكون لها منبر او تنظيم أو حزب ، لا شيء يهم على راى احسان عبدالقدوس .

وصرخت البنت الحلوة وقالت : عظام وجهك ايها الرجل .

قلت : ما لها عظام وجهي ؟ اذا كانت هناك بعض الانتفاخات او بعض النتوءات فهذه من اثار المعارك الشهيرة التي خضتها دفاعا عن حرية الراى ضد بعض اصحاب المطاعم الجشعين الذين يصرون على تحصيل ثمن وجبات الطعام !

وتاوهت البنت الغندورة وقالت : انا ادرس السلالات وعلم الاجناس ، وعظام وجهك تؤكد انك ربما كنت الرجل الوحيد الباقي من العصر الحميرى !!

وطق شرار الغضب من عيني وقلت في ثورة حقيقية ، العصر الحميرى ؟

قالت : نعم ، انت بالطبع سمعت عن العصر الجليدى والعصر الحديدى ، هناك ايضا العصر الحميرى ، حين كان الانسان والحمار سواء بسواء ، ورغم ان علماء الارض نقبوا كل شبر وفتشوا كل ركن ، وقلبوا الارض والرمل ومياه المحيطات ، الا انهم فشلوا في العثور على جثة واحدة من العصر الحميرى ، ثم ها هي الصدفة السعيدة تسوق في طريقي بجثة حية ونموذج متحرك من بقايا العصر الذى ضاع ...

وانفشخ فمي عن ابتسامة تهكمية عميقة ، وقلت عيبكم ايها الفرنسيون انكم تدمنون القراءة ، ولكنكم لا تنظرون في الواقع الموجود في الحياة ، الشخص منكم يتناول افطاره وعينه على سطور الجريدة ، ويده شغالة على ودنة من الطبق الى فمه ، واحيانا من الطبق الى منخاره .

وسر الابدية اننا دائمو التحديق اما تحت واما فوق ! بعضنا ينظر تحت قدميه في الطريق ليقرا قصة الحياة مكتوبة على الاسفلت ، او بحثا عن فرنك سقط من جيب مثقوب ، او عقب سيجارة لم تاكله النار الوالعة ، وبعضنا ينظر فوق بحثا عن القوة الاعظم طالبا منا في ادب عظيم عشا الغلابة عليك يا رب !

وتجاوزت البنت المضروبة فلسفتي وسنكحلتي وقالت : اسنانك ايها الرجل اللقطة . قلت : ومالها اسناني هي الاخرى ؟ ! اذا كنت تقصدين السوس الذى ينخر فيها ، فهذا بسبب قفزى المستمر من صنف السجاير الى آخر ، وانا تعلمت من البداية على السجاير الهلب ، ثم قفزت فجاة الى الكنت والروثمان مما كان سببا في اضطراب اسناني وتهيج السوس عندي ، اما اذا كنت تقصدين . هبابها وسوادها ، فهذا بسبب تعصبي ضد الغرب ومصنوعات الغرب ، فانا لا استعمل فرشاة اسنان ، وايضا لانني لست من السلف الصالح ، فانا لا استعمل المسواك ولكني رجل عملي استخدم عيدان الكبريت ، ولما كانت صناعة الكبريت في العالم العربي قد تطورت كثيرا ، وبدلا من صنع العيدان من فروع الشجر صاروا يصنعونها من الجلة ، اقصد من روث البهائم ، اقصد ايتها الست الفرنسلوية ، من تواليت البهائم ولا مؤاخذة !

قالت وهي تدون بعض العبارات على الورق ! انيابك بالذات تؤكد نظريتي تماما ، وانك من العصر الحميرى على وجه التحديد ، ومن اكلة البرسيم !

قلت وانا اضحك على خيبة الست الفرنسوية : وهل في ذلك شك ؟ انني منذ ولدتني امي وانا نازل اكل في الملوخية والخبيزة والسبانخ ، كما اني ايضا من انصار الفجل والجرجير والكرات وكلها منتجات برسيمية !

قالت : اذن نظريتي صحيحة

قلت : بدون شك لولا حكاية العصر الحميرى ، فهي ليست على ما يرام ايتها الست الخوجلية .

قالت : اسمع ، انا متأكدة مما اقول ، نظرياتي في علم الاجناس صائبة ولا تخيب ، المهم الآن انتهاز الفرصة فانت موجود على قيد الحياة ، وانا ادرس عصرك واصلك وفصلك ، ولكن شكلك يوحي بانك ستموت عما قريب ، ولذلك يجب المحافظة عليك ، ولهذا ايضا ادعوك الآن الى بيتي ، فلابد من المحافظة عليك باى ثمن وباى وسيلة وبكل سبيل .

وقلت للست الغندورة : وهل في بيتك مستشفى وادوية وحكيم وفيتامينات تقوية وصودا وراوند لزوم انتظام الهضم وضبط الطبيعة ولامؤاخذة ؟

وردت البنت المضروبة : المسالة ليست محتاجة الى مستشفى ولا دواء ، المسالة وما فيها ، اريدك معي في البيت كي ادخل معك في الفراش . قلت : في الفراش ! كده مرة واحدة ! قالت : نعم فقلت : عظيم ولكن بشرط ، ان يكون هناك كاسات هواء لزوم ظهرى ، ولزقة امريكاني لزوم ضلوعي ، وكافور للدهان وحزام صوف كي الف به جسمي .

قالت : لا شيء من هذا كله ايها الحمار ، لا شيء على الاطلاق وكل ما هناك انني اريد منك طفلا .. !

وقلت للبنت الغندورة الكركورة : يا عيب الشوم ، تريدين الزواج مني وانا رجل ذهبت مع الحجيج الى بيت الله ثم اني متزوج من بهانة بنت الاشمر وعلى سنة الله ورسوله ، كما انني صاحب بنين وبنات ، وضحكت البنت الغندورة فخرج نور من بين اسنانها . وعزفت فرقة موسيقى وترية من حلقها . ثم كركرت وقالت : وانا فقط اريد ولدا ، ولكن لم افكر في الزواج بك .

فقلت للبنت الغندورة : يا قوة الله ، تريدين ولدا سفلحا من العبد لله ؟ وهبي اني وضعت لوحا من الثلج على ضميرى ، وعصابة سوداء على ذقني ، وقطعت تذكرة ذهاب بلا عودة لشرفي ، وانني رضخت واذعنت لمشيئتك ، وانني وهبتك ولدا ، فما هو موقفك من الجيران وكلام الناس وهل ستزعمين انه لقيط عثرت عليه عند باب باب أحد المساجد ؟ ام ستقولين انه ابن اختك المسافرة لبلاد تاكل الثعلبين ؟ ثم ولنفرض ان بوليس الآداب تحرى وشدك على سجن

الاستئناف ، ماذا سوف تقولين للقاضي وللبيه المامور والبيه السجان ؟

قوست البنت حاجبيها وقالت في اندهاش وارتعاش : ولماذا يحدث هذا ؟ الأني رزقت بغلام ؟

قلت : نعم والف نعم ، ولو حدث مثل هذا لواحدة بنت مثل حضرتكم في محافظة اسيوط لقتلوها وشربوا من دمها ، ولو حدث مثل هذا لبنت من مركز ابشواى محافظة الفيوم لقتلوها فقط .

وقالت البنت الكركورة : عندكم شيء وعندنا شيء أخر ، عندنا كل شيء ممكن وكل شيء مباح ، وفي شهادة الميلاد اكتب اسمه جون واسم ابوه لا شيء ! وتتعهده الحكومة اذا عطش واذا برد ـ واذا لا قدر الله ـ اصابته نزلة معوية من النوع الحاد ، وهو في المدرسة بالمجان وفي الجامعة اهلا وسهلا وفي العمل وكل واحد حسب الذكاوة والاجتهاد ، وقد يصبح يوما رئيسا للوزراء او رئيسا للدولة او فنانا اشهر من شارع الشانزليزيه !

قلت : يا ارحم الراحمين ارحمنا ، بلادكم بطّالة وعيشتكم حرام ، ومصيركم اسود من قرن الخروب ، واذا كانت شوارعكم مبلطة وأنواركم ملعلطة ، واتوبيساتكم خالية وعماراتكم عالية ، فغاية الامر ان الله يمهل ولا يهمل ، وغدا سيطويكم الطوفان او تاكلكم الدودة او يسلط عليكم من لا يرحم ، ولا يذر على الارض من الكافرين انسانا .

وقالت البنت اللهلوبة : ما رايك ؟

قلت : في ايه ؟

قالت : اريد منك ولدا والاحتفاظ بجنسك واجب ، وانت الحمار الوحيد الباقي من العصر الحميرى ، ولو حدث لك حادث لا قدر الله لضاعت من تاريخ البشرية حلقة هامة ولعلها من اهم الحلقات .

وقلت : على رسلك ايتها البنت الجهولة ، اذا كنت تصرين على انني من العصر الحميرى ، فالعصر الحميرى موجود الآن وبخير وكل عائلتي في مركز الباجور منوفية احياء يرزقون والخالق الناطق على هيئتي وشاكلتي ، ثم هناك مئات والوف وملايين مثلى منتشرون في الأرض .

قالت : انت تبالغ ، ولا أظن ان احدا مثلك موجود على ظهر الارض الآن . والعلماء منذ مئات السنين ينقبون الارض وينبشون القبور بحثا

عن حمار واحد من ذلك العصر ولكن دون جدوى . وها انت الآن بعظمك ولحمك وشحمك تسعى بيننا في الارض ، انني ارتجف من شدة الرعب ، واخشى الآن لن يمر عالم من العلماء فيقع بصره عليك فيستدعي البوليس ويخطفونك مني ، وربما وضعوك في متحف اللوفر او حددوا اقامتك في مستشفى سان مارك !

وقلت وانا انفخ من شدة الغيظ : يا سبحان الواحد القهار اقسم لك برأس جدي الشيخ معوض ان العصر الحميري اباه قائم ومنتصب والحركة فيه الآن على قدم وساق ، اخطفي رجلك اينتها الصبية الى اي بلد في العالم الثالث او حيث تعيش اسرتنا وستجدين الوف الحمير مثلي تاكل وتشرب وتعمل وتقبض وتسعى وتنام ، وستجدين اغلبهم على الكراسي وفي المناصب ، فمنهم زعماء ومنهم وزراء ومنهم علماء ايضا ، وهذا هو العجب العجاب .

وشهقت البنت الحلوة وقالت : علماء ؟! اصدق كل شيء الا هذا .

قلت : ما اقوله هو الصدق بعينه ، ولكي ازيدك علما اقول لك ان عدد حملة الدكتوراه في بلادنا اكثر بكثير من حملة الدكتوراه في باريس .

قالت : هل عندكم علماء في الذرة ؟

قلت : نعم ولا . نعم اذا كان المقصود هو الذرة التي هي من فصيلة الشعير والحنطة ، ولا اذا كنت تقصدين الذرة التي كانت لا تتجزأ ثم جاء اينشتاين ليثبت انها تتجزأ ، ثم جاءت المصانع فجزأتها بالفعل وجربتها على البشر في اليابان فمات نصف مليون في لحظة . هذه الذرة لا نعرفها ولا نسعى الى ذلك وان كنا في الحقيقة والتاريخ لدينا علماء في الزغطة .

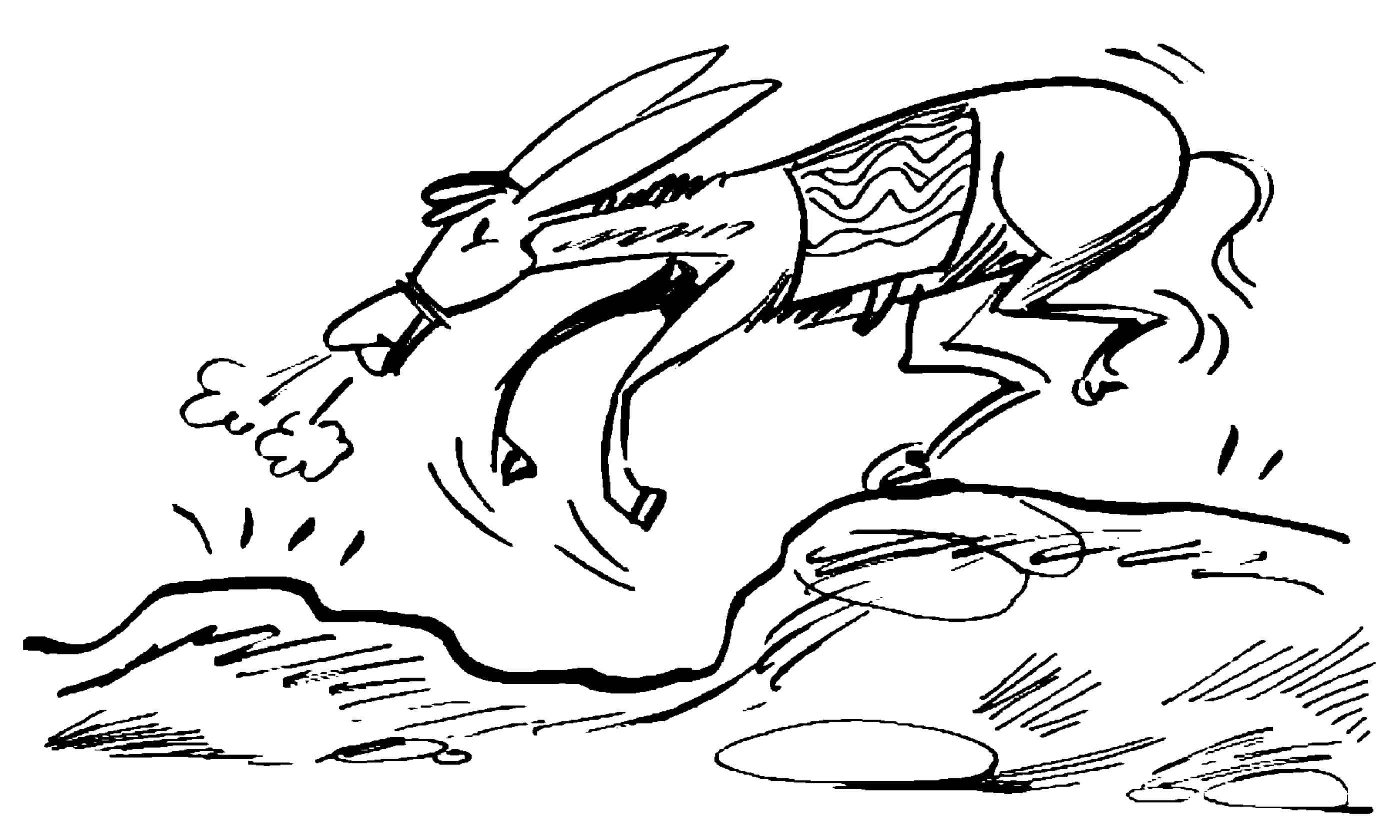
قالت : وما هي الزغطة

قلت : هذا علم فوق مستواكم . والسبب انكم تاكلون المسلوق ونحن ناكل الملفوف والمكبوس والمغموس والمعفوص ايضا .

قالت البنت وقد سرحت : يا للهول ، انكم اغرب مما كنت اتصور وهذا يدعوني الى ان اتمسك بك اكثر ، ولابد ان يكون لي منك طفل يخلد سلالتك المنقرضة ، ويحيي ذكرك الذي ينبغي ان يدوم ، انهض ايها الحمار الخالد واتبعني ، وشدتني شدة قوية فوقعت على الافريز وانكسرت ساعتي الابريز . وانطلقت بي الى حيث تعلم ولا اعلم .. !

١٩٨٩/٩/١

الكفاية والعدل .. !



وركبنا تراما تحت الارض ، تخيلوا تراما يمشى تحت الارض وفوقنا البيوت والسيارات والبنى أدمين . واندهشت البنت لدهشتى فقالت : الا تحفرون الارض فى بلادكم ؟ قلت : نعم نحفرها باستمرار ، وستجدين فى كل شارع الف حفرة وحفرة واسمها العلمى مطبات ، ولذلك ستجدين فى كل مدينة مائة الف اعرج وأعوج ! ولأنها حفريات اثرية ، فنحن نحافظ عليها بكل مانملك ، ولدينا كل المخترعات وكل المنتجات ، ولكنها فى بلادنا تختلف تماما عما هو موجود فى بلادكم .

مثلا عندنا تليفونات لا تتكلم ، وعندنا ترومايات لا تسير ، وعندنا جرائد لا تنشر ما تريد ولكنها تنشر ما يريده البيه الرقيب احيانا والبيه المعلن احيانا ، وعندنا حكومات يخدمها الجمهور ولكنها لا تخدم احدا ، وعندنا احزاب تتاجر بالكلام والبرامج والوعود . وعندنا شرطة لا تقبض على الجناة ولكن على الضحية ، وعندنا مائة الف دكتور فى العلوم والفنون والاداب وتسعون مليون امى ، وعندنا جاموس على قفا من يشيل وبقر على ودنه ومع ذلك فكيلو اللحم بثلاثمائة ليرة فى بيروت وعشرة جنيهات فى القاهرة .

قالت البنت وهى مندهشة : والجو هل هو جميل ؟

قلت حدثى عن الجو ولا حرج .. عندنا جو منور والعقل ظلام على راى عمك بيرم التونسى ، وعندنا حرارة ياخسارة برود اجسام والف مليون زلمة لكن اغنام .

قالت : جعلتنى اشتاق لرؤية بلادكم ، ما اعظم ان يعيش الانسان فى عصر منقرض ، لو رزقنى الله بطفل منك سأخذه الى موطنه الاصلى ليرى العصر على الطبيعة .

قلت ونحن جلوس معا فى شقتها اقصد فى حجرتها هل هذه الحجرة فقط هى كل ما تستاجرين ؟

قالت : بالطبع فانا لا احتاج لاكثر من هذا .. غرفة كبيرة ، حمام فى الركن ، مطبخ فى الركن الآخر ، والسرير هناك ومقعدان لزوم الجلوس والمسامرة .

قلت : وكلكم كذلك ؟ قالت : بالطبع ، باريس مكتظة بالناس ، وكل فرد ولابد ان يكون له مسكن .. سالتها : لابد ؟ قالت : بالطبع لابد والف بد . هتفت من شدة السخط : يا سبحان الله ! انتم ايها الخواجات تصنعون قوانين أنزل الله بها من سلطان . عندنا فى العصر الحميرى فرد واحد يسكن فى قصر وعشرة يسكنون فى حجرة . وفى الحجرة الواحدة زوج وزوجة واولاد ، وسعداء الحظ الذين لا يملكون حجرة ، امامهم الارصفة ففيها متسع للجميع ، وانت تعرفين الرصيف بالطبع ، والجو فى بلادنا حار جاف صيفا وما احلى البرطعة على الرصيف فى ليالى الصيف .

وقالت البنت : ما احلى النوم على الرصيف فهؤلاء يستمتعون بحريتهم اكثر بالارض من تحتهم والسماء من فوقهم فلا جدران ولا سقف هل هم الهيبون ؟

قلت : هم رصيفيون وهم سبقوا الهيبيين بكثير ، الفرق الوحيد ان جماعة الرصيفيين فعلوا ذلك رغما عنهم ، بينما الهيبيون فعلوا ذلك بمزاجهم ولكن الوسائل واحدة الأسمال البالية والسجاير المعطرة والفلس الدائم وفقدان الوعى وعدم المشاركة فى اى شىء ، كما ان النتيجة واحدة الضياع ولا شىء الا الضياع .

قالت : هم فلاسفة اذن ؟

قلت : فى بلادنا نطلق عليهم لقب مفالسة ومفردها مفلس ومصدرها افلاس !

قالت : اذن كلكم فى بلادكم تستمتعون بهذه الحرية كلكم احرار ، يا للحظ السعيد .

قلت : للأسف لسنا جميعا ولكن البعض منا فقط لأن النوم على الرصيف يحتاج الى عضلات لكى تدافع عن رصيفك ، ويحتاج الى نقود لرشوة عسكرى الدرك .

قالت : عسكرى الدرك ؟ وما هو عسكرى الدرك ؟ قلت ، اختراع حميرى ربما لم تصلوا اليه بعد ، ففى كل شارع فى بلادنا عسكرى درك مهمته حماية اصحاب المساكن من اصحاب الرصيف ولكنه فقد الاهتمام بوظيفته مع مرور الزمن وتفرغ لبيع الرصيف لمن يرغب من المفالسة .

سالتنى : طيب والذين يرفضون الدفع ؟

قلت : هؤلاء انسحبوا فى هدوء الى المقابر .

قالت : ماتوا ؟

قلت : بل هم احياء يرزقون ولكنهم ذهبوا وسكنوا المقابر .

قالت : مع الموتى ؟

قلت بالضبط ، الأم تطبخ طعامها فوق شاهد المقبرة ، ويموت الشخص الذى يسكن المقبرة فينزل عدة درجات ليستقر تحتها !

قالت : ما اعمق حكمتكم وما اعظمكم من حكماء ، الغيتم الموت عندما سكنتم مع الموتى ، ارجوك لا تصرح بهذه الاسرار لأحد غيرى سأهز العالم عندما اصدر كتابى عن العصر الحميرى ، ساحدث

تحولا فى العالم اخطر بكثير من التحول الذى أحدثه انشتين بنظرية النسبية وسأدخل التاريخ بنظرية الحميرية !

قلت للبنت الجهولة : دخلنا مرة اخرى فى النظريات بينما انا اتكلم عن حقائق موجود بينك بينها ساعتان بالطائرة الى المغرب العربى واربع ساعات الى ليبيا وسبع ساعات الى الخليج .. هل تسمعين بالفجيرة ؟

قالت : فواجرا ؟ تقصد كبد الاوز البرى .

قلت : انا لااقصد الفواجرا اقصد الفجيرة على شاطىء الخليج .

قالت : ومالذا ؟

قلت : بها كل متناقضات العصر تجسدت وتبلورت على ارضها فيها الف مواطن ومائة مليون دولار ميزانية كل عام .

قالت : لابد انهم اثرياء وسعداء .

قلت : بل هم اثرياء وتعساء .

قالت : كيف ؟

قلت : عندهم فلوس وليس عندهم مجتمع ، ولديهم راسمال ولكن ليس لديهم ادوات انتاج ، ورغم المال والغنى فلديهم فقراء ولا فقراء الهند .

قالت : وهل انت من الفجيرة ؟

قلت : لا ، انا من الفقيرة اقصد من دميرة .

قالت : وهل دميرة اسعد من فجيرة ؟

قلت : ليست اسعد ولا اسوا ولكن الفجيرة فيها غنى وفيها فقر ، بينما الدميرة فيها فقر وفيها افقر . ومركز دميرة مساحته اكبر من مساحة الفجيرة عشر مرات ومع ذلك فعلى راسه عمدة ياكل يوما ويصوم عدة ايام ، ويلبس مرة ويتعرى عدة مرات

قالت : ولماذا لا يأخذ معونة من الفجيرة ؟

قلت : وكيف ياخذها وهو لا يستطيع السفر الى هناك ، لأن السفر الى هناك يحتاج الى تاشيرة والى كفيل وحتى عندما يأتى اهل الفجيرة الى بلادنا لا يذهبون الى مركز دميرة ولكنهم يذهبون الى ملهى البجعة وكازينو الليل ! قالت : الليل ؟ ذكرتنى بالليل وما فى الليل ، فهيا ننعم بالليل وما فى الليل ايها الحمار الطيب .

وفى الليل قالت : ما مكان بلدكم على الخريطة ؟ قلت : لا مكان لها على الاطلاق فهى موجودة وغير موجودة واهلها احياء وغير احياء واهلها جميعا من ابناء العصر الحميرى كما يحلو لحضرتك ان تطلقي عليه . قالت : غريبة ! لم أكن أعلم ان هنك بلادا من العصر الحميرى لا تزال تحيا فى القرن العشرين .

قلت : ومن قال لك انها تحيا فى القرن العشرين ؟ ربما تكون فى القرن العشرين قبل الميلاد ، وربما تكون فى القرن العشرين قبل التاريخ ، وقبل الجغرافيا وقبل علوم الجبر والحساب ومع ذلك فالأحوال ليست سيئة الى هذا الحد والامور ليست متدهورة الى هذه الدرجة ، والحياة ليست هكذا ظلاما فى ظلام كما كانت الدنيا فى البدء .

قالت : اذن لديكم نقط مضيئة وانجازات رائعة ؟ قلت : بالطبع .

قالت : حدثني عنها ارجوك فلابد ان انجازاتكم الحميرية فاقت كل وصف .

قلت : عندنا اختراعات لا اظن ان مثلها عندكم ولا أظن أنكم سترون مثلها عما قريب .

قالت : اضرب مثلا . قلت : لقد حدثتك من قبل عن اختراع عسكرى الدرك الذى كانت مهمته فى الاصل حماية اصحاب المساكن من اصحاب الارصفة ثم نسى المهمة فتفرغ لبيع الارصفة . وعندنا اختراع اخر اسمه المخبر ، وهو جدع طويل وعريض كف يده مثل المطرقة اذا لكش به رجلا على قفاه انكفا الرجل على وجهه ، واذا لكشه على وجهه انكفا الرجل على قفاه ، انه التجسيد الحى لشعار الكفاية والعدل . يكفيه على وجهه وهذه هى الكفاية .. ويعدله على قفاه وهذا هو العدل ! ومهمته السعى فى الليل يجوس خلال الديار يعكم كل من يلقاه فى الطريق خصوصا اذا كان من النوع المتقمل او المتامل .. فالأول جربان والثانى سرحان . ثم هو حريص على ان يعكم اى امراة فى الطريق بعد العاشرة مساء حتى لو كانت فى طريقها لشراء دواء لابنها المصدور أو رغيف لابنها الجائع فالشرف فضلوه على الادب والادب فضلوه على العلم والأمن فضلوه على الجميع !

وهو فى آخر الليل يسحب صيدة عيال يمارسون اعمالا حرة .

ورجالا بلا عمل واعمالا بلا امل وافندية بلا نفوذ او فلوس ويربط الجميع في حبل تعبيرا عن اتحاد قوى الشعب العاطل ثم يسحب الجميع الى الحجز ، هل تعرفين الحجز .

قالت : بالطبع انا اعرف الحجز ، اذا كنت مسافرا فلابد ان تحجز مكانا ، واذا اردت ان تدخل المسرح فلابد ان تحجز مقعدك قبلها بعده ايام .

قلت : لا ليس هذا هو الحجز في بلادنا ، الحجز في بلادنا شيء مختلف ، الحجز في بلادنا غرفة بلا باب ولا شبك عارية تماما ارضيتها اسفلت وحيطانها زفت وفي كل ركن جيش من الاكلان وهو يشرب دم البني آدم ولا يشبع ويأكل لحمه ولا يبشم . وفي هذا الحجز يمكن لأي عسكري شرطة ان يلقي اى مواطن عددا من الايام مع اننا جميعا ابناء العصر الحميري من المحيط الى الخليج نعيش في ظل سيادة الاخ العزيز القانون !

قالت البنت وهي تتلوى : ولكن كيف تسير الأمور هكذا وعندكم قانون ؟

قلت : لا باس ، ففي بلادنا كل شيء ممكن وكل شيء جائز وكل شيء معقول . والحجز موجود والقانون موجود وبينهما نعايش سلمي ! وهما يسيران على خطين متوازيين ولن يلتقيا .. القانون في الشرق والحجز في الغرب والناس في بلادى لا تغضب ولا تاسف ولا اعتراض لديهم ولا مانع . فكل ما خلق الله له حكمة حتى السجن والظلمة والكي بالنار .

قالت وقد بدا الحزن عليها : اذن الحجز هو السجن ؟

قلت : بالعكس السجن شيء والحجز شيء اخر ، فالسجن من اختراعاتكم لان السجن اختراع حضارى ، فالسجان مسئول عن طعام المسجون وعن علاجه وعن حياته وعن يوم محدد لاطلاق سراحه . ولكن الحجز اختراع حميرى فلا اكل ولا كساء ولا علاج ولا افراج ايضا الا اذا رق قلب حضرة البيه المأمور والبيه الضابط والبيه المخبر .

قالت وقد بدا عليها الاسف : طيب واذا لم ترق هذه القلوب جميعا وملت الرجل المسكين في الحجز ؟

قلت : « لا حاجة الله جاب الله خد ، والموت حق وهو مكتوب على الجبين ولكل اجل كتاب والذى يموت فى الحجز كالذى يموت فى الوجد . كلاهما مات عندما تلقى استدعاء من السماء . فلا العشق مسئول ولا حضرة الضابط مسئول فاقدارنا بيد السماء القاسية يانهر البنفسج على رأى عمنا زكريا الحجلوى طيب الله ثراه .
قالت : وهل مات زكريا الحجلوى ؟
قلت : البقية فى حياتك .
قالت : وهل مات فى الحجز ؟
قلت : بل مات فى الدوحة وبعد ان داخ السبع دوخات .
وبدا عليها انها لم تفهم وان كان الحزن قد بدأ على وجهها بشكل اوضح فقلت لها : لا تحزنى على عمك زكريا لأن الموت عندنا غير الموت عندكم . فاذا كان الموت عندكم هو نهاية لحياة هى فى الاصل جميلة ولذيذة . فالموت عندنا هو خلاص من حياة هى فى الواقع تاديب وتهذيب واصلاح ولذلك لم نحزن لموت عمك زكريا الحجلوى لان الميت ما اسعد حظه والحى يا اسفى عليه !

● ● ●

تمطت البنت ثم تنهدت ثم عطست ثم كحت ثم قالت فى صوت مبحوح مسلوخ : يا لك من شقى جعلتنى اسرح خلفك فى القرون السحيقة واخذتنى من يدى فى جولة رهيبة عبر دروب مدن دالت وشوارع اندثرت . اجلستنى مع اصناف من البشر انقرضت ولكنك على أى حال اشهد لك بان روحك خفيفة ودمك اخف من روحك وعقلك اخف من الجميع .
قلت للخوجاية الدلوعة : كلامك معقول وقولك مقبول لولا انى اختلف معك فى شىء واحد فانا بالفعل روحى خفيفة ودمى أخف ولكن عقلى خف وشف حتى اختفى تماما وصار بلا وجود . والحق ان عقلى معذور يا حضرة البنت الحلوة لأن الامور فى العصر الحميرى تجعل العقول تختفى وتزول . وقالت البنت مستنكرة ولماذا ؟ انت حمار وتعيش فى العصر الحميرى فلماذا الغضب والاحتجاج ؟
قلت : هذا صحيح يا ايتها البنت الفرنسلوية ولكن الامر المحير اننى مادمت حمارا والكل حمير والعصر أيضا حميرى فلماذا يكون

بيننا المدير وبيننا الوزير ومنا السفير ومنا الفقير ومنا الثرى الامثل والفقير الاحول وفينا المحتاج ومدير الانتاج ؟ هل دخلت يوما حظيرة حمير فوجدت احدهم لا يجد تبنا والاخر يبعثر تبنا وشعيرا على صنف الاتان وهى انثى الحمار ؟ هل وجدت حمارا صاحب عمارة وكل السكان حمير ؟ هل رايت حمارا مسجونا وحمارا سجانا فى أى اسطبل او فى اى موقف حمير ؟

سرحت البنت وهمست : يا للاعاجيب ، ان ما تقوله صحيح لم اشهد فى حياتى حمارا يركب او يامر حمارا ولكن الحمير فى الهوى حمير وكلامك هذا يجرنا الى سؤال آخر هل لديكم قضاء كما لدى الآخرين ؟

قلت : ياسيدتى كل شىء موجود وكل شىء حاضر واذا كان لديكم قضاء فلدينا قضاء وقدر . واذا كان لديكم حكومات فلدينا عكومات مهمتها عكم كل حمار ينهق فى وجهها او يرفس فى ظهرها ! ثم لدينا اختراع حكومي لا اظن ان احدا قد توصل اليه . ففى بلادنا لا تسال الحكومة المواطن كيف يحيا وليس لديها اى اهتمام بالحمار المواطن مادام يعيش . ولكن اذا مات أى حمار جربان او عدمان نشطت جميع اجهزة الحكومة تسال وتدقق وتفتش وتحقق لتعرف كيف نفق الحمار وسيحضر على الفور مفتش الصحة وضابط المباحث وعشرة من المخبرين الكرام .

سالتنى البنت : وما السبب ؟

قلت : لان المواطنين الحمير فى بلادنا كلهم متهم حتى تثبت ادانته .

وقالت : عندنا موجود ايضا مع فارق بسيط هو ان المتهم برىء حتى تثبت ادانته .

قلت : نعم اعلم ذلك ولكن هذا مبدأ لا يصلح للمجتمع الحميرى .

قالت : وعلى ذلك فالحياة قاسية والمعيشة لا تطاق ؟

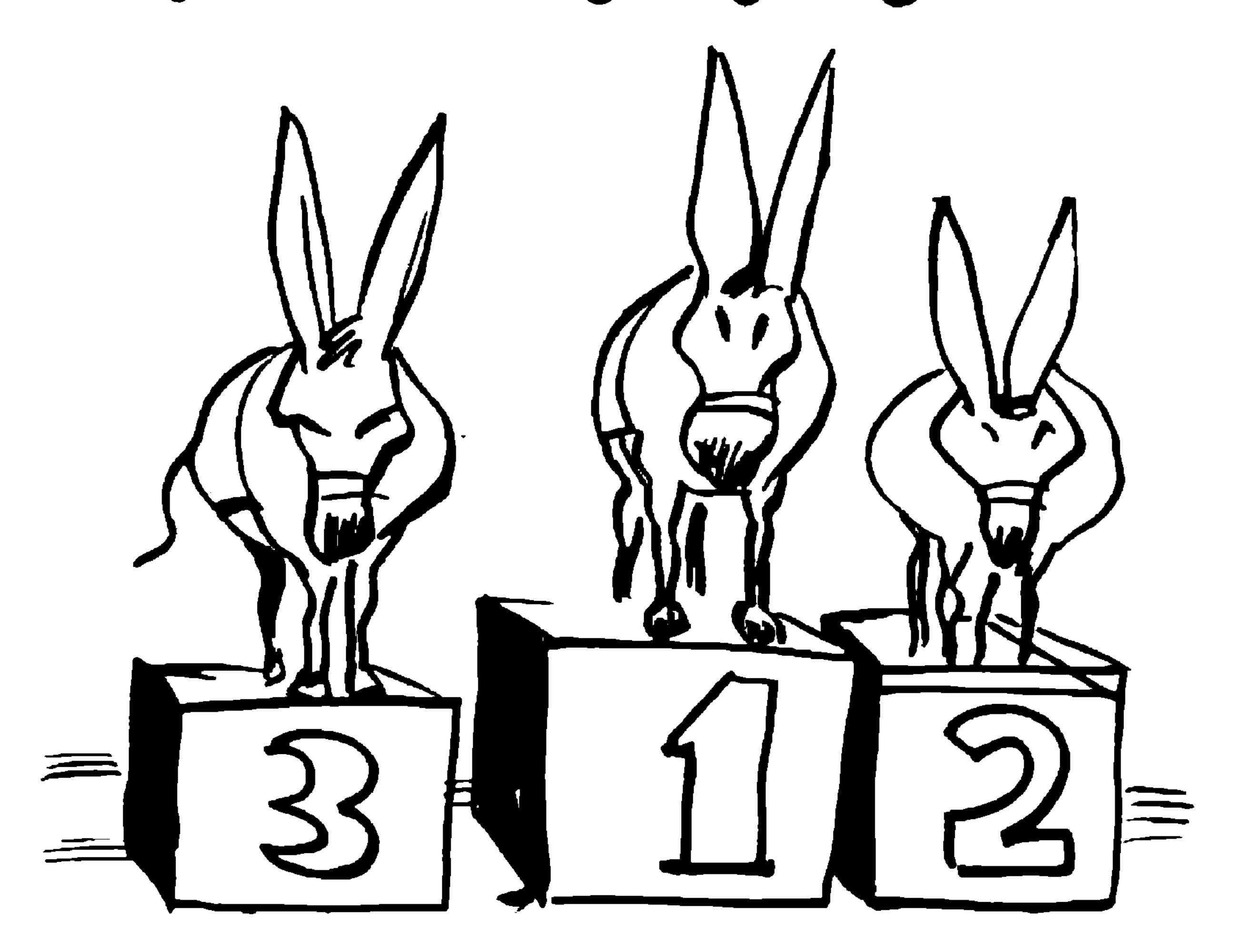
قلت : بالعكس فالحياة اخر سبهللة واخر صهللة . فالناس تتكاثر كالذبان وتتوالد كالدود عن طريق الانقسام . والشمس مرعرعة والسماء صافية والجو آخر حلاوة وآخر طلاوة والناس اخر رضا وآخر انسجام واللى مكتوب على الجبين ياقلبى لازم تشوفه العين .

قالت : اذن فانتم مبسوطون مسرورون واخر مزاج وانشكاح .
قلت : تمام .
قالت : هذا اذن يثبت انكم انقياء . لم تخالط دماءكم اية عناصر غريبة فلا هكسوس ولا تتار ولا فرس ولا رومان ولا اتراك ولا جريج استطاعوا التاثير فيكم .
قلت : بالعكس بل نحن الذين اثرنا فيهم وكانوا ياتون الينا فى البداية مختلفين تماما ولكنهم فى النهاية يخرجون حميرا باذن الله .
قالت : لو صح كلامك لصار هذا كشفا تاريخيا عظيما . قلت : هناك مثل واضح يثبت صحة ما اقول . عندك الاتراك مثلا . عندما جاءوا الينا بقيادة عمك سليم كانوا اقوى ناس فى الارض واعظم صنف بشر على وجه البسيطة وعندما خرجوا من عندنا كانوا الرجل المريض فى اوروبا والرجل الميت فى اسيا والرجل المتسول فى بلاد الحمير .
قالت : وما السبب ؟
قلت : السبب نحن .. ينظر الينا الاخرون فيعجبون ثم يتحول الاعجاب الى حب والحب الى هيام والهيام الى عشق ثم يقلدون ثم يتصورون انهم حمير مثلنا ، ولكنهم يفشلون لأن الحمورية وقف علينا ، ولأنهم حمير تقليد بينما نحن الاصل .
قالت : بعدما استمعت وانكشعت : اعتقد اننى الآن استطيع ان انال درجة الدكتوراه بامتياز لو اننى قدمت هذه المعلومات الى جامعة السوربون .
قلت : ولكنى لم انته بعد من سرد العصر الحميرى السابع .
قالت : اذن عندك امثلة اخرى يا حمارى العزيز .
قلت : العلة ابلغ الامثلة واعمقها لانه مثل معاصر .
قالت : قل ايها الحمار العبقرى .. ان هذه اول مرة ارى فيها حمارا وعبقريا فى الوقت نفسه . ولكن دعنا الآن ناخذ قسطا من الراحة لكى نعاود الحديث فى الصباح .

١ / ١٠ / ١٩٨٩

● ● ●

أعلى مراحل الاستحمار



وفى الصباح زغدتنى البنت ولكشتنى ، وتصورت لشدة حموريتى ان البنت قد اعدت للعبد لله افطارا شهيا ، ولكن البنت كانت فى العلم متشعللة ، وعلى المعرفة مستعجلة ، فصارحتنى وصدمتنى ، وقالت لا افطار ولا عشاء قبل ان أعرف كل شىء عن العصر الحميرى من الالف الى الياء ، هيا ايها الحمار العبقرى حدثنى اولا كيف تكون حمارا وعبقريا فى نفس الوقت ؟ قلت : انها صفة على اية حال ليست مكتسبة ولكنها جاءتنى بالوراثة .

فجدى الاول يرحمه الله كان حمارا واستاذا ، وجدى السابق كان حمارا وعمدة ، وجدى الاسبق كان حمارا وفلاحا ، وستى يرحمها الله كانت حمارة وعالمة .

قالت فى دهشة : ستك كانت عالمة من العلماء ؟

قلت : لا ، بل كانت عالمة من العوالم . وفى بلادنا عالمات كثيرات اشهر بكثير من مدام كورى واغنى بكثير من مدام تاتشر ، واكثر انتشارا من مدام تحب بتنكر ليه !

قالت : وهل حصلن جميعا او بعضهن على الاقل على جائزة نوبل ؟

قلت : لا ، ففى العصر الحميرى لا توجد جوائز نوبل ، ولكن هناك جائزة موبيل ، هل تعرفين العبقرى حسن الأمام ؟

قالت : للأسف لم اسمع بهذا الاسم من قبل .

قلت : هذا عبقرى من فصيلتنا ، وهو مخرج سينمائى متخصص فى افلام العوالم ، اقصد العالمات بمبه كشر وشفيقة القبطية وبنت بديعة ، الى آخر هذا الصنف من النساء اللاتى جعلن من بلادى قبلة للعين والاعيان ، واثرياء المنطقة الحميرية ، ومن طنجة الى صنعاء !

قالت : ولكن ماله حسن الامام ؟

قلت : لا شىء ، ولكنى اردت فقط ان اوضح لك الصورة لتعرفى مهنة ستى ومكانتها يرحمها الله . انها شىء مثل بديعة وشفيقة وبمبه كشر الى آخر هذا الصنف الطويل من النساء الخالدات فى التاريخ !

قالت : اذن فقد اخرج حسن الامام فيلما عن المرحومة ستك .

قلت : لا ، لم يحدث هذا ، والسبب خلاف عائلى وقع بيننا وبين المخرج .

قالت : خلاف ؟ اى نوع من الخلاف تقصد ؟

قلت : المخرج اياه من النوع الوحشى ونحن من النوع الحصاوى ، وكانت بيننا دائما خلافات عائلية وايدلوجية ، ولذلك تجاهل المرحومة ستى رغم مكانتها الكبيرة وفنها الذى ليس له نظير ! ومع ذلك فلنعد مرة اخرى الى ما كنا نتحدث فيه ، كان حديثنا عن حموريتنا واثرها فى العالمين ، واعظم وابلغ مثال هو الذى حدث

مع العظمى بريطانيا ، آخر امبراطورية شهدها عصر ما قبل البنسلين . فعندما جاءت بريطانيا العظمى الينا ، كانت عظمى بحق وحقيق ، وكان وزير المستعمرات البريطانى اذا كح فى لندن ، قال له من فى الهند يرحمك الله ، واذا تمخطرت فرقاطة واحدة فى البحر الابيض ، اغمى على كل صنف الحمير شرق البحر ، وركع على ركبتيه كل من القى السمع وهو شهيد ، ولكن مع مرور الوقت تاقلمت بريطانيا فى بلادنا وتاثرت ، وعندما خرجت من هناك كانت قد اصبحت دولة نامية ، ثم تدحرجت بعد ذلك لتصبح دولة نايمة واليوم اذهبى الى بريطانيا ستجدين بصمات حوافرنا على كل شىء هناك . الشوارع كلها مطبات ، وتليفونات السلحات كلها معطلة ، ومترو الانفاق تحول الى مقلب زبالة ، والخدمة كلها سيئة ، وكل فرد وله ماساة ، واصبحت بريطانيا العظمى قطعة من العصر الحميرى ، واصابها شره وخيره ايضا لدرجة ان البترول تدفق من ارضها ، باعتباره علامة مميزة على العصر الحميرى دون سواه ، والآن ، لو انك ركبت القطار من قلب لندن ستجدين نفسك بعد خمس ساعات فى جبل لبنان .

قالت : جبل لبنان ؟ انها المرة الاولى التى تقول فيها كلاما يدل على انك حمار !

قلت : وهل كان عندك شك فى اننى حمار ؟ لقد صارحتك من اول لحظة باننى حمار بن حمار من نسل حمار من صلب حمار ، وهل كنت تظنين اننى اخدعك عندما قلت لك اننى حمار ولى الشرف ؟ ثم هذه ولا مؤاخذة بادرة غير طيبة ستجعل صحبتنا صعبة وعشرتنا عسيرة ، والمفروض اننى اقول الصدق . خصوصا واننى لا اريد منك جزاء ولا شكورا .

قالت : معذرة ايها الحمار الاصيل ولا تؤاخذنى بما بدر منى ، ولكنك زودتها حبتين عندما قلت انه على مسافة خمس ساعات بالقطار من لندن ستجدين نفسك فى جبل لبنان .

قلت : بسيطة ، وهذا معناه ان الحمير تعرف اكثر مما يعرف صنف البنى أدميين ، وما عليك الا ان تسالينى كيف ؟

قالت : كيف ؟

قلت : قبل ان اشرح لك الرواية ، واقص عليك الحكاية ارجو ان تجاوبيني بصراحة على سؤال .. هل حدث يوما انك خطفت رجلك الى لبنان ؟

قالت لا ، لم اذهب يوما الى لبنان ولكني اعرف موقعه بالضبط على الخريطة واعرف ايضا انه يبعد عن لندن خمس ساعات بالطائرة وليس بالقطار .

قلت : عظيم وقبل ان نبدأ في الشرح ، اريد ان اوضح لك ان لبنان هذا جزء من بلادنا وقطعة من ارضنا .

احتجت البنت بشدة وقالت اسمع بقى ، انا لست طفلة لكي تضحك على عقلي بكلامك الغريب ، ولست جاهلة لكي تزيف على حقائق الجغرافيا والتاريخ ، وانك قلت من قبل انك من مركز الباجور منوفية ، فكيف تعود الآن وتدعي ان لبنان الآن بعض املاككم وجزء من اراضيكم !

قلت للبنت المحتجة : هذه هي الحقيقة ايتها البنت المثقفة ودعك من كتب التاريخ واطالس الجغرافيا ، فللعصر الحميري كتبه وخرائطه وعلومه التي لن تجديها في الجامعة ، ولكنك ستعثرين عليها في الواقع المر الاليم ، والواقع ان بلادنا كلها اسمها مركز الباجور منوفية ، نعم ، كلها من المحيط الى الخليج ، ولكن بعض الاجزاء اتخذت لنفسها اسماء حركية مثل لبنان ، سوريا ، ليبيا ، اليمن الشمالي ، اليمن الجنوبي ، قطر ، تونس ، الصومال .

قالت البنت منبهرة : ولكن لماذا تغيير الاسماء ؟ ولماذا اللجوء الى اسماء حركية ؟ وهل يخدعون انفسهم ؟ ام يخدعون الاخرين ؟

قلت : لا هذا ولا ذاك في واقع الامر ، ولكن العائلة عندما خابت تشتتت وتقسمت ، وتمزق العلم تبعنا فصار عدة اعلام ، وانقسم العمدة الذي كان راسنا وخرج من بين ضلوعه عدة ملوك وعدة رؤساء وعدة سلاطين وعدة امراء ، ولكن ما علينا ، فلم يكن هذا حديثنا على اية حال .

قالت : صحيح ، لقد كنا نتحدث عن لبنان الذي يبعد عن لندن خمس ساعات بالقطار .

قلت تمام ، ولكن قبل ذلك ينبغي ان نذهب قليلا الى لبنان فلبنان

ينقسم الى مليون لبناني ، وكل لبناني دولة قائمة بذاتها ، ودين له طقوسه ورسله ومعابده وكتبه المقدسة التي نزلت رأسا على صاحبنا هذا من السماء . ورغم القشرة الحضارية التي تبدو على سطح لبنان . ففي الجوهر المسائل تختلف ، وكل مواطن من طائفة هو ضد مواطنه من الطائفة الاخرى . هذه هي حقيقة الامور في لبنان الذى هو من اعمال مركز الباجور منوفيه . ولكن كيف يبعد لبنان خمس ساعات في القطار عن مدينة لندن ، فهذا هو بيت القصيد ، هل تعرفين القصيد ؟ قالت لا هذا شيء لا اعرفه ولا ادعيه .

قلت : انه اسم الدلع للقصيدة . وبيت القصيد هو افضل بيت شعر في القصيدة ، ونحن المواطنين من العصر الحميرى مولعون بشدة باستخدام افعل التفضيل ، فهذا البيت افضل ، وهذا الرجل اعظم وهذا اليوم اخلد ، وهذا اكرم وهذا ابخل وهذا افظع وهذا اروع وعندنا سبهللة في اطلاق الاوصاف والالقاب ، فمثلا ، ايامنا كلها خالدة ، وخطب زعمائنا كلها تاريخية ، وكل خطاب لابد ان يكون له صدى في العالمين . ولدينا اجهزة اعلام متخصصه في نشر الصدى والتعليق على الصدى ! وكلما تولى عمدة في بلادنا منصبه اصبح يوم توليه ثورة ، وعندنا ثورات بعدد شعر رؤوسنا ، ثورة الفاتح من سبتمبر ، وثورة القافل من نوفمبر ، وثورة النازل من فبراير وثورة الطالع من يناير ، وثورة ١٥ عبده وثورة ١٣ رجب ، وثورة ١٨ نيسان وثورة ٣١ امشير ، وكل ثوراتنا والحمد لله عالمية ، وكلها غيرت وجه التاريخ وغيرت معالم الجغرافيا ! وكل كتب السماء نزلت خصيصا لنا ونزلت مباشرة علينا ، ولكن لشدة حموريتنا اضفنا اليها كتبا من تاليفنا ، ووثائق من عنديتنا ، فلدينا كتاب اخضر زرعي ، وكتاب اصفر زيتي ، وكتاب ازرق بنفسجي . وهي كتب فلسفية واجتماعية وميتافيزيقية تبحث في شئون الهيلولة وفيما وراء قفا الافق ! ولكن هذا لم يكن حديثنا على اية حال ، فقد كنا نتحدث عن لبنان الذى يبعد خمس ساعات عن لندن ، وعندما اقول خمس ساعات فانا واثق ان المسافة تستغرق خمس ساعات بالتمام والكمال ، وهي ميزة من ميزات بلادكم ، ففي بلادكم ساعات وفيها عقرب للدقائق وعقرب للثواني ، ويستعملها الناس عندكم

ليضبطوا مواعيدهم ويعرفوا بها اوقاتهم ولكن بلادنا نحن تستعمل الساعات للهدايا والزينة وربما لمعرفة مواعيد الهوى والغرام ! والقطار عندنا اذا قام مثلا من محطة مركز الباجور قاصدا مركز اشمون جريس ، أو قام من محطة بغداد الى محطة الفالوجا ، او قام من محطة دمشق الى محطة حماة ، فهو يقوم بمزاجه ، ويتهادى على كيفه وهو لا يحدد وقتا لوصوله ، لأن فى التحديد تحديا للمشيئة ، وهو سيصل حسب مشيئة الرحمن ، واذا لم يصل على الاطلاق فهذه ارادة السماء ، ولذلك ستجدين على كل محطة الف حرمة فى ملابس سوداء ، جئن لتوديع المسافر من مركز الى مركز ، لأن الراكب مفقود ، والقطار نفسه مفقود ، مفقود مفقود ياولدى !

قالت البنت الناعمة : على هذا انتم تركبون الصعب فى بلاد الحمير ، تصورت انكم مادمتم حميرا حياتكم سهلة ومعيشتكم رغدة واموركم غاية فى الدماثة والتسهيل .

قلت : معك حق ياست ياغندورة ، فقد كان هذا هو المفروض ولكن تصورى حمير واشغال شاقة ، حمير ومصائب ، حمير ومتاعب ، حمير ونوائب ! هذا شىء يسد النفس ويعمى العين ويقتل الروح والفؤاد والضمير ، أو كما قال عمنا الفيلسوف ابو النصر المتعاجب ابن ابو شادوف المتالم .

قالت البنت المضروبة : ولكنك جرجرتنى وراءك بلا طائل . ودوختنى دون نتيجة ، ولقد بدات حديثك معى عن لبنان الذى يبعد عن لندن خمس ساعات بالقطار ، ولكنك ذهبت شرقا وذهبت غربا ، وتكلمت فى الذرة وفى البصل الاخضر دون أن تكشف لى عن سر لغزك أو تجيب عن السؤال الذى طال انتظارى لسماع الجواب عليه .

وقلت : على مهلك ايتها البنت الخوجاية ، فانت أولا الملومة ، وثانيا المسئولة وثالثا انت التى اكتشفت اننى من ابناء العصر الحميرى ، وكنت حتى التقيت بك لا اعرف اكثر من اننى من مركز الباجور منوفية ، والحق اقول اننى كنت فى غاية السعادة والانبساط ، وإذا كان لابد للانسان ان ينتمى الى فصيلة حيوانات ، فقد كنت اتصور اننى انتمى الى العصر الأسدى أو العصر الفيلى أو العصر الخرتيتى ، مع التجاوز والاكرام . ولكن بما انك تعرفين

اصلى وفصلى . فاعلمى ايتها الغندورة اننا فى العصر الحميرى نبدأ حديث عن الصين ونستغرق الوقت كله فى الحديث عن البرتغال ! نرفع شعارات التحرير ونوقع المعاهدات السرية للتبعية والاحتلال ، نتكلم عن الكفاح المسلح ونجعله فى واقع الأمر مجرد كفاح مشلح .. لا يزيد ! نحارب الاستعمار ، ونقبض من مخابراته ! ندعو الى العدالة الاجتماعية ونفتح بوتيكات باسماء زوجاتنا فى الحمرا وفى الشواربى وفى شارع الشيخ حمدان ! نتكلم عن الدين والحرب والكتاب المقدس ونشارك فى راسمال ملهى ليلى بشارع الاهرام أو فى الزيتونة أو فى السمج أو فى الامتداد ! انتم تسمونها حمورية ونحن نسميها كياسة وسياسة وفتح عينك تاكل ملبن ، وصلى على الواحد القهار !

قالت : ولكن الغريب مع انك حمار فانت تبدو ساخطا على ما يدور فى بلادكم وغير مستريح لما يجرى هناك .

قلت : بالعكس ، بل انا راض ومستريح وموافق ومبسوط واربعة وعشرين قيراط ، وانا واحد من الـ ٩٩٫٩٩٩ فى المائة الذين يوافقون على كل استفتاء ، وانا مجرد شاهد على العصر ارسم الصورة دون تدخل ، واحكى تفاصيل الحكاية دون موافقة او معارضة ، فهذه المشاعر ابعد ما تكون عن بالى المطمئن وضميرى المستريح .

قالت : افهم من ذلك انه لا يوجد فى بلادكم حمير فى المعارضة ؟

قلت : بل انهم اليوم لكثيرون ، عندنا معارضة بمرتب ، ومعارضة على درجة ، ومعارضة بمكافاة ، وحكوميون معارون للمعارضة ، ولدينا مناضلون يركبون المرسيدس ، ويديرون بوتيكات للملابس المستوردة ويشاركون اللصوص والحرامية والمجرمين ! وعندنا قادة منظمات مسلحة دفاتر شيكاتهم أطول من الشريط الحدودى بيننا وبين اسرائيل ! ولدينا معارضون ومهاجرون . فالذين يعارضون عمدة سوريا يقيمون فى العراق . والذين يعارضون نظام العراق يقيمون فى دوار عمدة ليبيا . والذين يرفضون قراءة الكتاب الأخضر يعيشون فى المحروسة ، والذين يعارضون المحروسة يعيشون فى لبنان ! وبعض هؤلاء هجر السياسة وتفرغ للتجارة ، ونشأت فى اماكن عديدة فى بلادنا احزاب معارضة تشتغل بأعمال الكهرباء ،

واحد من الكهرباء يدير مكتبا ثقافيا ويصدر نشرة شهرية اسمها المباحث ! ويقيم فى شقة بمليون جنيه فى بروكسل ، ويفتى كثيرا فى امور النضال والكفاح ! وكهربائى اخر من نكدة تعلقه بالقومية اسس شركات للكهربائيين العرب والميكانيكيين العرب ويسعى الآن لاصدار جريدة قومية وحدوية لجمع الشمل فيما بين الهادر والثائر ، وكله عند الحمير صابون !

قالت : انت تقصد اذن ان هؤلاء المعارضون تخلوا نهائيا عن رسالتهم وانضموا بصراحة الى حزب المهلبين والمهربين !

قلت : ابدا ، المصيبة انهم لا يزالون يعلنون فى كل مناسبة انهم من المد الثورى المتشنكر فى الحنجورى ، من اجل تعاظم قوى الشعب المتقعر فى سبيل تلاحم الشواشى العليا للبرجوازية ، من اجل جماهير الطبقات المطحونة فى طريق الشحن المتبادل على طريق الثورة المرتقبة ، من اجل قيام عالم تسوده الحلبسة والاودسة والتامين على الحياة !

قالت : ولكن نموذجا واحدا لا يعول عليه لابد انه شاذ ونشاز ومن الخوارج .

قلت : يا ايتها الست الطيبة ، لو كان نموذجا واحدا لما شغل وقتنا بالحديث عن سيادته ، ولكنهم كثير .. صحيح هناك نماذج اخرى جيدة ، ولكنها قليلة ، وهى الشذوذ الذى يثبت القاعدة . فالقاعدة هى التهليب ، والشذوذ هو العمل من اجل الثورة . وعلى كل حال انا اعرف نموذجا آخر من عائلة ثرية ، وهو نموذج تنطبق صفاته على كثيرين وهو ثرى امثل يمتلك عمارة وسيارة وله حسابات فى البنوك ، وهو حائز على جائزة عبد الناصر من موسكو ، وحائز على جائزة نكروما من السودان ، وحائز على جائزة سوكارنو من اسبانيا ، وحائز على جائزة فرانكو من اليابان ، وهو فى الرواية ينافس نجيب محفوظ ، وفى المسرح ولا توفيق الحكيم ، وفى الشعر ولا احمد شوقى ، وهو فى الثراء ولا عثمان احمد عثمان . وهو بعد ذلك وقبل ذلك شيوعى قبل ماركس ، ولينينى قبل لينين ، وناصرى قبل ظهور عبدالناصر ، وتصحيحى من مرحلة أنور السادات !

● ● ●

قالت : اذن هو رجل من انصار الحياة ومع الحياة ، يمضى حيث تمضى ويذهب حيث تذهب .

قلت : هذا صحيح وهو فى السياسة كما فى الحياة يذهب معها اينما تذهب وفى اى اتجاه ، وفى ايام عبدالناصر كان ابو الناصرية ، وفى الانفتاح كان أول المنفتحين واول المنتفعين !

قالت : اذن افهم من ذلك انكم تعانون من ازمة الكتاب الملتزمين .

قلت : بالعكس ، بل ان كتابنا ملتزمون . وهم ملتزمون بالاتجاه السائد ، وهم دعاة للخليفة الموجود ، وهم مع كل دولة حتى تسقط ، وضد كل ساقط حتى يرتفع . وهم فى النهاية ملتزمون بالمرتب والصراف والحساب المودع فى البنوك !

قالت : اذن فهم ساقطون فى نظر الرأى العام .

قلت : اى راى عام ؟ ان مركز الباجور منوفية يعيش فيه مائة وخمسون مليون نسمة ، واعظم جريدة فى مركز الباجور تبيع نصف مليون نسخة ، وهناك مائة مليون على الاقل لا يعرفون ان فى مركز الباجور جرائد ، ولم يصل الى علمهم بعد ان فى مركز الباجور ادباء ، نصف مليون فقط هو الذى يقرأ وهو الذى يكتب ، وهو الذى يحكم وهو الذى يعكم ، وهو الذى يعيش وياكل الياميش ، اما الباقون فالله يرحم الجميع !

قالت : هل نسيت ما وعدتنى به ياحمارى الصغير ؟ لقد قلت لى ان لبنان على بعد خمس ساعات بالقطار من لندن ، ولكنك سرحت شمالا ويمينا دون ان تحل هذا اللغز .

قلت : آه ، لقد نسيت ذلك فى زحمة الافكار والاخطار . الذى اقصده يا حضرة الست الخوجاية انه على بعد خمس ساعات من لندن فى القطار يوجد بلد اوروبى ، ولكنه فى الحقيقة جزء من مركز الباجور منوفية . هذا البلد هو ايرلنده ، وفى ايرلنده مسيحى بروتستانتى ومسيحى كاثوليكى ، ومع كل واحد منهم سلاح ، وفى جيب كل منهم قنبلة ، وفى يد كل منهم بندقية ، وفى صدر كل منهم حقد صليع كفران ، وانتم تزعمون انكم من أوروبا وانكم مهد النور والحضارة ، وبلاد الورد والنضارة ، ومع ذلك ففى بلادكم حرب ولا حرب جبل لبنان ، والا فما رايك فيما يجرى فى ايرلنده من حرب

اهلية ؟ وما رايك فيما يحدث فى هولنده من عنصرية ضد السود والكلاب ؟ وما رايك فيما يجرى فى بلجيكا ضد العرب والاتراك ؟ وما رايك فيما يجرى هنا فى باريس ضد المغاربة والتوانسة ؟ وما رايك فيما يجرى فى المانيا ضد كل شرقى ؟ ثم ما رايك ـ دلم فضلك ـ فيما يجرى فى اسبانيا فى الماضى القريب ايام فرانكو . وفى البرتغال ايام سالازار ؟

قالت : انا لا افهمك ، ماذا تقصد بكلامك هذا ايها الرجل الحمار ؟

قلت : اقصد بصراحة والصراحة احيانا اخت الوقاحة ، اقصد ان اوروبا نفسها جزء من مركز الباجور منوفية ، وانك اجهدت نفسك فى البحث عن العصر الحميرى مع ان العصر الحميرى موجود تحت بصرك ، وتستطيعين اكتشافه لو انك القيت نظرة بطرف عينيك ذات اليمين او ذات اليسار .

قالت : قد يكون فى كلامك بعض الصدق يا حمارى العزيز ، ولكن الناس هنا شكلهم مختلف عن اهل العصر الحميرى .

قلت : هذه هى النظرة البسيطة للامور ، اما النظرة العميقة فتكتشف ان العصر الحميرى ليس فى الشكل او ملامح الوجه او حجم الجمجمة ، وان الذى يحكم فى النهاية هو تصاريف العقل وتبعا للنيات والاعمال .

قالت : اذن فانت تقصد اننا جميعا حمير ، وكلنا نعيش فى العصر الحميرى السابع .

قلت : بل نحن نعيش فى العصر الحمير الأخير . فلا اظن ان حميرا غيرنا سيأتون من بعدنا ، كما اننى لا اعتقد ان حميرا غيرنا حتى ولو اتوا من بعدنا سيحققون ما حققناه او سيصنعون ما صنعناه ، فمن الحق ان نقول ان حموريتنا هى الاصل واننا بلغنا اعلى مراحل الاستحمار !

١٩٨٩/١١/١

●●●

لك هادا .. والشاويش حمدان .. !



قالت البنت العصفورة الكركورة : اعتقد انك تبالغ يا حمارى العزيز .. قلت : بالعكس ، بل أنا متواضع ، والحقيقة أسوا من هذا بكثير ، فمثلا ، نحن نعيش فى رقعة ارض واحدة ، ونتكلم لغة واحدة ، ونعبد الها واحدا ، ومع ذلك ، فكل عشرة امتار نحتاج الى تأشيرة دخول ، وتغيير عملة ، واقامة من دوائر الشرطة ، واحيانا نحتاج الى كفيل . قطر واحد من اقطار العصر الحميرى يسمح لأبناء العصر الحميرى بالدخول دون تاشيرة دخول ، ولكنه اذا اراد ان يخرج فعليه ان يحصل على تاشيرة خروج !

ولدينا فوق ذلك عشرات الرؤساء وعشرات الملوك ، وعشرات الامراء ، وبعض السلاطين ! ولدينا حكومات ووزراء ومئات اللوائح والقوانين ! وزمان فى بلادنا خرج رجل بسيط فقير مندهش على الدوام ، اسمه ابن بطوطة . خرج من طنجة بلاد الله لخلق الله ، وذهب الى تلمسان ، ومن تلمسان الى الجزائر ، ومن الجزائر الى صفاقس ، من صفاقس الى طرابلس ، ومن طرابلس الى سيوه ، ومن سيوه الى الاسكندرية ، ومن الاسكندرية الى القاهرة ، ومن القاهرة الى غزة ، ومن غزة الى القدس ، ومن القدس الى دمشق الشام ، ومن دمشق الشام الى بغداد ، ومن بغداد الى الحجاز ، ومن الحجاز الى البحرين ، ومن البحرين الى مسقط ، ومن مسقط الى صنعاء ، ومن صنعاء الى عدن ، ومن عدن الى الصومال ، ثم عاد من حيث جاء ، ولم يستوقفه احد ، ولم يفتشه احد ، ولم يسأله احد ابراز الهوية او ألجواز ، ونزل فى كل مكان اهلا وسهلا ، آخر مراحب وآخر احترام ، ولقد تم هذا منذ الف عام ، قبل حلول العصر الحميرى الذى نحياه الآن ، ترى ايتها الست الكركورة الغندورة ماذا يحدث الآن لو جاء ابن بطوطة آخر واراد ان يلف بلاد العرب وان يزور ابناء الأرومة والعمومة الاعزاء ؟ واذا حدثت معجزة ونجا بجلده من طنجة ، فسيقضى بقية العمر فى سجون صفاقس ، فاذا نجا من صفاقس فسيموت حتما فى تخشيبة محافظة الاسكندرية ، فاذا استطاع ان ينجو من كل هذا ، فسيقضى نحبه قبل ان يستطيع الحصول على تأشيرة دخول للخليج . فاذا حصل عليها قبل الموت ، فلابد له اذا اراد ان يتاجر او يكتب او يؤلف كتابا ، ان يبحث لنفسه عن كفيل !

قالت : هذا فى بلادكم ، اما فى بلادنا فالامر يختلف .

قلت : ابدا ، الحال من بعضه ونحن وانتم فى الهموم سواء ، فأوروبا دولة واحدة ، ودين واحد ، واقتصاد واحد ، ومطامع واحدة ، ومع ذلك عشرون دولة ، وعشرون حكومة ، وعشرون صنفا من اصناف العملة ، وعشرون جواز سفر ، وعشرون خيبة بالويبة ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

● ● ●

قالت البنت الكركورة : خيبك الله ، اكتشفت انك من العصر الحميرى ، فاكتشفت انت اننى من فصيلتكم ، ورغم اننى غير مقتنعة الا انك جعلت الفار يلعب فى عبي ، ولكن بالرغم من ذلك ، فانا مصممة على ان انجب لك طفلا ، فانا مازلت متاكدة من انك الحمار الوحيد الباقى على قيد الحياة .

قلت : اما ذلك فدونه ضرب الرقاب ، ليس بسبب عفتى وتمنعى لا سمح الله ، ولكن بسبب عجزى وشيخوختى ، فانا حمار صحيح ، ولكنى حمار عقيم .. عقيم يا كركورتى

وفى الصباح الباكر ايقظتنى البنت الحلوة بعد ان قرصتنى وزغزغتنى وقالت : لقد شوقتنى لرؤية بلادك ايها الحمار العجوز فلابد أن الهدوء يرفرف على ربوعها ، والطمانينة تسكن فى قلوب جموعها ، ولابد أن كل شىء واى شىء هادىء وعلى ما يرام .

قلت للست الغندورة : ومن اين هبط عليك هذا التصور العجيب ؟

قالت وهى تتقصع وتتمطع : مادمتم حميرا ، فلاشىء لديكم الا الاكل والنهيق .

قلت : هذا صحيح ايتها الست الكركورة فى عالم الحمير ، أما فى عالم الحمير البنى ادميين ، فالأمر يختلف ، ففى بلادنا حرب اهلية على ودنه ومذابح ولا مذبحة محمد على فى القلعة لصنف المماليك .

قالت مماليك ؟ تقصد ملوك ؟

قلت : لا . اقصد مماليك ، وهم صنف من البشر اشتريناهم نحن الحمير بفلوسنا ، واطعمناهم من قوتنا ، وربيناهم ، وعلمناهم ، ثم نصبناهم ملوكا علينا ، فضربونا ضرب غرائب الأبل ، واستنزفونا ولا استنزاف امريكا فى كوريا ، واستمروا حكاما علينا لمدة ستمائة عام دون ان يكونوا معتنقين بديننا او ملمين بلغتنا ، أو عارفين باحوالنا !

قالت : البنت مندهشة : ولكن لماذا لم تثوروا ضدهم ولم تنقلبوا عليهم ؟

قلت : حدثت ضدهم الف ثورة ، ولكنها لم تكن من جانبنا ، ولكن الثوار كانوا من صنف المماليك أيضا ، بينما كنا نحن نشاهد

ونتفرج ، وننتظر من يغلب لنؤدى له الجزية ، ونمنحه ولاءنا صاغرين !

قالت كيف ؟

قلت : لأن حكمتنا هي عصير تجاربنا . ولدينا شعار نعمل به جميعا ، شعار يقول : اللى يتجوز امى اقولله يا عمى ! ولدينا مثل يقول ان لقيت بلد بتعبد عجل حش واديله !

قالت وهل جميع الناس كانت تحش وتديله ؟

قلت : في الواقع لم يكن جميع الناس ، ولكن بعضهم فقط ، فقد انقسم الناس الى قسمين ، ناس تحش وتديله ، وناس تحشش وتديها !

فقالت تحشش ؟ تعني انهم كانوا يحشون كثيرا ؟

قلت : لا فالذى يحش اختار موقفه ، وقرر ان ينتظم في الصف ، وان يلتزم بالموافقة ، ليصبح في النهاية مواطنا صالحا ترضى عنه الحكومة واجهزة الأمن ، اما الذى يحشش . فقد أثر أن ينفصل ليس عن النظام ، ولكن عن العصر ، فهو يختار العصر الذى يريد ان يعيش فيه ، في الماضي ، في المستقبل ، كل حشاش حر يختار الزمن الذى يريد ان يعيش فيه ، ويختار المكان الذى يريد ان يقيم فيه .

قالت ولكن كيف يستطيع ان يحقق امنيه عزيزة يتمنى كل انسان ان يحققها لو استطاع ؟

قلت : المسألة بسيطة ، ما على الحشاش ألا ان يختار ، ثم يشفط من الجوزة شفطة ، ويكون افضل واسرع لو استطاع ان يكتم الانفاس ، وعلى الفور سينتقل الى المكان الذى يريد والعصر الذى يختار !

قالت : يالكم من مخترعين ليس لكم مثيل ، اخترعتم اشياء لم تصل اليها حتى احلامنا وانتقلتم في سرعة الصاروخ ليس من مكان الى آخر ، ولكن من عصر الى آخر . لقد حققتم معجزة بكل المقاييس .

قلت : عندنا من هذه الاختراعات مالا عين رأت ولا اذن سمعت ، ولكن فلنؤجل هذا الحديث الآن فلكل حادث حديث . لقد كان حديثنا عن الحرب الاهلية المشتعلة عندنا والمذبحة الشغالة في بلادنا ولا مذبحة المماليك . كان لدينا بلد اسمه لبنان ، وكنا جميعا نحب لبنان ، ونموت في لبنان ونعشق لبنان وجبال لبنان ومزارع لبنان

وعيون الماء في لبنان وعرقى لبنان ، وكان لبنان متميزا وله وضع خاص ، كان منتجعا لاثرياء بلدنا . ومتنفسا لاحرار بلادنا ومنطقة حرة للمذاهب والمبادىء والآراء ، حتى جاء رجل من ابنائه فاحاله الى خرائب وانقاض . رجل واحد اسمه شمعون وهو حليوه وعليق وغندور ومنفوش على الفاضى وعلى المليان ولا الديك الرومى الجربان ، ولقد حاول ان يهدم لبنان مرتين ، مرة فى علم ١٩٥٨ ، وكان يومها رئيسا للبلاد ، فى تلك الايام نجح شمعون فى شق البلاد الى بلدين وشعبه الى شعبين ، ورفع الاخ السلاح فى وجه اخيه والابن فى وجه ابيه ، وسالت دماء وازهقت ارواح ، وتحول لبنان على يديه الى خرائب وانقاض . ثم حاول مرة اخرى اخيرا ، ونجح هذه المرة فيما كان يتوق اليه ، وتحول لبنان بالفعل الى خرائب وصار ماوى للبوم والغربان .

قالت البنت الفرنسلوية : انت تقصد شمعون بيريز ؟ قلت : انا اقصد شمعون كميلز ، ويختصرون الاسم فى لبنان ويسمونه كميل ! وقد حمل لقب الرئاسة مرتين ، وفى النهاية كان صاحب وزارتين كان وسيما يصلح مانيكانا فى حي البيجال فى باريس او صاحب بيت فى ساحة البرج فى بيروت ولكنه اخطا الطريق واشتغل بالسياسة واصبح شمعون بين الساسة كما صار شولح بين الأنبياء !

قالت البنت : عجيبة اموركم وأعجب منها احوالكم اذا كان قد حاول تدمير لبنان فى العام ١٩٥٨ ، فلماذا انتخبتموه وزيرا لوزارتين فى العام ١٩٧٥ ؟

قلت : عيبك الوحيد ايتها البنت الفرنسلوية انك تدرسين العصر الحميرى على الورق ولا تدرسينه فى الطبيعة . فنحن يا بنت الابالسة لا ننتخب حكامنا ولا نختارهم ولكنهم يحطون على رؤوسنا كما المصيبة ، وينزلون بنا كما الكارثة ، ويجلسون على الكراسى كما المأسى ، ولا فكاك منهم الا بعمك المنقذ عزرائيل !

لوت البنت الفرنسلوية بوزها وكشرت عن اسنانها وقالت : اعوذ بالله ، اذن انتم لا تعرفون الانتخابات ؟

قلت : بل نحن اكثر مخاليق الله اجراء للانتخابات ، ونتائجها دايما معروفة باذن الله ٩٩,٩٩٩ ٪

قالت : وتستخدمون الكمبيوتر فى معرفة النتائج ؟

قلت : بل نستخدم : اختراعا احدث ، هو الكذبيوتر والتزويوتر !
قالت الكذبيوتر ؟ لم اسمع به من قبل .
قلت : ولن تسمعي به على الاطلاق ، انه اختراع جديد وقف علينا ، وله قدرة فائقة على حصر الشاردة والواردة ، وهو يضع في خانة الذين قالوا نعم ، حتى الشجر والحجر ، واحيانا يضيف الموتى والموميلوات التي في متحف الآثار .
قالت البنت منشكحة : بالعمق حضارتكم وبالرفعة افكاركم ، تحترمون الموتى فتشركونهم في امور دنياكم ، وتسالونهم عن هوية حكامكم ، هذا سلوك متحضر ، ليس له مثيل على ظهر الكرة الارضية الآن .
قلت : في الواقع نحن نسلك هذا السلوك ، ليس احتراما للموتى ، ولكن احتراما للحكام الاحياء . فنحن نريد لحكامنا ان يبدأوا حكمهم ومعهم تفويض من كل الامة ، احياء وموتى ، حاضرين وغائبين ، مقيمين ومسافرين ، موافقين ورافضين !
قالت : وهل يوافق القاضي على هذا الامر ؟
قلت : وما علاقة القاضي بهذا الامر ؟
قالت : اليس القاضي هو الذي يشرف على عملية فرز الأصوات ؟
قلت : حاشا لله ! ان الذي يشرف على عملية الانتخابات هو الشاويش حمدان .
قالت : ومن هو الشاويش حمدان ؟
قلت : لا ، هذه مسالة عويصة تحتاج الى تفكير ، وهي ايضا تحتاج الى وقت لكي يقرا الصمدية حتى يكفيه شر الشاويشية والضباط النوبتجية ، فإلى الصباح يا فرنسلوية ، الى حيث الكلام المباح والمستباح !
وفي الصباح استيقظنا على موسيقى ناعمة ، والحلو حالمة وقالت : وعدتني يا حمارى العجوز ان تحدثني عن الشاويش حمدان .
قلت : نعم ايتها الست الخوجاية ، ان الشاويش حمدان عصب الحياة عندنا ، ومحور الحياة في بلادنا ، وهو من دم ولحم مثل حالي وحالك ، ولكن يميزه الكرش البارز كأنه امراة حبلى في توأم .. وله قفا

عريض يصلح للمصافحة ! وكما قال عمك بيرم التونسى شاعرنا الشعبي يرثي شاويشا مات يدعي غانم ، قال بيرم التونسى طيب الله ثراه : وانشال سي غانم مرابعة بعد ندب كفاه ، ولطم كان يستحقه في حياته قفاه !! ثم له بعد ذلك ذراعان اللهم صلي علي سيدنا النبي كأنه ياكل مع عميان ! او هو في الحقيقة ياكل بالمجان ـ ويصبح له هذا الحق ـ الاكل بالمجان ـ مادام علي ذراعه ثلاثة اشرطة من القصب احيانا ، ومن المخمل احيانا ، وحبذا لو زينت الاشرطة نجمة ، ويادهية دقي لو زينها تاج ، وستجدين هذا الشاويش في بلادنا في كل مكان ، في المطار في الشارع ، في المحكمة ، في المدارس ، في الجامعات .

قالت بنت المهروشة : وهل يذهب الشاويش الى الجامعة ليتعلم ؟

قلت : بل يذهب ليعلم المتعلمين كيف يكون الادب والنظام ، ففي بلادنا شيء اسمه حرس الجامعة ، وكأن الجامعة متهم يخشي هروبه ولابد له من حرس ، كأنها حرامي ولابد للشاويش من مراقبته حتي لا يركن للفرار !

قالت : وهل يعلم الشاويش الطلبة النظام والادب اثناء المحاضرات ؟ .

قلت : بل اثناء المظاهرات ، ووسيلته في التعليم سهلة وبسيطة . في البداية يعالج الامر بالعصا ، فان افلحت كان بها ، والا فبالقنابل والرصاص ، ولكن خطره الحقيقي ليس الفطور وهو يفكر في امر تدبير العشاء ، ومع ذلك فنحن لا نشعر بأننا موجودون فعلا علي قيد الحياة لأن الحي يرزق . واغلبنا يعيش ولا يرزق ، وبذلك اثبتنا بطلان الوجودية وبطلان المبدأ الذى قامت عليه ! ثم ما هي الماركسية ؟ اليست هي التى قالت ان راس المال هو نتيجة فائض القيمة ؟ اى هو الفارق بين اجر العامل المدفوع ، وجهده الحقيقي الذى بذله في انتاج السلعة . لقد اثبتنا ايضا انها مجرد كلام فارغ ووقت ضائع ، واثبتنا ان راس المال نتيجة الرشاوى والسمسرة والعمولات .

قالت ياسلام ، اذن عندكم مصنع رشاوى وشركات سمسرة ومعامل عمولات ؟

قلت : بالعكس . المصانع عندكم . والمعامل لديكم والشركات

في بلادكم ، ولنا نحن الرشوة والسمسرة والعمولة ، وايضا لدينا الحكمة الخالدة ، اللي يطعم الفم لازم تستحي منه العين .

قالت : لم افهم مرادك

قلت : هل تسمعين بشركة لوكهيت ؟

قالت : بالطبع . انها شركة مشهورة ومصالحها في كل المعمورة

قلت : وهل عرفت ما حدث منها ولها في الفترة الاخيرة ؟

قالت : بالطبع ، وسمعت انها رشت الحكام في افريقا ، ورشت رئيسا للوزراء في اليابان ، حاكمود بعد ان ثبتت عليه التهمة ، فعزلوه وسجنوه ، وعلي البرش اجلسوه .

قلت : عفارم عليكي يا فرنساوية . ولكن هل تعلمين انها في الاصل شركة حميرية وبعد ذلك امريكية ؟

قالت لم اسمع بهذا من قبل .

قلت : هذه هي الحقيقة ، فهي في الاصل نشأت في الصحراء . وكانت تنتج البغل والحمار والبعير . وكان اذا ذهب مندوبها إلى الصحراء وباع صفقة لأحد المشايخ . قدم المندوب للشيخ بعض المال وكان الشيخ يسأل : وما هذا ؟ فيرد المندوب (لك هادا) فيقبل الشيخ ويشكر . واشتهرت الشركة باسم لك هادا ، فلما انتقلت الشركة الى الغرب ، وتحولت من صناعة الدواب الى صناعة الحرب ، حدث لاسمها تحريف ، ومن بعد لك هادا صار اسمها (لو كهيد)

قالت : صحيح ، ما اشد التطابق بين الاسمين .

قلت وهذه الشركة تبيع لنا وتدفع لبعضنا رشاوى وتدفع لبعضنا عمولات ، وهؤلاء اصبحوا ولا اوناسيس بتاع اليونان ولا روتشيلد بتاع فرنسا .

قالت : يا لك من حمار نابغة ، تتعقب اصول الاشياء ، وتقدم لها الادلة الدامغة ، ولكنك لم تحدثني عن القضايا الفكرية والامور الفقهية التي تشغل بال الفقهاء والعلماء في بلاد ما بين البحر والصحراء .

قلت آه صحيح ، ولكن لكل مقام مقال ، ولكل حادث حديث ، فامهليني ايتها البنت الحلوة الى الغد ، وتعالى الان ننام ، فقد تبدد مني الجهد وهدني السهر والسهد

١ / ١٢ / ١٩٨٩

المجـــوس والجـــاموس .. !



استيقظت المرأة الخوجاية المجنونة من النجمة وقالت للعبد لله : احكى لى ايها الحمار عن مشاكلكم الفقيهة وقضاياكم الفكرية .

قلت : للمرأة المضروبة : هكذا على غيار الريق ، وبلا حتى شفطة شاى أو طبق فول ؟ ! انقمصت البنت وضربت بوزها شبرين ، اقتربت منها وسألتها عن سبب زعلها .

قالت : ايها الحمار تصفنى بالسخافة وتنطقها فى وجهى وتقول (فول) ضحكت من قولها فاشتد غيظها وصرخت بأعلى الصوت ملعون ابو الدراسة وملعون ابو العلم : أنا اصاحبك رغم انفى ، وارافقك رغم وجهك الملخبط وسحنتك المقلوبة واظافرك التى لم تعرف المقص منذ عقدين من الزمان . وانا افعل ذلك خدمة للحقيقة وخدمة للعلم .

ولكن يبدو انكم حمير بالفعل لا تقدرون العلم ولا تحترمون العلماء . طيبت خاطر البنت وقلت وأنا امسح على شعرها وأربت على كتفها : « فول » بالانجليزى غير فول باللغة الحميرية . الفول عندنا ليس صفة ولكنه اسم لطعام شعبى هو فى الحقيقة اخطر على شعبنا من الغزو العسكرى والفكرى والاقتصادى . واذا كنتم تاكلون الزبد واللبن فى الصباح .. فنحن نفطر على الفول ، ولا يزاحمنا فى اكله الا صنف الحمير والبغال . وهو صحيح مغذى ومفيد ويربى مجانص وعضلات ، ولكنه ماكول دواب لا مؤاخذه وليس ماكول بنى أدمين وصنف الحيوان لأنه أصدق من صنف البنى ادمين ، فهو يأكله حاف وبقشره ولكننا نحن نتفنن فى طبخه ، فناكله مرة بالزيت واللمون البنزهير ، ومرة بالزبدة ، ومرة نخدع له بالقوطة وفص الثوم، حتى الذين ياكلونه بالزيت يلونون فى أصناف الزيت ، البعض ياكله بزيت فرنسلوى ، والبعض الآخر يفضله بالزيت الحار ، والمرضى يعدون منه اطباقا اسمها الفول النابت ، والبعض ياكله اخضر مع الجبنه ويطلق عليه اسم الفول الحراتى .

قاطعتنى البنت وقالت : هل تلقى على محاضرة فى طبق الفول .

قلت : فليكن الأمر كذلك . وحتى تفهمى سبب بلادتنا وتناحتنا . هل تعرفين التناحة ؟

اجابت البنت : تاناحا ، هذا اسم شركة متعددة الجنسيات مثل توشيبا وتويوتا .. اليس كذلك ؟

قلت : بل هى صفة من صفاتنا ، ومعناها التربسة . احيانا يتربس الواحد من صنفنا فلا تعرفى له راسا من رجلين . نساله عن الشارع الفلانى فيقول : هه ! مع انه استمع الى السؤال واستوعبه . ولكن حالة التناحة حطت عليه فيفقد القدرة على تقدير الامور ، تساله فيسالك ، تامره فيتربس كما الفحل الجربان . ولكن لماذا التربسة ؟ بسبب تفاعل الفول مع البصل الاخضر مع العيش الآلى حيث تتصاعد الابخرة وتلقى بغلالتها على عقل الانسان ، ويتربس ويصبح كما الجاموس البرى بالتملم والكمال .

قاطعتنى البنت اللهلوبة وقالت : لا تسرح بى ايها الحمار التعبان ، احكيلى عن قضاياكم الفقهية والفكرية .. فانا متشوقة

وشديدة الرغبة في اكتشاف أعماق العصر الحميرى وقضاياه .
ولما كان ما باليد حيلة ، ولابد من الحكاية والرواية ، فتوكلت على الذى لا ينام وحكيت كما شهر زاد للسطان شهريار : اول شيء يا ست يالخوجاية عندنا مسألة فقهية صعبة للغاية ومزمنة ايضا وعمرها الآن حوالى الف ومائتى عام . المسألة في كلمتين : هل ينقض وضوء من يحمل على كتفه قربة فساء ويدور بها بين الناس في الاسواق ؟
قالت البنت وقد انتبهت وابتهجت : اولا ما هو الوضوء ؟
قلت : الوضوء يا ست الخوجاية هو تطهير للبدن قبل الصلاة ، وقد فرضه علينا الاسلام وعلمنا اياه الرسول الكريم ، ونحن نتوضا كل يوم خمس مرات ، ولكن احد الفقهاء المتبحرين في العلم توقف مرة ، وبحث مرات ، وفكر الف مرة ، ثم القى بالسؤال المعجزة ، هل ينقض وضوء من يحمل على كتفه قربة فساء ؟
قالت البنت : ولكن ما هو الفساء ؟ فانا لم اسمع به بعد .
قلت الفساء يا حلوة هى مادة كيماوية بفعل تفاعل البصل مع الثوم مع الفول مع الكرات مع السمك البلطى مع الشاى الاسود المخروط ، ومن خلال هذا التفاعل تحدث قذائف اقوى مفعولا من القنبلة الذرية ، وتشيع روائح في الجو محرمة دوليا شأنها شأن الغازات السامة وقنابل النابالم .
سألت البنت ولكن من الذى يطلقها ؟
قلت : يطلقها الرجل الذى تناول الاطعمة اياها التى ذكرتها لك من قبل .
قالت : آه اتقصد غازات .
قلت هى غازات بالضبط ، ولكن غازاتنا تختلف عن غازاتكم . غازاتكم هى نتيجة لأكل الشيكولاته والجلاتوه ، ولكن غازاتنا أعوذ بالله .
يقال أن بهانة الحجاوى جدة العبقرى زكريا الحجاوى وزوجها برعى السعدنى جد العبد لله ، استطاعا وحدهما صد الغزو الصليبى على دمياط في العصر الوسيط .
قالت : إذن فأنت من اسرة محاربة ، ومن طبقة عسكرية لها تاريخ !

قلت : الحقيقة أن جدى برعى لم يكن عسكريا ، ولكنه كان فلاحا ، وجدة الحجاوى لم تكن مجاهدة ولكنها كانت تصطاد السمك من بحيرة المنزلة . وذات صباح كانا يتريضان على الشاطىء عندما لمحا قطع الاسطول الفرنسلوى تقترب من البر . وفى الحال قاما بتشليح ملابسهما واطلقا بعض الغازات فى الجو فمات كل العساكر الفرنساوية ، وارتدت الغزوة الصليبية ، ونجت مصر بفضل هذا الاختراع الجهنمى الغريب .

ضحكت البنت وارعشت حاجبها رعشة وقالت : ولكن كيف يحمل الانسان الفساء على كتفه ويمشى به فى الاسواق ؟

اجبتها : العالم الجليل تبعنا تصور فى قعدة انسجام انها ما دامت غازات فمن السهل تعبئتها فى زجاجات ؟ ولما كان اختراع الزجاجات لم تعرفه البشرية بعد ، فقد تصور انه يمكن تعبئة الفساء فى قرب ولكنه لم يرهق نفسه فى اكتشاف الطريقة التى يمكن عن طريقها توصيل الفساء الى القربة .

قالت : البنت الفرنسية : ممكن استخدام مواسير أو خراطيم ، ويستحسن ان تكون من البلاستيك .

قلت وأنا اضحك من جهل الحمارة الفرنسية : فى ذلك الزمان لم يكن هناك بلاستيك .

قالت : اعرف ، ولكن يوجد دائما بدائل ، بوص ، قمع ورق . المهم ان تملأ القربة بالفساء . قلت : الحقيقة انه لم يتعب نفسه ، ولكنه القى بالسؤال فاحدث نفس الاثر الذى يحدثه القاء قنبلة ذرية على مدينة أهلة بالسكان .

قالت البنت المرمر : وهل توصلتم الى حل ؟

قلت حتى الآن لم يشاهد رجل واحد يمشى بين الناس فى الاسواق وهو يحمل على كتفه قربة فساء ، ولكن السؤال لا يزال مطروحا ، وحلقات البحث والدرس لاتزال تبحث الموضوع والمعركة لاتزال على اشدها بين الفقهاء والعلماء .

ومطت البنت شفتيها ولعقت بلسانها وقالت : انن ليس لديكم مشاكل فكرية حديثة او قضايا فكرية عصرية ؟

قلت : فشر مرة والف فشر لدينا الآن مشكلة اخر موضة واخر صيحة من صيحات العصر . عندكم مثلا مشكلة الشورت الشرعى .

وهل ينزل الى ما تحت الركبتين ؟ أم يطول الى اصابع القدمين ؟ عندكم مثلا مشكلة الدولار وبيعه فى السوق السوداء هل هو حرام أم حلال ؟ اغلب الفقهاء قالوا انه حلال خصوصا اذا كان الصرف يدا بيد . وهؤلاء الفقهاء هم الذين يتاجرون فى السوق السوداء بالأخص الأمريكانى . أما الفقهاء الذين يشتغلون بشركات توظيف الاموال فقد حللوا الاتجار بالعملة سواء يدا بيد او شيكا بشيك . أو تحويلا بتحويل . وعندك مثلا وجه المرأة هل هو عورة وهل يجوز كشفه للغرباء ؟ ام اخفاؤه تحت خيمة من القماش ؟ وعندك مثلا اغنية من غير ليه ؟ هل هى حرام أم حلال ؟ اغلب الفقهاء يقولون انها حرام ، ولعن الله مؤلفها وملحنها ومطربها وسامعها الى يوم الدين . عندك مثلا المسرح ، اغلب العرفاء ، اقصد الفقهاء مصرون على انه من صنع الشيطان لدرجة انهم هجموا مرة على مسرح ونسفوه بالقنابل .

قالت البنت تقول بالقنابل .

قلت أه . بالقنابل والمتفجرات

قالت : المسرح مجال الثقافة والفنون والجمال فكيف تعالجون المسرح بالمفرقعات ؟

قلت : هذه هى معجزات العصر الحميرى عندنا كل شىء ينتهى بمتفجرات . تاكلين طبق فول الصبح تقضين النهار كله فى اطلاق متفجرات . نختلف فى السياسة فنحمل السلاح . نختلف فى الرأى فنهجم على الخصم بالسيارات الملغومة وبطلقات الرصاص . عندنا فى العصر الحميرى صحفى يصدر مجلة فى اوروبا يمشى محاطا بحرس يحمل الرشاشات . عساكر الشرطة عندنا تحمل بنادق بعيدة المدى وتقف بها فى الشارع وكأنها فى ميدان القتال . حتى فى اعيادنا يحتفل الاطفال بفرقعة البمب . وحتى فى افراحنا يطلق المعازيم النار وغالبا يقتلون العريس أو العروسة . وهى احيانا تكون خدمة لاحدهما او لكليهما على حد سواء .

قالت البنت المهتمة بالمعرفة والحريصة على اكتشاف اصل الاشياء اذن انتم كما هو واضح من أصل مجوسى، وحبكم للنار دليل على ان عقلكم الباطن يدفعكم للعودة الى الجذور . والارتداد للأعماق

ولأول مرة اقوم بسؤال البنت الفرنسلوية . قلت لها على الفور :
تقولين من اصل مجوسى ؟
قالت نعم

قلت للأسف الشديد حضرتك ذكرت الحقيقة ولكنك اخطأت فى حرف واحد . فالواقع اننا من اصل جموسى ، ولذلك نفعل عكس ما يفعله البنى آدمين على خط مستقيم ، فى بلادكم مثلا كل التسهيلات للتاكسى ، وكل القيود على الملاكى ، لأن التاكسى خدمة عامة ، والملاكى للفشخرة والمزاج ، عندنا كل التسهيلات للملاكى ، كل التعقيدات للتاكسى ليه ؟ لان سواق التاكسى عامل حقير ، بينما صاحب الملاكى راجل الاجه صاحب فلوس أو صاحب نفوذ ، واحترامه واجب وتسهيل الامور لسعادته ضرورى من اجل التقدم والبناء ، عندكم مثلا كل شيء يمكن ارساله بالبريد ، تدفع فلوس الكهرباء بالبريد ، تدفع فاتورة التليفون بالبريد ، تدفع ضريبة الحكومة بالبريد . عندنا لازم تقف فى طابور ، ويشتمك الموظف ، ويلزقك الفراش على قفاك ، ويكون المخرج الوحيد امامك هو دفع رشوة لكي يسهلوا لك عملية دفع الفلوس !! انا ادفع وانا الذى يشتم ويضرب ويهان !!

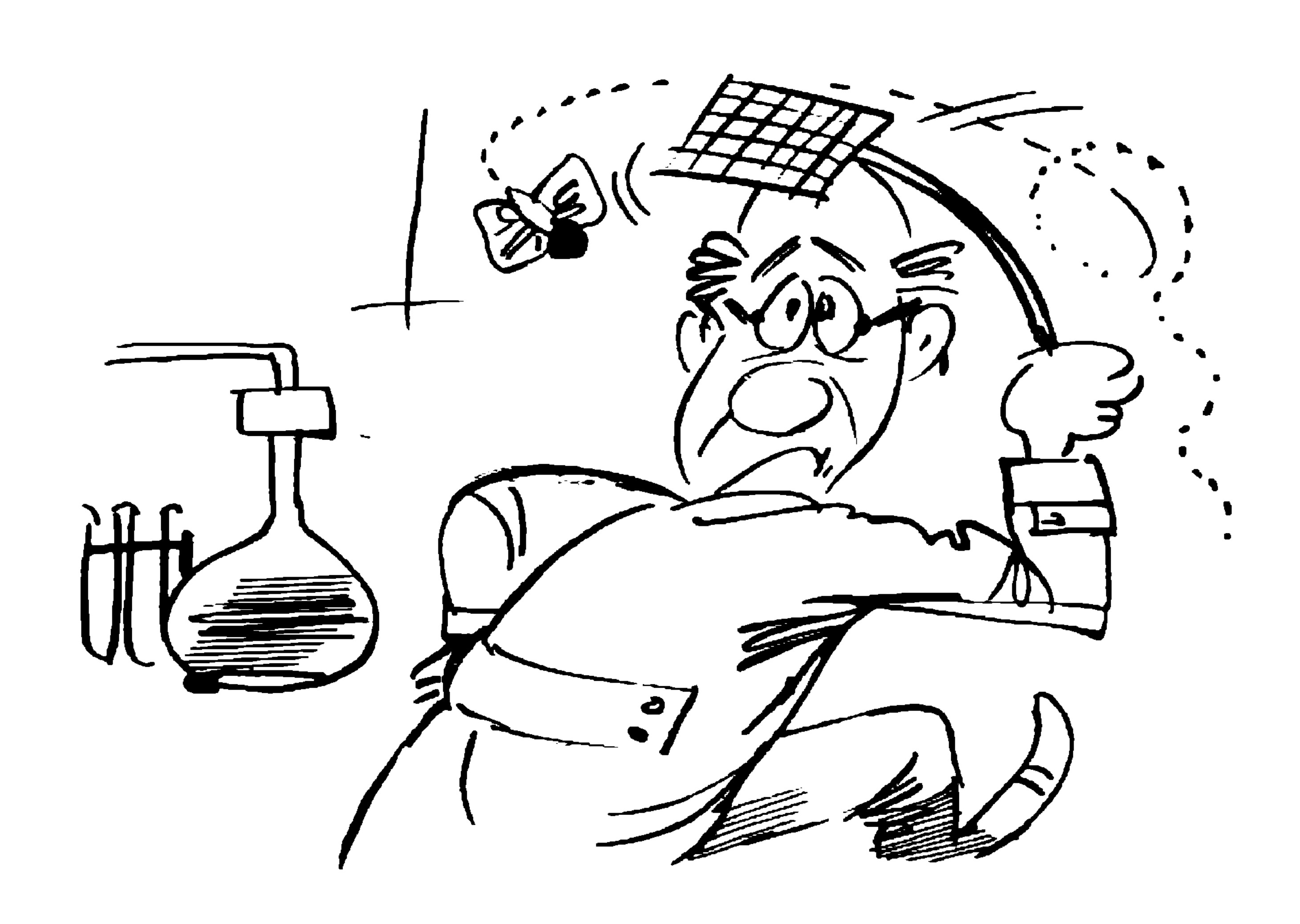
شهقت البنت الفرنسلوية ونهقت وقالت : يا سلام ، لم اكن أعرف انكم على هذه الدرجة من الحضارة والسمو والارتقاء . تدفعون فلوسا وتقبلون الاهانة ، تدفعون فلوسه وتدفعون رشوة لدفع الفلوس ـ هذه مرتبة فى انكار الذات لم يعرفها جنس من البشر قط ، اللهم الا عندما جاء السيد المسيح .. وقال من ضربك على خدك الايمن ادر له خدك الايسر . منتهى التضحية والصبر والعفو فى وقت واحد ، صدقنى ايها الحمار اننى الآن اكاد اصيح من شدة الفرح والسعادة والانبساط . لقد عثرت بك على كنز لا يفنى وسافتح لجنسك فتحا جديدا فى مجال الجغرافيا والتاريخ .. والكيمياء أيضا ، باعتبار ان الفساء الذى لم تتوصلوا الى طريقة لتوصيله الى القربة .. مادة كيماوية غازية ، ومع ذلك يمكن لو حدث لقاء بين الحضارتين ، حضارتنا وحضارتكم ، الوصول الى حل امثل للمشكلة كلها ، نوصل لكم الفساء الى القربة ، ونخترع لكم اداة تحملها

وتدور بها على الأسواق . وعندئذ لا يكون هنك حاجة للسؤال لأن الاداة التى سنقوم باختراعها لا تصلى ، وهى لذلك لا تحتاج الى وضوء ، وهكذا لا يكون للسؤال اى محل من الأعراب .

وهتفت من اعماقى : يا بنت المديوبة ، عثرت على حل المشكلة التى ارهقتنا كل هذه القرون . صحيح لماذا يحمل الانسان قربة فساء ويدور بها على الاسواق . لماذا لا يحملها حمار ، او جمل او جحش ، او سيارة جيب من النوع الذى استعمله الرواد فى غزو القمر ؟ اخيرا أن لنا ان نفطر ونشرب الشاى ، ثم بعد ذلك نعود الى الحكايات والروايات . وما اكثرها فى بلاد العالم الحميرى .

١٩٩٠/١/١

● ● ●



أكلنا هو نفطنا

من الورقة إلى الدوسرة إلى الطاجن

استيقظت البنت في الصباح مجبورة ومسرورة وقد أكلت حتى شبعت ، وقالت وهي تتقصع وتتمطع : حدثني يا حماري الوحشي عن القضايا الفكرية والفقهية الاخرى التي تشغل بال علمائكم وتضيق بها صدور فقهائكم . قلت : الواقع ايتها البنت المتكركرة ان لدينا مسائل خطيرة ومشاكل كبيرة ، ولكن علماءنا الافاضل لا تفوتهم واردة ولا شاردة ، واخطر مشاكلنا الآن ، هي الذبابة . ولكن الحل جاء على لسان شيخ العلماء وفي التلفزيون ، وقد أفتى - اكرمه الله - ان الذبابة اذا غمست جناحها في طعام وجب على الذي يأكل ان يغمس جناحها الاخر ، لأن في احد جناحيها داء وفي الاخر دواء !

قالت : غريبة .. وهل لا يزال عندكم ذباب ؟ قلت : الذباب عندنا ثروة قومية ، ونحن نحافظ على الذباب باعتباره ارواحا خلقها الله ، ونحن لا نقتل نفسا بغير ذنب !

قالت : ولكن الذباب انقرض من معظم انحاء العالم . عندنا فى اوروبا لا يوجد ذباب الا فى الاماكن القذرة ، وفى الصين لا توجد ذبابة . وفى اليابان من يقتل ذبابة دخل الجنة وعلى رأسه قنديل ، وقيل : قنديلان !

قلت : لانكم لم تدركوا الحكمة من وجود الذباب . ان فى بلادنا مثلا ذبابة مستوظفة فى التليفزيون . وهى تظهر دائما مع كل متحدث ومع كل ضيف ومع كل مطرب ، ولقد اعتاد عليها المتفرجون وألفوها ، لدرجة ان المشاهدين اذا افتقدوها لحظة ، ادركوا ان الجهاز اصابه عطل فنى أو خلل هندسى ، ولو لم يكن الذباب فى بلادنا ، لما بدت لنا عظمة الخالق فى وفرة وروعة الالوان التى اختص الله بها الذبابة دون خلق الله . ولو اننا ياست يا حلوة نهجنا على دربكم ونسجنا على منوالكم وقضينا على الذباب فى بلادنا ، فكيف كنا نستطيع ان نغمس جناحها الاخر فى الطعام لو انها غمست جناحها الاول ؟

قالت : وهل لا تزالون تناقشون امور الذبابة حتى الآن ؟

قلت : لا بالطبع .. هذه كلها امور ثانوية . اما الامر الرئيسى الذى يشغلنا الآن ، فهو أمر على جانب عظيم من الخطورة لم نصل فيه الى حل بعد ، ولا اعتقد اننا سنفعل ذلك فى المستقبل القريب .

قالت : فهمت ، لابد انه موضوع الطاقة الذى يشغلكم ، إنه شغل العالم الشاغل الآن .

قلت : بالعكس ، هذا موضوع ثانوى فى بلادنا وهايف وعلى الهامش ، إن الطاقة متوافرة والحمد لله . ونحن نستخدمها فى تشغيل السيارات الكاديلاك والسيارات الرولزرويس . وانتم تزودون سياراتكم باللتر ، ونحن نصب فيها البنزين حتى يسيل ، ونقول فى بعض الاماكن اترس ، وفى بعض الاماكن زود (بتشديد الواو) وفى بعض الاماكن فول (ايضا بتشديد الواو) وفى بعض الاماكن إملا . وفى كل الاماكن نحن نصب البنزين فى السيارة حتى يفيض على

الأرض ، تماما كما كنا نصب الخل في الزيت منذ الف عام ، والنتيجة ان ما تشربه الارض من البنزين اضعاف ما تشربه السيارات .

قالت ولكن لماذا ؟

قلت : مجرد وجاهة ومظاهر ونفخة كدابة واستعراض لقدرة الجيب والرصيد !

قالت : غريبة .. ولماذا لا تقتصدون في الطاقة وتحرصون عليها .

قلت : لأن الطاقة الوحيدة التي نحرص عليها هي طاقة فحولتنا ونحن نستورد من المقويات اضعاف ما نستورد من اليورانيوم ، واغلب اعلاناتنا عن كيف تستعيد رجولتك وكيف يستعيد الشيخ صباه !

قالت : واضح يامضروب ان الطاقة عندكم متوافرة ، فأنت رغم ان شكلك عدمان وصدمان ، الا انك ولا المرحوم ليستون على حلقات النزال .

قلت : انا ايضا حمار واعيش في العصر الحميرى ، وانا على رأى الشاعر :

لقد بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد
وما أنا الا من غزية إذا غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد

وهكذا ترين مني حماراً اعيش ، حماراً اتصرف ، عن غذاء ملكة النحل ابحث في الصباح ، وهمومنا كلها تدور حول بطوننا ، وكل ما يعنينا هو الطاقة التي تساعدنا على المناكشة والمناغشة والهزار ! والأمر هنا يختلف بيننا وبينكم ، لانكم ربما اهتممتم بامور الطاقة لتشغيل موتوراتكم ومواصلة العمل في مصانعكم وزيادة الانتاج في معاملكم ، اما نحن فاغلب المصانع عندنا هي محلات ويمبى ، وكل الموتورات هي ثلاجات وبوتاجازات وكاديلاكات وكل معاملنا هي للطرشي والجبنة والعرقي الممتاز .

قالت الان فهمت لماذا انتم هكذا فحول ، هكذا عجول ، هكذا ثيران ، اكلكم هو نفطكم لزوم تشغيل الموتورات داخل اجسامكم ، يا بختكم .

قلت   أما اكلنا الذى وصفته بأنه نفطنا ، فهو كذلك طواجن من غير مؤاخذة ، كسفينة نوح فيها من كل صنف زوجين ، بصل بالشوال ، وثوم بالأقة ، ولحم ملبس وطماطم معصورة . وطماطم ترانشات وفلفل اخضر بارد وفلفل اخضر حراق ، وفى الطاجن قنطار توابل . حب الهال ، جوزة الطيب ، كارى . بهارات . فلفل اسود بالحفان ، زعتر وقرنفل ، لابأس من وجود عود نعناع فى الطاجن حتى تستقيم الاحوال اذا اكل منه واحد اوروبى ذهب الى المستشفى فى الحال ، واذا وصلت روائحه الى خياشيم واحد خواجه احتاج الى غرفة الإنعاش . وربما بقى فيها لمدة عام . ولكن الراجل عندنا يسفح الطاجن ويتحسس كرشه ويتجشأ ويطلق ماشاء من الغازات من ذوات المشموم وذوات المسموع . ويقول هل من مزيد ! وعندنا ورقة لحمة يختلط فيها الورق باللحم بالعظم بقطع الخضار المشكل ، وهى اكلة من اختراع بلاد نيام نيام . لان من يلكل ورقة لحم فى عز شهر طوبة ، يسقط نائما على الفور . وقد تمتد نومته كأهل الكهف الى مائة عام ، عندنا الدوسرة وهى علبة اول شروطها ان تكون بلا لحام . وهو نوع من العلب منتشر فى بلادكم ومستخدم فى تعبئة البسكويت والحلويات . ولكننا نستخدم الدوسرة فى صنع اكلات ، لو عرفها العرب ايام زمان ، لما كان هناك حرب البسوس ولا حرب داحس والغبراء . نضع دكر البط المزغط فى الدوسرة ، ونصب فى العلبة رطلين سمن بلدى من افخر الاصناف وعشر دست من فصوص التوم وحفنة فلفل اسود وعشر حبات من جوز الطيب ، ثم نضع العلبة على باب الفرن لكى تنضج على نار خفيفة . وقد يستغرق نضجها عدة ايام ، وآه لو التهمها سبع ضار من سباع الغاب ، إذن لأصابه الوخم ، ونسى طبيعته المتوحشة ، ونام فى الغابة ، وربما اكله ذئب صايع او كلب جائع او ضبع جربان .

تأوهت البنت وتنهدت وقالت : يا حظ نسوانكم كما قلت من قبل

قلت : أما عن نسواننا فهم آخر غلب واخر كرب . والسبب ان نسواننا سمراوات ونحن نعشق اللحم الابيض . ومن اجل امرأة اوروبية أو امريكية أو حتى استرالية ، فنحن نلطم الخدود ونشق الجيوب ونبكى على الاطلال ويتنازل الواحد منا عن كل شىء فى نظير

وصال مع امرأة لحمها ابيض كالقشطة عيونها زرق كالبحر ، شعرها اصفر كالرمال الصحراء فاللحم الابيض هو غايتنا

قالت وهي تغمز بعينيها : سرحت بنا يا ملعون في متاهات وبحور . وفتحت نفسي يا مضروب للمناغشة .. فهل ذكرت لي بسرعة عن اخطر الامور التي تشغل بال بعض علمائكم ويضيق بها صدور بعض فقهائكم . لقد حومت حول الموضوع ، ولكنك لن تتعرض الا لموضوع الذبابة .

قلت غير موضوع الذبابة هناك موضوع الدخان . فلقد وقف احد علمائنا ذات عمرة وقال للحاضرين من الآن وحتى تنتهي العمرة ، سيكون على جانبي كل منكم ملكان من السماء . وحيث ان ملائكة السماء لايدخنون ويكرهون الدخان ، فسيحرم المدخن من رفقة الملائكة ولن تستجيب السماء لدعواته الى خالق الاكوان .

قالت البنت وقد اندهشت : لماذا اثنان من الملائكة وليس ملاكا واحدا ؟

قلت : يبدو أن العالم تبعنا لديه تصور بأن هناك عمالة زائدة بين الملائكة المكلفين برفع الدعوات الى السماء .

قالت البنت : وما الذي حدث بعد ذلك ؟

قلت قطع اغلب الفوج رحلة العمرة وعاد من حيث أتى ، ما دامت دعواته لن تستجاب فما جدوى العمرة !!

قالت ولكن لماذا قال العالم هذا الكلام ؟ هل يشتغل لحساب شركة تأمين ؟ وتريد من وراء فتاوى العالم ان تجبر الناس على ترك التدخين حتى لا تدفع دم قلبها للضحايا الذين يسقطون كل عام تحت تأثير النيكوتين

قلت : في الحقيقة .. بعض علمائنا يشتغلون في شركات توظيف الاموال .

قالت البنت : غريبة . وهل الأموال تتوظف ؟

قلت : ولم لا ؟ الاموال تتوظف وتترقى وتتدرج في الوظائف حتى تصل الى اعلى مربوط ، ولكن الذي حدث في بلادنا ، انها بعد ان ترقت درجة ودرجتين فصلت من الوظيفة ، وخسر الناس اموالهم على يد عكاريت اطلقوا الذقون حتى الركبتين . وارتدوا الثوب حاسرا سنة

عن السلف الصالح ووضعوا الزبيب على الجباه علامة الركوع والسجود . مع أن بعضهم لا يحفظ من القران سورة واحدة ، ولا يعرف من الاحاديث الا ما هو منحول وتفصيل للضحك على ذقون الفقراء ، اشهرهم في بلادنا كان اسمه الريان ، وهو عالم في اللغات ، ويتكلم الانجليزية على طريقة عمال الاورنس الذين كانوا يعملون في الكامبات . وبمساعدة اثنين او ثلاثة من العلماء ، اكلوا اموال الناس بالباطل ، وتسببوا في خراب البيوت ، وكانوا السبب المباشر في انتحار العشرات ، الذين آثروا الموت فرارا من الفضيحة والجوع ووقف الحال .

قالت البنت وقد شهقت من الذعر : ولكن ما دخل العلماء في هذا الامر ؟

قلت : لقد افتوا بان وضع الاموال في البنوك حرام . وقالوا ان فوائد البنوك ربا . من يقبله . يذهب الى نار جهنم وبئس القرار ..

قالت : واين يضع الناس الفلوس اذا امتنعوا عن وضعها في البنوك ؟

قلت : في جيوب الريان متسع لفلوس الناس .

قالت : وهل يضعونها بدون فوائد أو ارباح ؟

قلت : لا .. احيانا يأخذون عليها مرابحة ، واحيانا يأخذون عنها بركة .

قالت : ولكنها ارباح على كل حال .

قلت : الارباح حرام ، ولكن هذه مرابحة .

قالت : ارباح أو مرابحة ، لا فرق .. فالفلوس تربح أو تتكاثر ، سيان ، وهي لا تربح ولا تتكاثر الا بتشغيلها في عمل ما .. فما هي الاشغال التي كان يقوم بها السيد الريان ؟

قلت : كان لديه مطعم سمك ومحل جزار ومحطة بنزين ودكان كباب ومسمط تحول بقدرة قادر الى محل لبيع المجوهرات .

قالت : اذن كان يشتغل في عدة مئات من الجنيهات .

قلت : بل عدة مئات من الملايين .

قالت : ملايين في مطعم سمك ومحل كباب ؟

قلت : هذا هو الذي حصل ياست ياخواجاية وكان السبب في خراب بيوت الناس .

قالت : ولكن هذا فى بلادنا اسمه نصب . ومرتكب هذا الفعل اسمه نصاب

قلت : حاشا لله . النصاب فى الحقيقة هو الذى افتى بان البنوك حرام والفائدة حرام ، لانه هو الذى جعل الناس تمسك فلوسها عن البنوك وتجرى بها نحو الريان . والريان رجل زكى وانتهز الفرصة ، فوظف عدة مئات من الجنيهات لادارة المحلات . وتفرغ بعد ذلك لمزاجه . يتزوج كل فترة شابة مليحة ويكركر احيانا اصنافا باهرة من اصناف المزاج ، ويوزع بعض الفتات على اصحاب المال ، ويوزع البركة على اصحاب الفتاوى . وما تبقى لاعلانات التليفزيون والجرائد والمجلات .

قالت : والنتيجة ؟

قلت : ضرب الرجل بمبة فى النهاية وانكشف ستره ، فاذا به مفلس وعدمان . وتبددت الفلوس ياولداه وضاع شقا العمر كله بين مزاج الريان وبركة اصحاب الفتاوى وقعدات الخلان .

صمتت البنت فترة ثم صرخت وكأنها اكتشفت سرا وقالت : هذا الريان رجل اعمال له باع طويل فى عالم الاقتصاد لقد امتص الفلوس الزائدة فى السوق وقضى على التضخم بطريقة مبتكرة للغاية ، ولابد من توجيه الشكر اليه على كل حال .

قلت : التضخم الذى حدث كان من نصيب المودعين ، تضخم فى القلب احيانا ، وفى الطحال اغلب الاحيان .

قالت البنت الخواجاية : ولكن هؤلاء المودعين يستحقون ما جرى لهم . فهم الذين اعطوه النقود بدون ضمانات .

قلت : وهل نلوم الريفى الساذج اذا وقع فى يد عصابة نصابين من محترفى الاجرام ؟

قالت وهل كل هؤلاء الضحايا اصحاب كل هذه المئات من الملايين ، هل كلهم سذج ومن اهالى الريف ؟

قلت بل بينهم اطباء وصحفيون ومحامون ومديرو ادارات ومديرو عموم .

قالت إذن ذنبهم على جنبهم .

قلت : ايتها البنت الخواجاية ، لا تفتين بما لا تدرين ، فنحن ابناء العصر الحميرى نتبع اوامر السماء .

قالت : وهل امرتكم السماء بلن تعطوا اموالكم للريان ؟

قلت : هى فى الحقيقة لم تامرنا ، ولكن الذين امرونا هم بعض السادة العلماء الاجلاء من اصحاب البركة

قالت : وهؤلاء العلماء علمهم فى أى فرع من فروع الاقتصاد .

قلت : لا علاقة لهم بالاقتصاد ، ولا حتى بالتدبير المنزلى ، ولكنهم علماء فى طريقة الاستنجاء ومختصون فى معرفة نوع الملائكة وهل هم ذكور أم اناث ؟

قالت : وما علاقة هذا العلم باعمال البنوك وخفايا الاقتصاد ؟

قلت : عندنا فى العصر الحميرى البسلط احمدى ، وكل شىء ممكن عندنا ومسموح به ومباح . كابتن كورة يتحول الى ممثل ، ممثل يصبح مخرجا ، نصاب يتحول الى صاحب شركات ، مخرج يقوم بمهمة الافتاء ، كمسارى يتحول الى مؤرخ ، مناضل يتفرغ لاعمال الكهرباء ، شاب صغير لم تنبت لحيته بعد .. ينصب نفسه اميرا للاسلام ، الحياة عندنا سهلة والسكك كلها مفتوحة وسالكة ، ومجتمعنا يشبه مولد سيدى حمزة ، وكل واحد على كيفه يصرخ ، يشتم ، يقرا ، يلحن ، يغنى ، يتاجر ، يرقص ، ينشل ، المهم ان المولد شغال والنور مضاء والامور عال العال

قالت اذن انتم تعيشون فى فرح دائم ، وفى حالة من الانبساط على الدوام .

قلت : المظهر العام كما تقولين ، ولكنك لو دققت النظر فى وجه كل واحد موجود فى المولد ، فسوف تكتشفين مدى التعاسة التى ترتسم على الوجوه . اضواء المولد المبهرة تخفى الهالات السوداء حول العيون ، ودقات الطبول تطغى على زقزقة عصافير البطون ، هو مولد فعلا ، وفى المولد نبلئح نبحت وانلجر فتة وبراميل طرشى وموائد مدت ، ولكن الذى حدث ان الذين اكلوا هم الفهلوية والنصابون ، وتمكن ايضا من الوصول الى الموائد الممدودة بعض اصحاب العضلات المفتولة وبعض اصحاب الحيل ، اما بقية أهل المولد

فلم تصل ايديهم الى الأناجر ، ولم تتذوق افواههم طعم الفتة ، صحيح انهم شموا رائحة الطعام ولكنهم لم ياكلوه .

قالت : البنت وقد سرحت بعيدا : هؤلاء ذنبهم على جنبهم ، لأنك تعلم أن الحياة للاقوى . وفي الغابة لا يشبع الا المفترس ولا ياكل الا القادر على القنص ، أما الوحش المريض والتعبان والعجوز وفاقد المخالب والانياب ، فلا مكان له على المائدة ، وليس له من الوجبة نصيب .

قلت : هذا في الغابة ياخواجاية ، أما في المجتمع ..

قاطعتني البنت وزغدتني في صدري وقالت : لم يعد هناك فرق .

قلت هل عندكم نفس الشيء ؟

قالت : عندنا ابشع . لانك لكي تحصل على الفتات ، فلابد ان تظل مربوطا في العجلة . لا يفكون وثاقك الا عند النوم ، عندكم ارحم ايها الحمار الصغير ، لانكم قد لا تأكلون ، ولكنكم لا تعملون ايضا .. والأكل عندنا ليس لحشو المعدة ، ولكن لامداد الجسم بالطاقة ليكون قادرا على الانتاج ، وما دمتم لا تعملون ، فما حاجتكم الى الطعام ، خبرني ؟

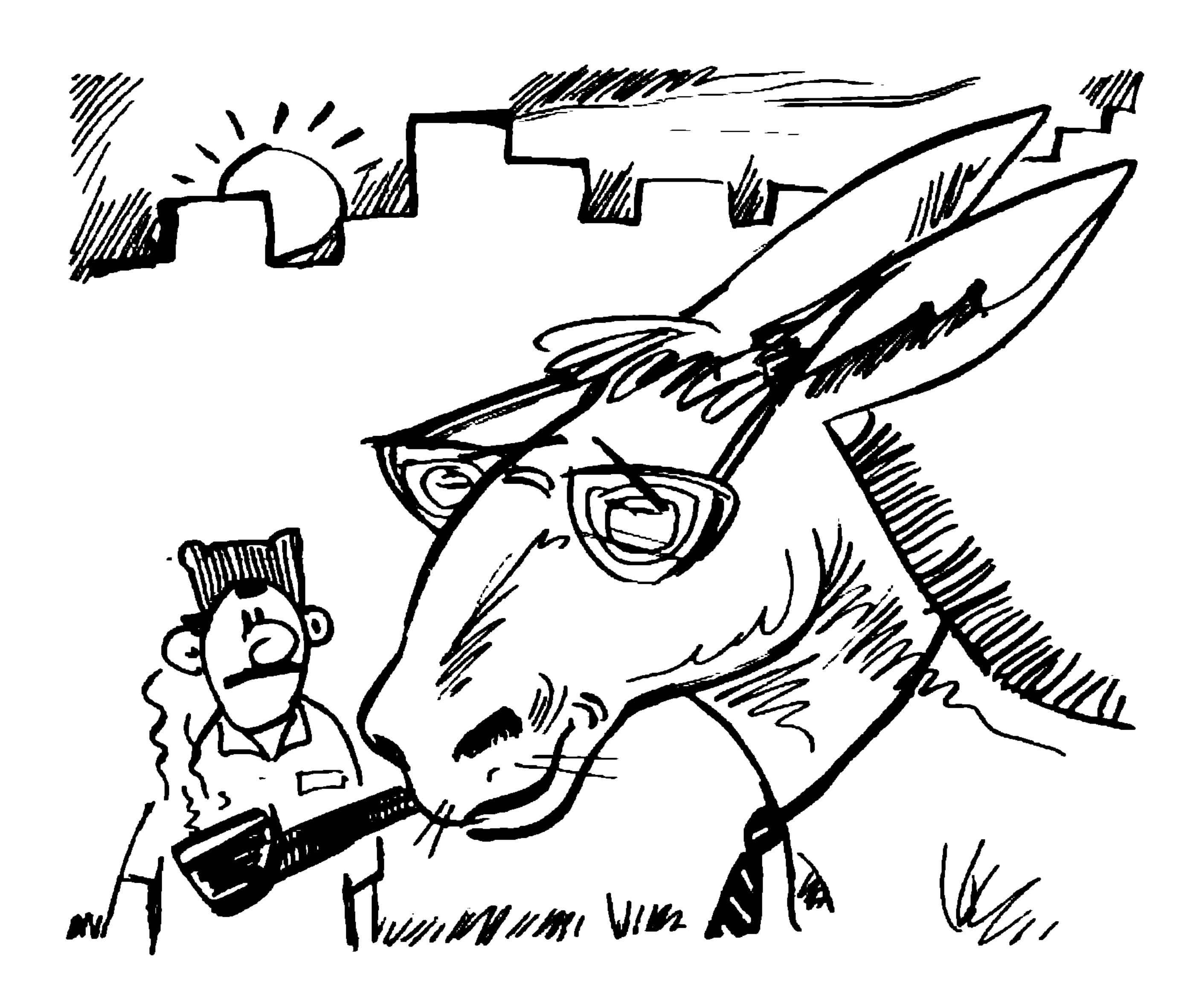
وبعد ان قالت الخواجاية هذا الكلام ، امسكت عن التعليق وسرحت وراء الغمام ، فنظرت إلىّ البنت نظرة نارية وقالت : شكلك وانت ساكت يثبت فعلا انك من فصيلة الحمار .

وعندما حاولت ان انكشها ، صدتني وردتني قائلة : ولكنك لم تقل لى ياحماري الصغير ، هل كل ابناء العصر الحميرى حمير مثلك ؟ أليس عندكم القاب ورتب ودرجات ؟

قلت هذا حديث يطول شرحه ياست ياخواجاية ، فدعى هذا الحديث الى الغد .

١٩٩٠/٢/١

● ● ●



فخامة الجنرال اليكتريك !

استيقظت البنت زعلانه وقرفانه .. كانت تطمع فى ليلة حمراء فإذا بها ليلة سوداء . ولكنها مع ذلك تقصعت وتمطعت واقتربت من العبدلله وقالت : لا تزعل ياحماري الصغير ، فبالرغم من انك حمار ، الا انك احيانا تكون عضبيا للغاية وهى مسالة غريبة ، حمار وعصبى ، هذا هو المستحيل . وعندما اشحت بوجهى عن البنت الفرنسلوية ، قالت دعنا الان من امور الغرام والدلال ، وهيا من الآن نستانف العمل . وقل لى ايها الحمار : هل تهتمون فى العصر الحميرى بالمناصب والالقاب ؟ ام انكم فى العصر الحميرى تطبقون نظرية (الاسطبلزم) ولا تهتمون بالمناصب والالقاب ؟

قلت : بالعكس ، بل اننا أكثر اهل الارض القابا ونياشين ، فلدينا الاوحد والمؤمن والمجاهد الاكبر والاخ القائد والاخ المناضل ولدينا مشايخ على قفا من يشيل ، اغلب عساكرهم من الاجانب ، ومع ذلك يصدرون كل يوم بيانات مشتركة يهددون فيها الاستعمار . ولدينا سيادة الامين العام وهو رجل فى حاله وعلى قده ، ومع ذلك فهو يعلن بمناسبة ومن غير مناسبة بداية الزحف المقدس على اسرائيل !

قالت البنت تستفسر : وهل سيادة الامين جنرال يفهم فى المعارك والحروب ؟

قلت : السيد الأمين لا يحمل رتبة ، ولكنه فى الحروب جنرال ، اعظم من جنرال موتورز واخطر من جنرال اليكتريك ، وسلفه كان صاحب الكلمة المشهورة عشية حرب فلسطين الاولى ، تكلم السيف فاسكت ايها القلم . وسكت القلم ولكن السيف الوحيد الذى تكلم كان سيف الاسلام عبد الله .

قالت : وهل سيف الاسلام عبدالله هذا ماركة سلاح ؟

قلت : بل ماركة بنى ادمين . فلدينا قرية من اعمال مركز الباجور ـ منوفية اسمها اليمن ، كان أهل العمدة فيها يدعون جميعا سيوف الاسلام . سيف الاسلام عبدالله ، وسيف الاسلام البدر وسيف الاسلام الحسن وسيف الاسلام أحمد وسيف الاسلام يحيى .

قالت البنت : اذن هى اسرة مباركة ، وما داموا سيوفا للاسلام فهم سيوف للحق والبر والتقوى .

قلت : بالعكس ياخواجاية ، لقد كانوا سيوفا مغشوشة وصدئة ! وكانوا سيوفا على شعبهم وعارا على امتهم .

قالت : ولكن هل لديكم مارشالات وجنرالات ؟

قلت : خذى عندك فى حرب ١٩٤٨ كان على الجبهة ثمانية مارشالات عظام . المارشال ابو حنيك ، وهو مارشال انجليزى دخل فى العصر الحميرى واستحمر . وكان هناك جنرال حيدر باشا والجنرال الطاسلى ، وكان الى جانب هؤلاء عدد من الجنرالات .. الجنرال قتال والجنرال جبلر والجنرال جزار . وكان كل منهم يحمل على صدره نياشين أضعاف ما كان يحمل رومل ومونتجمرى ، ونوع قماش بدلة كل منهم لم يحلم به المأسوف على روحه فون رونشتيد

وفى الماضى القريب كان لدينا مارشال المارشالات وكان يرتدى احيانا بدلة الجيش . مع انه لم يدخل معركة فى حياته ، واحيانا يرتدى بدلة الطيران مع انه لم يركب فى حياته الا طائرة الخطوط البريطانية ، واحيانا يرتدى بدلة البحرية مع أنه لم يركب فى حياته الا قارب الصيد والمعدية .

قالت : ولكن اليس لديكم قانون ينظم مثل هذه الامور ويضع كل شيء فى مكانه الطبيعى ؟

قلت : لدينا فى العصر الحميرى قانون اسمه خد راحتك . ولدينا قانون اخر اسمه البساط احمدى . وفى بلادنا نكته مشهورة خلاصتها ان رجلا كان يجلس منهمكا فى تحرير خطاب . فساله ابنه لمن تكتب هذا الخطاب ؟ فأجابه الوالد انني اكتب لعمك . وقال الولد ولكنك لا تعرف الكتابة واجاب الوالد : وعمك ايضا لا يعرف القراءة ' ومادام الشيء من بحره . بلا بأس ان يكون اى شيء مثل كل شيء . ولا بأس ان يكون اى احد فينا مارشالا للبحر والجو والارض والفضاء ايضا !

قالت البنت وهى ترعش حاجبيها طيب ، مادام مارشال المارشالات لا يعجبكم . لماذا لا تفصلونه وتعينون مارشالا غيره ؟

قلت لها وانا اغلى عيبك ياخوجايه رغم الدرس والعشرة والعيش والملح أنك لا تفهمين العصر الحميرى ولا تحاولين فهمه . ولماذا نفصله ولدينا من المارشالات اضعاف ما انجبت كل الأمم .

وقالت البنت وهى تصرخ ياه .. لديكم كل هذا العدد الوفير من المارشالات

قلت نعم ، والف مليون مرة نعم ، بل اننا بعد النكسة

قالت نكسة ؟ أى نكسة ؟

قلت : هى حرب انتهت بهزيمتنا وانتصار العدو الغاصب ، بعد عدوان غاشم

قالت : اذن هى هزيمة

قلت : نعم ولا فى الوقت نفسه ، فنحن فى العصر الحميرى نفضل استخدام الكنية على الاسم نفسه .. فاسماعيل نسميه ابو السباع ، ومحمود نسيمه أبو حنفى وأحيانا أبو طه وسليمان نسميه

ابو داوود ، وابراهيم نسميه ابو خليل ويوسف نسميه ابو حجاج .. والهزيمة نسميها نكسة .

قالت : ولكنك تقول انكم انهزمتم بعد عدوان غاشم .

قلت : نعم . وهذا الوصف بالنص كما جاء فى بياناتنا الحربية .

قالت البنت وهى تمصمص شفتيها وهل هناك عدوان لطيف وعدوان طيب ؟ مادام عدوانا ، فلابد ان يكون عدوانا غادرا وغاشما ولئيما ايضا .

قلت : ربما هذا فى بلادكم حيث الامور واضحة والاسما: محددة ولكن فى بلادنا الامر يختلف . فالفول المدمس يسمونه اللوز ، واحقر انواع اللحوم يسمونها الحلويات ، والفجل يسمونه الورور ، والهزيمة اسمها النكسة .

قالت : وماذا فعلتم بعد النكسة ؟

قلت : فصلنا بعد النكسة عشرين مارشالا

قالت : يا خبر اسود عشرون مارشالا مرة واحدة ، وان فرنسا نفسها لم يات فيها مارشال بعد بيتان . والمانيا نفسها كان فيها خمسة مارشالات فى زمن هتلر . فكيف تفصلون عشرين مارشالا فى ضربة واحدة ؟ الا تعرفون ان رتبة المارشال لا تعطى الا لمن اضاف للفن العسكرى اضافة جديدة وان كل مارشال يبقى مارشالا حتى الموت ، اذا نشبت الحرب يستدعى على الفور الى الخدمة حتى ولو كان فى ارذل العمر .

قلت : الحمد لله ، لدينا الان مارشالات يقضون وقتهم فى لعب الطاولة . المارشال السلال والمارشال خليفة والمارشال عجنون والمارشال الجمصى ، وكان لدينا مارشال اسمه عبدالسلام عارف مات فى حادث مؤسف ، وكان لدينا مارشال اسمه عبدالحكيم عامر انتحر بعد الهزيمة ، اقصد بعد النكسة .

قالت هذا مارشال عظيم ، تصرف كما يتصرف المارشال . فالمارشال كالقبطان ، اذا غرقت السفينة غرق معها .

قلت : ولكن مارشالنا لم ينتحر لهذا السبب . فهو بعد الهزيمة راح يناضل من اجل الاستيلاء على السلطة . ولما فشل انتحر .

قالت البنت : وهل أصبح لديكم الآن مارشالات بعد هؤلاء الذين

ماتوا وهؤلاء الذين انتحروا وهؤلاء الذين خرجوا من الخدمة ؟

قلت : نعم ، والف مليون مرة نعم .. لدينا من المارشالات على كل لون .

قالت : يا حظكم . وعلى هذا فأنتم ترهبكم الامم وتخافكم الجيوش وتعمل حسابكم الدول .

قلت : بالعكس ياخوجاية بل نحن مطمع لكل الدول ، وارضنا العربية محتلة بأحقر عساكر أهل الأرض . صحيح عندنا بقعة من ارضنا شبه مستقلة وبقعة تقاتل من اجل ذلك وبقعة مغتصبة وبقعة لا هى مستقلة ولا هى محتلة . ولكنها شىء على رأى طه حسين بين بين .

قالت : ولماذا لا تسعون الى التحرير ولديكم كل هذا العدد الهائل من مارشالات البر والبحر والجو ؟

قلت : حاولنا ذلك مرات . وبعد ثلاث حروب مريره ذهبنا الى الحرب الرابعة وخضناها من اجل التحريك .

قالت : تقصد التحرير .

قلت حاشا لله . بل اقصد التحريك ، فقد اردنا فقط ان نحرك القضية لكى تتولى امريكا بعد ذلك حل القضية بالمناقشة والمناغشة .

قالت : اذن انتم تريدون شراء قطعة ارض اخرى تضيفونها الى ارضكم .

قلت بل نريد استرداد ارضنا التى اغتصبت منا .

قالت وهل تسترد الارض بالمناقشة والمناغشة ؟ قلت : حتما ، فعندما نجلس معا ونتباوس معا ونتباحث معا وتدور علينا أكواب الشاى واقداح القهوة ، نقسم بالله ان ناخذ غزة ونخجل من كرم اليهود ونعطيهم اريحا . نقسم بالطلاق ان ناخذ القدس لكى نذهب اليها ونصلى ، ويرق قلبنا فنعطى الخليج لليهود لكى يذهبوا ايضا اليها ويصلوا . وهكذا تحل القضية فى الصينية وتعالج القضايا فى المرايا وتعزف المزيكا فى البوليتيكا ، وقدامك سكة سفر قولى ان شاء الله .

قالت البنت وهى تغالب النعاس طيب ، ومارشال البر والجو والبحر ما حاجتكم اليه اذا كانت الأمور هكذا سهلة هكذا وهلة ؟

قلت   لأن لدينا أعمالا أخرى   صحيح ليست محورية . ولكنها ضرورية . فمع ان عدونا الحقيقى معروف والطريق اليه واضح ومرصوف . لكننا بعد ان انتكسنا . رحنا نجرب مارشالاتنا فى اتجاهات اخرى غير الاتجاه الذى ينبغى ان نتجه اليه . احد مارشالاتنا عمل خلفا در واتجه الى لبنان . ومارشال أخر عمل خلفا در واتجه شرقا . ومع ان طريقه الطبيعى ان يتجه غربا . ومارشال ثالث عمل خلفا در وتوغل فى افريقا   ولدينا حروب محلية صنع بلدنا . القتلى فيها من ابنائنا والاسرى فيها من اولادنا . ونحن فيها المنتصرون والمنهزمون . حزب الله ضد حزب الملائكة ومنظمة امل ضد منظمة حنان ، وجعجع ضد عون ، ولدينا فى البقاع الف قائد مقاتل . ويبدو انهم اكتشفوا ان قتال الاعداء صعب ، فقاتلوا انفسهم . ابو نضال ضد ابو كفاح ، وابو موسى ضد ابو عيسى ، وابو خنجر ضد ابو مطوة قرن غزال ، وابو سكين ضد ابو ساطور . وهم يكرون داخل بلادنا ويفرون داخلها ايضا ، ومدننا هى ساحة معاركهم ، وبيوتنا على رأس الاهداف المطلوب تدميرها والمعارك فى الشوارع مستمرة . واطلاق النار عمال على بطال . والثورة قايمة والكفاح دوار !

● ● ●

قالت البنت الفرنساوية وهى تستمع فى شغف وتنصت فى اعجاب   وهل هذه المعارك للتدريب تمهيدا لقتال الاعداء ؟

قلت : بل هى الهدف غاية المراد من رب العباد .. ولدينا الان والحمد لله اسرى من بيروت الغربية فى بيروت الشرقية . واسرى من بيروت الشرقية فى البقاع ، واسرى من البقاع فى جبل لبنان ، واسرى من جبل لبنان فى جبل الدروز واسرى من الشوف فى طرابلس . وعندما تتطور الحرب بإذن الله سيكون لدينا اسرى من طرابلس فى دمشق واسرى من دمش فى بغداد واسرى من بغداد فى طرابلس الغرب واسرى من طرابلس الغرب فى تونس الخضراء واسرى من تونس الخضراء فى الجزائر واسرى من الجزائر فى المغرب واسرى من المغرب فى موريتانيا واسرى من موريتانيا فى عدن واسرى من عدن فى صنعاء واسرى من صنعاء فى الصومال :

قالت : البنت وقد صعقتها المفاجأة : ولكنكم بذلك تخلقون واقعا جغرافيا جديدا

قلت بل هي حيلة ذكية لاعادة توزيع السكان فالجزيرة العربية مثلا مساحتها ملايين الاميال وليس فيها سوى حفنة من السكان والعراق يتسع لخمسين مليونا وليس فيه الا عشرة ملايين نسمة : ومصر يكفيها عشرون مليونا وفيها الان خمسون مليون نسمة

قالت ولماذا لا يرحل بعضكم بطريقة سلمية .بدلا من الحرب والاسر ووقف الحال ؟

قلت لاننا في العصر الحميرى لا نجيد الا الرفس والنطح والاقتحام بغير استئذان ، ولان لدينا حمير حصاوى وحمير اخرى غلبانة من الجوع والضياع . فالانتقال من قرية الى اخرى يحتاج الى تاشيرة واحيانا يحتاج الى كفيل . ولذلك ترين ان الحروب هى اصلح طريقة لتحقيق الهدف المنشود

قالت البنت الفرنساوية وقد ساحت وناحت : ولكن من اين لكم كل هذا السلاح الذى تحاربون به بعضكم البعض على مدى الاربع والعشرين ساعة ؟

قلت : السلاح عندنا على قفا من يشيل نستورده بالمليارات من الخارج ونصنع بعضه بايدينا واغلبه يصدا لدينا في المخازن . لان حروبنا الاهلية المحدودة ليست في حاجة الى كل هذا السلاح

قالت ولماذا تستوردونه ؟

قلت لان السلاح كالسفر له سبع فؤاد . عمولات وسمسارات وسفريات لزوم المعاينة والاختبار والاختيار .

قالت وهل تشترون صواريخ من النوع المتعدد الدرجات ؟

قلت لدينا كل مالا عين رات ولا اذن سمعت لدينا طائرات اواكس من النوع الذى يسمع دبيب النملة في القطب الشمالى ويرى الغراب النوحي وهو سارح في فضاء الله . وكانت خمس طائرات منها معلقة في الجو عندما خرجت اسراب طائرات من بلاد الاعداء وقطعت الفا وخمسمائة كيلو ووصلت الى بغداد ونسفت المفاعل الذرى العراقي وعادت في سلام الله وامانه دون ان تراها الاواكس او تشعر بوجودها على الاطلاق

قالت : وهل لديكم مفاعل ذرى ؟

قلت : بل كان لدينا فى يوم من الايام قبل ان يدمره العدو ويحيله الى كوم من التراب

قالت ولديكم علماء ذرة إذن ؟

قلت : لدينا علماء ذرة ربما ضعف علماء فرنسا ، ولكن نصفهم هاجر واشتغل عند الامريكان ، والنصف الاخر قتلهم الاعداء واحدا بعد آخر .

قالت ولماذا لا تحمون علماءكم حتى لا يقتلهم الاعداء ؟

قلت : اننا نحرسهم والاعداء يقتلونهم فى نفس الوقت .

قالت : كيف .

قلت : نحرسهم من الخلف فيقتلونهم من الامام . نحرسهم من الامام يقتلونهم من الخلف ، نحرسهم من الامام ومن الخلف فيقتلونهم من الجنب ، نحرسهم من الجنب نحرسهم من الامام ومن الخلف فيقتلونهم من فوق أو من تحت . لم نعد ندرى من اين ياتيهم الموت ، مع اننا من حولهم ، حتى اقتنعنا فى النهاية بانها عين وصابتنا ، وان قتلهم هو نتيجة الحسد والقر . ولذلك اقترح بعضنا ان نعلق على المفاعل الذرى يفطة (ياناس ياشر بطلوا قر)

قالت البنت الفرنساوية وهل نفذتم هذا الاقتراح ؟

قلت : فى الحقيقة لم ننفذه بعد فقد أعترض البعض على العبارة واقترح بدلا منها . ما تبصليش بعينك الرضية بص-للفلوس اللى مدفوعة فيه) .

قالت البنت الفرنساوية وما الفرق بين العبارتين ؟

قلت : بالفعل هناك فرق . وهو فرق رهيب وجوهرى ويتملكك مع الشعور الإنسانى فى الاحباط اللانهائى الكامن فى اغوار النفوس دونما احساس . فعبارة (ياناس ياشر بطلوا قر) فيها فعل أمر ، كما ان فيها اتهاما للناس بانهم اشرار . وهى امور لا تتفق مع قيمنا وعاداتنا وحضارتنا التى تمتد فى التاريخ الى سبعة عشر الف عام . أما (ما تبصليش بعينك الرضية وبص فى الفلوس اللى مدفوعة فيه) فهى عبارة فيها طلب وليس فيها أمر . كما ان بقية العبارة (بص

للفلوس اللى مدفوعة فيه) تؤكد اننا فى عصر الانفتاح ، وأن عجلة الانتاج دوارة كما الكفاح .

وقالت البنت الفرنسلوية ـ ولماذا لم تعلقوا هذه العبارة مادامت افضل ؟

قلت لأن هناك رأيا ثالثا اقترح عبارة (لا يفل الحديد الا الحديد) ولكن هذا الرأى وجد معارضة شديدة وتصور البعض انها دعوة للاعداء لكى يأتوا ويهدموا المفاعل الذرى تبعنا ، باعتبار انه حديد ولا يفله الا حديد قادم من بلاد الاعداء

قالت وماذا فعلتم ؟

قلت : لا شيء . مازلنا نفكر ونفكر . ونفكر ثم نعود لنفكر ، ونفكر ثم نتوقف لنفكر ، وسيظل التفكير مستمرا والنقاش على ودنه . وهل الفرخة قبل البيضة ام البيضة قبل الفرخة ؟ وهل الملائكة من صنف الذكور أم انهم من صنف الاناث ؟ وهل الانسان مسير ام مخير ؟ وهل الامام معصوم؟ وهل القران مخلوق ام موجود ؟

قالت البنت ثم ماذا بعد ذلك ؟

قلت لا شيء بعد سوى البغبغة والكلام

قالت : والمفاعل الذرى ؟

قلت لقد ضربه الاعداء فاستحال الى كوم من التراب .

قالت اذن فلا داعى

قلت بالطبع لا داعى لليفطة ؟ .

قالت ولماذا النقاش اذن حول اليفطة ؟

قلت لان النقاش هو غايتنا والموت فى سبيل الكلام هو اسمى امانينا .

قالت : اذن كف عن الكلام ايها الحمار ، وتعال بنا الى المناغشة والغرام .

مارس ١٩٩٠

● ● ●



حمــير .. ولكــن كرمـاء

قالت البنت الفرنساوية وهي تسحبنى من يدى فى طريقنا الى الريف الفرنساوى : فى حديثك عن بلادك ايها الحمار الطيب ذكرت الصحراء اكثر من مائة مرة .. فهل افهم ان بلادكم كلها صحراء عجفاء شمطاء وضامرة ؟

قلت : الواقع ايتها الست الخوجاية ان الصحراء فى بلادنا لها مكانة ، وتسعون فى المائة من بلادنا صحراوات ، ونحن نحب الصحراء ونعشقها لدرجة اننا انشأنا جمهورية جديدة اسمها الجمهورية الصحراوية تعبيرا عن حبنا للصحراء واحتراما لها !

وشاعرنا الاكبر عمك ابو الطيب المتنبى قال ذات مساء وهو هارب من حاكم الى حاكم اخر

اما الأحبة فالبيداء دونهم

فليت دونك بيدا دونها بيد

وقد ذكر الصحراء كما ترين ثلاث مرات فى بيت واحد ، والصحراء لها عندنا اكثر من اسم ، فإسمها فى شهادة الميلاد الصحراء واسم الدلع البيداء ، واسم الشهرة القفر ، ولها اسماء اخرى كالجبانة والفيافى والخلاء

ولكن هذه الصحراء نفسها هي التي صنعت امجادنا في أول الأمر في ذلك الزمن المجيد البعيد وقبل ان نتحول من بني ادمين الى حمير انجبت الصحراء كل ابطالنا الميامين من أول عنترة العبسي الى خالد ابن الوليد الى عمرو ابن العاص الى سعد ابن ابي وقاص الى ابو عبيدة بن الجراح الى موسى بن نصير الى طارق بن زياد الى صقر قريش

وكانت هذه الصحراء هي السبب في تفتيح العقول وتفتح العيون معا ، ولأنه لاحاجب ولاحاجز بين الصحراء والسماء ، فقد سرحت عقول اجدادنا في الكون ومنشئه والحياة واصلها ، وبعد ان حارت الافهام والالباب جاء نداء السماء ليهدي المتعبين والحيارى وكانت الرسالات السماوية والارشادات الالهية .. ولأن كل شيء كان عندنا واضحا ومبينا .. فقد جاءت الاشارات واضحة هي الاخرى والعلامات بارزة .

ومع ان مبعوث السماء نشأ في اعماق الصحراء الا انه اول من وضع للناس قانون الاجراءات ، فلكي تكون التهمة صحيحة لابد أن تكون الاجراءات صحيحة والا سقطت التهمة ولو كان المتهم مدانا بالفعل . ذلك كان زمان ومضى ، ولكن بعد دخولنا في العصر الحميري .. صار من حق كل امير جماعة له سكسوكة ان يقبض على من يشاء وقت ان يشاء وان يعاقبه على من يشاء وقت ان يشاء وان يعاقبه بالشبهات واحيانا بالشائعات .

ولدينا الان جماعات تنتسب زورا الى السماء تحكم بالكفر على جميع الناس وتحتكر الايمان لأنصارها مع ان مبعوث السماء نفسه عفا عن الطلقاء وأعلن قبوله لهم في ملكوت السماوات ، وهم الذين حاربوه واضطهدوه وطردوه وطاردوه ، ولكن رسول السماوات نفسه عفا عنهم لان رحمة الله واسعة وملكوته يتسع للجميع

قالت البنت الفرنساوية وهي تشهق : هل هذه الجماعات وهؤلاء الامراء هم كل المشتغلين بالدين في الوقت الحاضر ؟

قلت : لا هناك كثيرون .أ إذا كان هؤلاء حولوا الشريعة السمحاء الى مطواة قرن غزال والى عبوة متفجرات ، ففي المقابل يوجد رجال دين رسميون بعضهم حول الشريعة الى بحر من الجهل ، وبعضهم

حولها الى وسيلة للاسترزاق . اما الجهلاء فقد اعلن احدهم منذ فترة بأنه التقى برئيس الجن وانه تاب على يديه وعقد قرانه على جنية مسلمة .

قالت البنت الفرنساوية : وهل هناك جن يهودى وجن مسيحى وجن بوذى وجن يعبد النار ؟

قلت : لم يذكر لنا العالم اياه سوى انه التقى بالجنى الكافر وان الجنى الكافر اهتدى بعد المقابلة واستتاب .

قالت البنت : الم يلتقط عالمكم الفاضل صورا فوتوغرافية للجنى التائب أو سجل المقابلة على شريط فيديو ؟

قلت : عالمنا الفاضل لم يفعل ذلك لأن التصوير عنده حرام والفيديو عنده أم الكبائر ولذلك فهو يحرم على الناس كل شيء لم يكن مستخدما ايام الرسول .

قالت : اذن هو يرتدى ثيابا بدائية وينتعل نعلا من جلود الاغنام ويقطع المسافات سيرا على قدميه .

قلت : بالعكس ياخواجايه فكل احذيته صنع بالى السويسرى وثيابه بعضها من صنع اليابان وبعضها من افخر مصانع الصوف فى لانكشير . ولديه حسابات فى البنوك ودفتر شيكاته اطول من كشف ذنوب العصاة والمذنبين . ولديه تليفون دولى وتلكس وفاكس .

قالت البنت : ولماذا يمنع استخدام كل الالات والاختراعات التى لم تكن موجودة فى زمن الرسول ؟

قلت : لم يسأله احد .. وحتى اذا سأله احد فهو لن يجيب لأنه هو الوحيد المسئول عن توضيح ما هو حلال وما هو حرام . هو الوحيد الذى يعرف الفرق بين الحق والباطل . كما انه الوحيد المكلف بتوصيل الرسالة فى هذا الزمن الطيب على العموم هذه مسائل جرنا إليها حديثنا عن الصحراء وكيف أننا نموت فى دباديبها !

ولكن ليس معنى ذلك اننا بدو نسكن فى بيداء بل عندنا مزارع ولا مزارع كاليفورنيا ومدن ولا مدن اوروبا وشوارع ولا شوارع النمسا وساحات ولا ساحة الكونكورد فى باريس . وعندنا حدائق ولا التويلرى وانهار ولا نهر السين وعندنا ايضا تلال وجبال ولا جبال الالب . ومع ذلك لا نقف مكتوفى الايدى بل لدينا برنامج كامل لقهر

البيئة وقد قطعنا فى هذا الطريق خطوات ما ابعدها وما اسعدها

قالت البنت الخواجاية : خبرنى ايها الحمار المتمرس عن هذه الخطوات البعيدة والسعيدة فما اسعدني عندما اسمع انكم بالرغم من حموريتكم تنشدون الامثل والاكمل فى الحياة .

قلت : عندنا يا خواجاية فى بعض اجزاء من بلادنا العربية جزر كانت مهجورة ومطمورة ودرجة الحرارة فيها أعلى من جهنم ودرجة الرطوبة تصيب الكائنات الحية بالاختناق ولكننا زودناها بالهواء المنعش وزرعناها بالورد المزركش وصبغناها بالطلاء المبرقش ، وجعلناها مثل سفينة نوح فيها من كل زوجين اثنان . حمير تلاقى ، اسود تلاقى ، نمور تلاقى ، قرود تلاقى .

واستوردنا لها غزلانا من لندن وباريس تسرح فى الجزيرة وتمرح ، غزلان بالبكيني ، وغزلان زلط ملط ، وغزلان سبحان الذى صور والذى كور والذى جعل الصدور بهذا البروز والبذوذ !

قالت البنت مندهشة ومنبهشة : غزلان من لندن وباريس تستوردون ؟ نحن نستورد الغزلان من بلادكم

قلت لانكم تسوردون غزلان للفرجة والمشاهدة ولكننا نستورد غزلان ، العيون زرق والشعر اصفر والنهود كما الجنود واقفة ومستعدة ، والرقبة كما العقبة والاكتاف يا خفي الألطاف ، والعيون ولا الصحون ، والرموش ولا ورق شجرة كرموش ! غزلان لزوم المزاج والفرفشة وهى فى النهاية لكى يعود الشيخ الى صباه .

قالت البنت وفمها مفشوخ على الاخر من شدة الانبهار : ما أكرمكم من قوم تقهرون الطبيعة وفى نفس الوقت تحاولون تحسين النسل اليس كذلك ؟

قلت : لا الحكاية ليست كذلك ولكننا فقط نحاول ان ننفتح على كل دول الارض ولكن الانفتاح يتم على طريقنا وبأسلوبنا وبالشكل الذى يعجبنا .

والحوار العربى الاوروبى شغال فى هذه الجزر صباح مساء على ودنه ، وهو حوار لا ينتهى لانه حوار صامت بالرغم من انه حوار يستهدف التجارة والبيض الامارة ، ولكنه وان كان حوارا صامتا الا انه تتخلله شهقات وهمهمات .

قالت البنت الفرنسلوية : فرفشة ومتعة وفهمنا ، حوار عربى اوروبى بأسلوبكم معقول ، ولكن اين هى التجارة فى هذا الامر الغريب ؟

قلت : يا سلام ! بل هى فى بلادنا انشط تجارة واربح تجارة ، واذا كانت لدينا تجارة كثيرة رابحة فاربحها على الاطلاق هى تجارة الاجساد . والبنت التعبانة الدهبانة اذا حضرت من بلادكم عندنا وقضت شهرا فى جزيرة من الجزر اياها ـ عادت ومعها هدايا بعدة الوف وشيك بعدة اصفار وسيارة اخر طراز لزوم الفسحة والانتقال .

قالت البنت وقد شهقت وجزعت : مش معقول ! لا شك انك تبالغ ، كل هذه الاموال من اجل شهر حب واحد ؟

قلت : واحيانا من اجل ساعة حب واحدة ، واحيانا بدون مقابل على الاطلاق . وحدث ذات مرة يالخواجاية ان محل هارودز الشهير فى لندن الذى اشتراه اخيرا واحد مصرى اسمه فايد وتشاجر معه واحد اخر اسمه رونالد . وتبنت جريدة الوفد قضية فايد على انها قضية المستقبل ، واعتبرت شراء فايد لمحل هارودز علامة من علامات التغيير وهدفا من اهداف الديمقراطية ! هذا المحل الذى اشتراه الفايد حدث فيه حادثة منذ سنوات لا يصدقها عقل او عكل على رأى الست شويكار .

ذهبت سيدة بريطانية شردوحه وسنكوحة تشتغل فى محل اسمه البلاى بوى واشترت بالطو من الفرو الفاخر ثمنه مائة الف جنيه استرلينى كل جنيه ينطح اخاه ، وقالت لصاحب المحل وهى تتثنى وتتلوى ، قيد الثمن على حساب الشيخ فلحان . وفى اخر العام عندما حان الوقت لارسال الفواتير للعملاء اكتشف محل هارودز ان لديه عشرة مشايخ اسمهم فلحان وفشل الكمبيوتر فى معرفة من هو فلحان المقصود الذى ينبغى عليه ان يدفع مائة الف جنيه استرلينى ثمنا لبالطو السيدة السنكوحة التى اخذت البالطو واختفت فى زحام الناس ؟ .

واهتدى المحل الى حل يضمن له فلوسه ، وهو ان يرسل فاتورة لكل فلحان وبالطبع سيدفع الذى اشترى للسنكوحة وسيرفض الاخرون ، وقد يشفعون رفضهم باحتجاج ولكن النتيجة كانت

مدهشة للغاية .. فقد دفع العشر فلحانات الثمن على الفور لم يرفض احدهم ولم يحتج فمن يدرى ؟ ربما هو الذى اشترى ولكنه نسى ذلك فى مشاغل الحياة ، ثم ان الفلوس وفيرة والحمدلله عند جميع آل فلحان . وخسارة مائة الف جنيه استرلينى افضل من السؤال والاحتجاج . ومن يدرى ؟

فقد يسبب السؤال بعض الاحراج ، وقد يتسبب الاحراج فى فضيحة لا يعلم مداها الا الله !

قالت البنت الفرنساوية وهى تدق صدرها بقبضة يدها : اذن هناك تسعة من الفلحانات دفعوا مائة الف جنيه استرلينى ثمنا لشىء لم يحصلوا عليه

قلت لا شىء يهم يا خواجاية على راى احسان عبدالقدوس . فالفلوس وفيرة والله جاب الله خد . هى فلسفة ابناء العمومة والاشقاء

قالت البنت الفرنساوية اذن فهؤلاء الناس يتبرعون بالملايين لمراكز البحث ومعاهد العلم والجامعات ؟

قلت : بالعكس لا تبرع لمثل هذه الاشياء . فالدولة هى المسئولة وليس الناس . وكل حى مسئول عن مزاجه ومسئول عن نزواته ، وفى هذا المجال فليتنافس المتنافسون

أعرف حمارا من ابناء العصر الحميرى ذهب الى لندن للعلاج . كان مريضا بفعل الشيخوخة وانتهاء العمر الافتراضى . ولكنه بالرغم من ذلك وقع فى حب الممرضة الانجليزية القشطة فتزوجها على سنة الله ورسوله مع انه فى الثمانين وهى فى العشرين ودفع لها نصف مليون جنيه استرلينى مقدم صداق . وبعد شهر عسل فى فندق ريفى حجزه لنفسه طلقها بعد ان دفع لها مليون جنيه مؤخر صداق اى انه اشترى شهرا من عمر البنت بمليون ونصف مليون جنيه استرلينى ، هذا عدا الهدايا والهبات . ويقال ان من بين الهدايا بيتا ريفيا تحيطه مزرعة فى اسكتلندا . وبيتا صيفيا على شاطىء البحر فى برايتون ، وعقدا من الاحجار الكريمة الخام قيل ان ثمنه ثلاثة ملايين من الدولارات

واعرف حمارا آخر يكتب على بطاقته القابه ووظائفه وصفاته

الأمير الطيار المهندس السفير العقيد المفكر المخترع المؤلف المثقف العالم المقاتل الشيخ رئيس الاتحاد الأوليمبى والترسانة ايضا والامين العام للمجمع العلمى ركن الدولة والدين الشيخ فلان الفلانى ابو ريحه وسخة !!

وأعرف حمارا آخر كتب عنه الاديب على سالم مقالا على صفحات جريدة الأهالى الغراء بعنوان شيخ مشايخ المجلس الاعلى للكستور، وهو شيخ ريحته وسخة وهو الاخر استهواه قماش الكستور فانشا له مجلسا اعلى فى لندن وصار شيخه الاوحد وامامه الاكبر ودعا جميع الاتباع والانصار الى ارتداء الكستور والدخول فى الحلقة الكستورية تمهيدا للقضاء على الاستعمار وتحرير القدس من براثن الصهيونية وتحرير اسبانيا من براثن الاسبان !! والمدهش حقا ان ادباء كبارا الفوا كتبا فى عبقرية الشيخ الكستورى وقارنوا بين وجهه ووجه النبى، وبين سماحته وسماحة الامام جمال الدين الافغانى باعتبار ان كله عند الحمير صابون.

● ● ●

افغانى أو كستورى لا فرق، ولا شىء يهم على رأى إحسان عبدالقدوس. وقصص حميرنا الأثرياء لا تنتهى وسردها يحتاج الى مجلد ضخم ياخواجاية قد تنتهى صفحاته قبل ان ينتهى السرد. ومع أننا سمعنا على ملايينهم التى اهدرت على موائد القمار، وضاعت بين افخاذ الراقصات، الا اننا لم نسمع عن مليم واحد تبرعوا به لمستشفى او جامعة أو لمريض مسكين من ابناء السبيل.

والادهى انه فى المناطق الغنية من بلاد الحمير يذهب المهندس أو الطبيب أو استاذ الجامعة ليتقاضى ستمائة جنيه فى الشهر وهو يكاد يطير فرحا، باعتبار ان طاقة ليلة القدر قد انفتحت له .. مع ان هؤلاء الحمقى يعلمون علم اليقين ان اى بنت سنكوحة من السكسون او من الجيرمان أو من الوندال تتقاضى فى ساعة واحدة مرتب ستة من هؤلاء فى عشرة أعوام!

قالت البنت الفرنساوية وهي تزغدني في صدرى وتشدني من اذني : تقول نتقاضى في ساعة واحدة مرتب ستة من هؤلاء في عشرة اعوام ؟ .

قلت : هذا المبلغ يدفع للسنكوحة .. فما بالك بالليدى والبارونة والكونتيسة وملكة الجمال ؟

قالت : اذن وداعاليها الحمار الغشيم ، انا ذاهبة الى بلادكم في التو واللحظة !

قلت : لا ورب الكعبة لا اتركك تذهبين .. لأن الدرس ياخواجاية لم ينته بعد ، فتجلدى وصابرى وثابرى فمازال في العمر بقية ومازالت هناك عن العصر الحميرى قصص وحواديت وحكاوى وروايات !

قالت البنت وهى تغالب النوم : الله يخيبك ، جعلتنى اكثر شوقا لرؤية العصر الحميرى في الواقع وعلى الطبيعة ، امنيتى الان ان اعيش حياتى مع الحمير واستحمر !

قلت على مهلك ياخواجاية . فكل شيء وأى شيء .. بأوان !

١٩٩٠/٤/١

● ● ●



النشــوء .. والانحنــاء .. !

استيقظت البنت الغندورة وهى آخر عكننة وآخر كلضمة . سألتها مالك ؟ قالت سودت عيشتى وعكننت مزاجى وجعلتنى مرة ارثى لحالكم ، ومرة أخرى لحالكم على ما انتم فيه ! قلت ترثين لحالنا مفهوم ، تحسدينا على ما نحن فيه ، هذا هو الذى يغيظ حضرتنا : فأنا لا ارى اى شىء نحسد عليه ، الا اذا كان حسدك من باب .. حسدوا البيه على طول شنبه ! قالت بالعكس لقد صورت لى بلادكم على انها صحراء حولها صحراء وبيد دونها بيد على رأى حضرتكم ، يتخللها جزر هى الجنة بعينها ، وكالجنة ليس فيها جرائد تصدع الرأس ، ولا اذاعات تقلق المزاج ، ولا تليفزيونات تثير غضب الحليم .

قلت : بالعكس ياخواجاية ففى بلادنا صحف بعدد شعر رأسك ولدينا اذاعات شغالة طول النهار وطول الليل ، وخارج منها مزازيك وأصوات عِمال على بطال .

وعندنا التليفزيونات مصابة بإسهال الحلقات وبعض هذه الحلقات دخل التاريخ من اوسع باب ، حلقات المرأة اللى اكلت ذراع جوزها ، ورجل بين امراتين ورجل واحد وثلاث رحلات ، ولكن قمة هذه الحلقات كانت بعنوان امرأة واحدة وثلاثة رحلات ، وحصلنا على الاوسكار مرة بحلقات خنجر فى الظلام ولدينا افلام بعدد الحصى فى الصحراء وعندنا ابطال سينما مصابون بالسل ، ولكنهم على الشاشة يضربون كل ابطال الملاكمة من أول تايسون مرورا بمحمد على كلاى . وانتهاء بجولويس . واغلب افلامنا تحمل عناوين جذابة تخطف الابصار والالباب : تعاليلى يابطة ، دكتور الحقنى .. الحقنى ياخويا الحقنى .

● ● ●

وفى بلادنا كل امرأة صوتها مسرسع مطربة ، وكل مخمور يتردد على مواخير شارع الهرم سميع .. ومن جدة الى راس الخيمة تقطعها الطائرة فى ساعتين ، وهى نفس المسافة من لندن إلى روما ، ولكن على امتداد هذه المساحة من بلادنا لدينا عشر محطات تليفزيون ملونة و١٣ محطة اذاعة تغطى كل القارات ، وست محطات للاقمار الصناعية ..

شهقت البنت وانزعجت ، وقالت : إذن عندكم برنامج للفضاء ؟

قلت عندنا فضاء ليس بعده فضاء ، ولدينا فراغ من هنا والى يوم القيامة ..

قالت وعندكم مركز لاطلاق الصواريخ بالطبع ؟

قلت : صواريخنا على قفا من يشيل ، ونطلق اسم الصواريخ على السجائر الملفوفة بالحشيش

قالت : غريبة .. مادامت عندكم هذه النهضة المباركة والبنطلونات الهيلانكة فلماذا لا يقوم اعلامكم بتقديمها للعالم وتعريفها للكون ؟

قلت : فى الواقع اعلامنا لا يهتم كثيرا بالخارج ، ولكن اهتمامه الحقيقى بالداخل والذى وضع الحجر الاسلسى فى نهضة اعلامنا هو فيلسوف الاعلام فى هذا العصر الحميرى ، وهو دكتور وحاكم وقادر وخبير من خبراء الهلسفكيشن . وهو رجل معجزة بكل المقاييس لأنه

خبير اعلام مع ان شهادة الدكتوراه تبعه كانت عن تفسير عبارة لاتين ولاعنب زيك يامشمش !

وهو فى الاصل تلميذ للفيلسوف الاغريقع الشهيج عمر الجيزاوى صاحب النظرية الفلسفية الشهيرة : اتفضل شاى لا انا متشكر ، كما انه تلقى العلم على يد شاعر جاهلى مشهور صاحب المعلقة الخالدة (إسال دموع عنية اسال مخدتى) . هذا الرجل المعجزة استطاع يوما ما ان ينتج مسرحية كل خمس دقائق وان يصدر كتابا كل ربع ساعة وان يخرج فيلما كل ليلة خميس ! وهو فى الحقيقة كان سر انتصار العصر الحميرى فى حرب الايام الستة والفضل فى الانتصار كان لفلسفته العميقة التى تقول ان الاعلام مجرد عوعوة ووعوعة وهلضمة وفتح عينك تاكل ملبن ياصاحب الحظ والنصيب !

وكان الدكتور اياه صاحب فكرة نشرة الأخبار التى تركز على ضيوف بلادنا الكبار ، وتسلط الكاميرا على الطائرة وهى فى الجو ، ثم الطائرة وهى فى الارض ثم خروج الضيف وصحبه الكرام ثم مشية الاوزة على البساط الأحمر ثم استقبال الضيف بالاحضان والقبلات ثم تقديم الزهور والورود والريحان ثم مصافحة جميع المستقبلين من أول رئيس الوزراء الى شيال الشنط فى المطار ، ثم تطارد الضيف فى سيارته وامامه الموتسيكلات تصرخ كما ذئب مجروح فى ظلام الليل ثم دخول الضيف الى قصر الضيافة وتظل تدور خلفه وهو يأكل ويشرب وهو يدخن ولا تفارقه الا عندما يرتدى جلبابه لينام !

ضربت البنت على صدرها بشدة وقالت : اذن لا توجد اخبار فى نشرة الأخبار

قلت بل هناك الكثير من الأخبار ؟!

تصريحات للوزير ومقابلات البيه المامور مع البيه الغفير ثم درجة حرارة الجو فى رأس الخيمة وفى الدوحة وفى كفر الدوار وفى طبرق وفى الجزائر وفى تطوان .

قالت البنت واخبار العالم ؟ قلت : مالنا نحن والعالم . وما الذى يهمنا فيه ؟ لقد اكتفينا بما لدينا ، ومالدينا هو أهم الحوادث والأخبار .

قالت : ان رجلا مثل هذا هو فلتة من فلتات العصر ، لو كان فى بلاد غير بلادكم لكرموه ومنحوه الهدايا والجوائز والاكراميات

قلت : الحمد لله لأننا فعلنا نفس الشيء وهو الان يتربع على قمة المجالس الكونية المتهندسة .

قالت اذن هو خبير فى الهندسة ؟ .

قلت : بالطبع .. والدليل على ذلك انه يعتقد ان ابي العلاء المعرى هو من كتاب الادب المكشوف ، ويؤمن بان الجزائر هى مكان لانتاج الفجل والسبب ان باعة الفجل .. فى بعض اجزاء من بلادنا ينادون عليه (فجل الجزائر ياورور) .

قالت البنت وقد هاجت وساحت ياسلام عليك ، ما اخبثك ياحمارى الحمار ، تنقلنى الى عوالم غريبة ودنيا عجيبة وتجعلنى اصعد واهبط فى غمضة عين ، ولكن خبرنى هل الشاعر الجاهلى اياه ترك لكم تراثا تعتزون به ؟

قلت : بالطبع لقد ترك لنا ديوانا واحدا ولكن بثلاثة اسماء .. ففى عهد الملك اصدر ديوانه بعنوان الملك الصالح ، فلما ذهب الملك وجاءت الثورة اعاد الشاعر طبع ديوانه ولكن تحت عنوان الثورة المباركة ، فلما خفت صوت الثورة وأفل نجمها اعاد الشاعر طبع ديوانه للمرة الثالثة وفى هذه المرة كان بعنوان الصحيح فى التصحيح .

قالت البنت مندهشة : ولكنها عبقرية فذة ان يصدر الشاعر ديوانا واحدا فى ثلاثة عهود مختلفة .

قلت فى الواقع العهود مختلفة ولكن الموضوع واحد ، فالشاعر مداح .. مدح الملك والثورة والتصحيح بقصيدة واحدة وكان بيت القصيد فيها قوله

وخير الحق انك من هواء
وكل العاملين لكم سواء
ولو كانت ببطن الأرض دول
لكانوا فى الهوى أو فى الهواء !

ان الشاعر بياع وقد باع بضاعته لكل الزبائن بعد ان اوهم كل زبون ان يبيعها له وحده . وهو هنا يسير على درب مواطن فى بلادنا لا اذكر اسمه يمتلك دكانا لبيع الكباب فى حى عابدين كان اسم الدكان حاتى الملك . فلما ذهب الملك سماه حاتى الثورة . فلما ذهبت الثورة اطلق على الدكان اسم حاتى الانفتاح

لقد تغيرت الاسماء لكنه يبيع نفس الصنف . ومع ذلك لم يكن الشاعر وحده فى الميدان . بل هناك من هو ادهى وامر .

قالت : هات ما عندك ايها الحمار قبل ان يطق لى عرق فى نفوخى فقد دوختنى وراءك فى مزايا العصر الحميرى حتى كدت اطلب من الله ان يقلبنى حمارة أهنأ بعيش الحمير

قلت : بعض رجال الاقتصاد فى بلادنا تولوا وضع اسس الاشتراكية واشرفوا على التأميم وطبقوا الاصلاح الزراعى وهم انفسهم الذين وضعوا اسس الانفتاح وسنوا قوانينه .

قالت : عباقرة واصحاب علم يضعون علمهم تحت امر الشرعية وفى خدمتها .

قلت : لو كان الامر كذلك لما جاءت سيرتهم فى هذا المجال ولكنهم ايام الاشتراكية كانوا اكثر حماسا من الخواجة ماركس ، واكثر بطشا من ستالين ، وفى ايام الانفتاح اصبحوا اكثر انفتاحا من ماركوس حاكم الفلبين واكثر عداء للاشتراكية من شاه ايران ولدينا مهندسون اشتركوا فى بناء السد العالى واشادوا بمناقبه وعددوا منافعه وكانوا هم اول من اقترحوا هدمه بعد ذلك ، ولدينا من اغتنى ايام الاشتراكية ولعنوا سنسفيل جدودها عندما انقلب الميزان ومالت الريح .

قالت : وما العيب فى ذلك ؟ ان بعض الناس تؤمن بشىء ثم تنقلب عليه عندما يكتشفون خطأهم والرجوع الى الحق فضيلة .

قلت آه ياخواجاية لم يكن هذا الموقف منهم رجوعا الى الحق ولكن رجوعا عن الحق .

قالت كيف وما هو دليلك على ذلك .

قلت : ياخواجاية فى بلادنا البعض منا يؤمن بنظرته ان جاء الطوفان حط ابنك تحت رجلك ويؤمنون ايضا بقول الشاعر : امل مع الريح اذا مالت والا فلحتمل ، ومادام الاحتمال غير متوافر فالميل اسهل واكسب ، وهم مثل شجرة اللبلاب تميل مع الريح فى كل اتجاه .

قالت : وشجرة اللبلاب تعيش رغم ضعفها ولو انها قاومت الريح لانكسرت . وهؤلاء الناس الذين يميلون مع الريح فلاسفة وحكماء .

قلت : الحقيقة ياخواجاية لاحكمة هناك ولا فلسفة ولكنها سياسة مشى حالك ، وفتح عينك تاكل ملبن ، وان كان لك حاجة عند الكلب قل له ياسيدى !

قالت البنت الفرنساوية هذه حكمة عميقة لم اسمع قط مثلها فإذا كان لك عند الكلب حاجة فكيف الحصول عليها اذا لم تقل له ياسيدى . هل انتم بوذيون .

قلت بل نحن فى الحقيقة حوذيون .

قالت لم افهم مرادك .

قلت لها : الحوذى ايتها الست الخواجاية هو عربجى الحنطور وهو يؤجر حنطوره لمن يشاء وبشرط ان يفعل ما يشاء اذا كان سكران يعربد كما يشاء ، اذا كان صالحا يتمتم بسم الله كما يشاء والعربجى منبسط ومنشكع فى الحالتين وآخر مزاج ليس له ان يرفض او يحتج فهو يؤجر حنطوره فقط وللمستاجر حق استغلاله كما يشاء وما على العربجى الا هز راسه علامة الموافقة والانسجام .

قالت : ولكنك لم تحدثنى بما فيه الكفاية عن اعلامكم لقد هربت من الموضوع كما تهرب العرسه من الثعبان .

قلت لان الموضوع شائك وخطير وكفيل بإدخال الهم على القلوب والالباب

قالت بالعكس اريد ان اسمع

قلت : كل عمدة على قطعة ارض من بلادنا لديه اذاعة لا شغل لها الا الاشادة بحكمته والافاضة بوصف عبقريته وانه هو وحده صمام الامن والامان وهو وحده الولى صاحب الكرامات والمعجزات اذا نطق بحديث اذاعته على مدار اليوم عشر مرات ، ليس الحديث وحده ولكن الحديث وصدى الحديث وتعليقات الدوائر السياسية على الحديث واهتمام كل الدائر بالحديث وما وراء الحديث

قالت البنت الفرنساوية يا له من عمل رائع الاذاعة تشغل نفسها بالحديث وما وراء الحديث والصدى الذى تركه الحديث والاثر الذى احدثه الحديث ما الخطر من وراء ذلك ؟

قلت : بعض مشايخ بلادنا ينسون انفسهم احيانا فيتحدثون فيما لايعرفون ، كنت فى احدى نواحى بلادنا ذات يوم ، واذا بى أسمع

حديث شيخها فى الاذاعة اكثر من عشر مرات فى اليوم ، وكان الحديث عن الحرب والسلام وتشابك المصالح واختلاف المقاصد والغايات .
ولم يقل الشيخ شيئا جول الموضوع ، وكل ما نطق به عشر كلمات كررها الف مرة وكان هذا هو كل الحديث الذى احدث اثرا فى العالم على حد قول الاذاعة ولا الأثر الذى تركته قنبلة هيروشيما على سير الحرب بين امريكا واليابان . عشر كلمات فقط نطق بها الشيخ (الله سبحانه وتعالى هو يخلق الانسان والانسان ما بيده شيء خالص)
اذا ساله المراسلون عن العلاقة بين الشرق والغرب قال العمدة : الله سبحانه وتعالى هو يخلق الانسان والانسان ما بيده شيء خالص .
يسالونه عن مصير البروسترايكا التى يرفع شعارها جورباتشوف يقول :
(الله سبحانه وتعالى يخلق الانسان والانسان ما بيده شيء خالص) يسألونه عن غزو امريكا لبنما فيرد (الله سبحانه وتعالى يخلق الانسان والانسان ما بيده شيء خالص) يسألونه عن الانتفاضة فى ارض فلسطين والنهاية التى يتوقعها للمشكلة فيقول (الله سبحانه وتعالى يخلق الانسان والانسان مابيده شيء خالص) .
قالت البنت الفرنساوية وقد فتحت فاها دهشا واعجابا : ان حديثا مثل هذا ينبغي ترديده فى اليوم اكثر من مائة مرة ويبقى الاهتمام بأثره فى انحاء العالمين ورصد ردود الفعل من حوله .
فحديث مثل هذا هو غاية فى الحكمة وآية فى الكمال .
قلت كيف ياخواجاية اشرحي لى .
قالت : ان الرجل صاحب الحديث لا يريد ان يفصح عن رايه بصراحة ولكنه يلجا الى الاشارة دون الاثارة ويكتفي بالتلميح دون التصريح وترك كل شيء لارادة الله سبحانه وتعالى . يسالونه عن الانتفاضة فيجيب الله سبحانه وتعالى يخلق الانسان والانسان ما بيده شيء خالص . ومعناها ببساطة ان الله هو الذى خلق الانتفاضة ومادامت الانتفاضة من خلق الله فلابد هي مستمرة بإذن ومنتصرة بمشيئته .
قلت : لا لقد بدت عليك اعراض العصر الحميرى ياخواجاية وتحتاجين الان الى اجازة لتخرجي الى الشارع الأوروبى لتعيشى فيه

فترة لترجعي الى اصلك وتنتظمي في صفك ، فانا اخشى الآن أن تتحولي الى اتان من فصيلتنا وقد تحتاجين فيما بعد الى عملية جراحية لكي تعودي الى صنف البني ادمين

قالت : اهكذا انت حانق وحاقد والحنق يذهب بالعقل . الحمق يطمس على القلب ولذلك فأنت لا ترى شيئا جميلا في بلاد الحمير مع انني اكثر شوقا الان للسفر اليها والعيش في ربوعها والرحرحة على رمال صحراواتها والبلبطة في مياه البرك والخلجان .

قلت : خير وبركة لقد كسب العصر الحميرى حمارة جديدة وسيكون يوم دخولك العصر الحميرى عيدا قوميا على مستوى الامة لان دخولك يثبت النظرية التى يقوم عليها مجتمعنا وهى نظرية النشوء والارتخاء

قالت : لم افهم

قلت للبنت الخواجاية : هل تعرفين داروِن

قالت : طبعا انه اعظم فلاسفة العصر

قلت : وتسمعين عن نظريته

قالت طبعا نظرية النشوء والارتقاء

قلت : آه هنا مربط الفرس

قالت : كيف ؟!

قلت للست الخواجاية : داروِن هذا مفلس ثقافة ومعرفة وهو بالنسبة لكم فيلسوف الفلاسفة . ولعلك يا ست ياخواجاية تلاحظين ان فلسفة وفلاسفة تتكون منها نفس الحروف التى تتكون منها كلمات مفلس وافلاس . وهو بالقطع كتب نظريته قبل ان يرانا ولو انه رآنا ما استطاع ان يعرف حقيقتنا . ونظرية اخينا داروِن خاطئة من اساسها لانه اقامها على نظرية النشوء والارتقاء باعتبار ان كل نوع ينشأ في البداية ثم يرتقي . هذه سنة الكون عند عمنا داروِن . لكن سنة الكون عندنا تختلف .. فمثلا نحن في البداية كنا بنى ادمين من احسن طراز واجدادنا ضربوا اعظم امبراطوريتين في التاريخ الفرس والروم واستطاعوا ان يحكموا العالم المسكون وقتئذ وامتدت امبراطوريتهم من فرنسا الى الصين واشاعوا في ارجائها العدل والرحمة ، اضاءوا في جنباتها مشاعل العزة والنور ومن مدارسهم تعلم الغرب ومن معاهدهم خرجت الموسيقى والفلسفة وعلوم

الهندسة والطب ، واجدادنا هم الذين اخترعوا ادب الرحلات وهم الذين وضعوا علم الجغرافيا وهم اول من وضع خريطة للعالم المعروف فى زمنهم ، وعساكرهم هم الذين حموا العالم من جنس التتار . وكان لنا خليفة يحكم نصف المعمورة ويشتغل بيديه ويحمل عمله على كتفيه ويدور به فى الاسواق وكان ياكل من ربحه الصغير مع انه كان يملك اغلب خزائن الأرض .

وكانت بدايتنا ايتها الست الخواجاية نبيا مرسلا من السماء ما اعظمه وما اكرمه حذرنا ذات يوما بكلمات مضيئة ، انما هلكت الامم من قبلكم لانهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الفقير اقاموا عليه الحد .

وكان لدينا علماء امتد سيف الحاكم لرقابهم لكنهم رفضوا ان يتفوهوا بكلام غير الحق وكان لدينا بطل مشهور فى بلادكم اسمه صلاح الدين قاتلكم بالسيف وانتصر عليكم . وسر انتصاره انه كان يضرب بسيف العدل وبينما كنتم تعلقون الصليب على راياتكم كان هو يحمل الله فى اعماقه .

قالت البنت الفرنساوية وقد مستها نشوة كانها اصابت عشوة : هل هكذا كان حالكم ايام زمان ؟

قلت وأكثر من هذا يالخواجاية هل اذكر لك كوكبة الفرسان العظام من اول سعد بن ابي وقاص وعمرو بن العاص وابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وموسى بن نصير وطارق بن زياد وصلاح الدين والظاهر بيبرس وعلى بك الكبير ومحمد بك ابو الذهب ومحمد على وجمال عبدالناصر ؟

قالت هل قلت محمد بك ابو الدهب ؟

قلت نعم .

قالت هل كان صاحب دكان فى الصاغة .

قلت : بل كان قائدا عظيما قلبه من ذهب وسيفه من ذهب ما دخل معركة والا وانتصر ، ما دخل معركة ضد جيش الا وفرمه فى المفرمة

قالت : وما علاقتكم بكل هؤلاء الرجال العظام ؟

قلت : كانوا بعض انتاجنا ونماذج من بعض رجالنا ولكننا للاسف الشديد كلما تطورنا تاخرنا ولذلك نحن النين اثبتنا خطأ نظرية داروين النشوء والارتقاء .. لان ما ينطبق علينا هو نظرية

النشوء والارتخاء أو النشوء والانحناء او النشوء والانفتاء .. هل تعرفين الانفتاء؟

قالت : البنت المتعالمة لا لم اسمع به بعد .

قلت : اذن هل تسمعين عن الانفتاح .

قالت : نعم واعرف ان فى بعض اجزاء بلادكم حركة انفتاح على ودنه

قلت : عفارم عليك ياخواجاية الانفتاء هو الانفتاح لكن بلغة الست والدتنا عليها رحمة الله . وانا شخصيا كنت غلوى كورة وانا طفل وكنت العب بالكورة احيانا وبالحجارة فى اغلب الاحيان وكان حذائى ينفتح ويتمزق وكانت امى تصرخ فى وجهى كدة اهى الجزمة انفتئت اى انفتحت ! والحمد لله هكذا نحن انفتانا اى انفتحنا وربنا هب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .

قالت البنت وقد داخت وساخت : ولكن يامضروب هذه نظرية جديدة تستطيع ان تنال عنها الدكتوراه من فرنسا

قلت : لا داعى للدكترة فى هذا العصر وخصوصا ولدينا جامعات تمنح الدكتوراه للسادة الوزراء المحافظين ولدينا دكاترة ليس لهم حصر .

قالت : اذن انت يائس .

قلت : بل انا بائس .

قالت وما العمل قلت : العمل ؟

سهل وبسيط .

قالت : كيف ؟

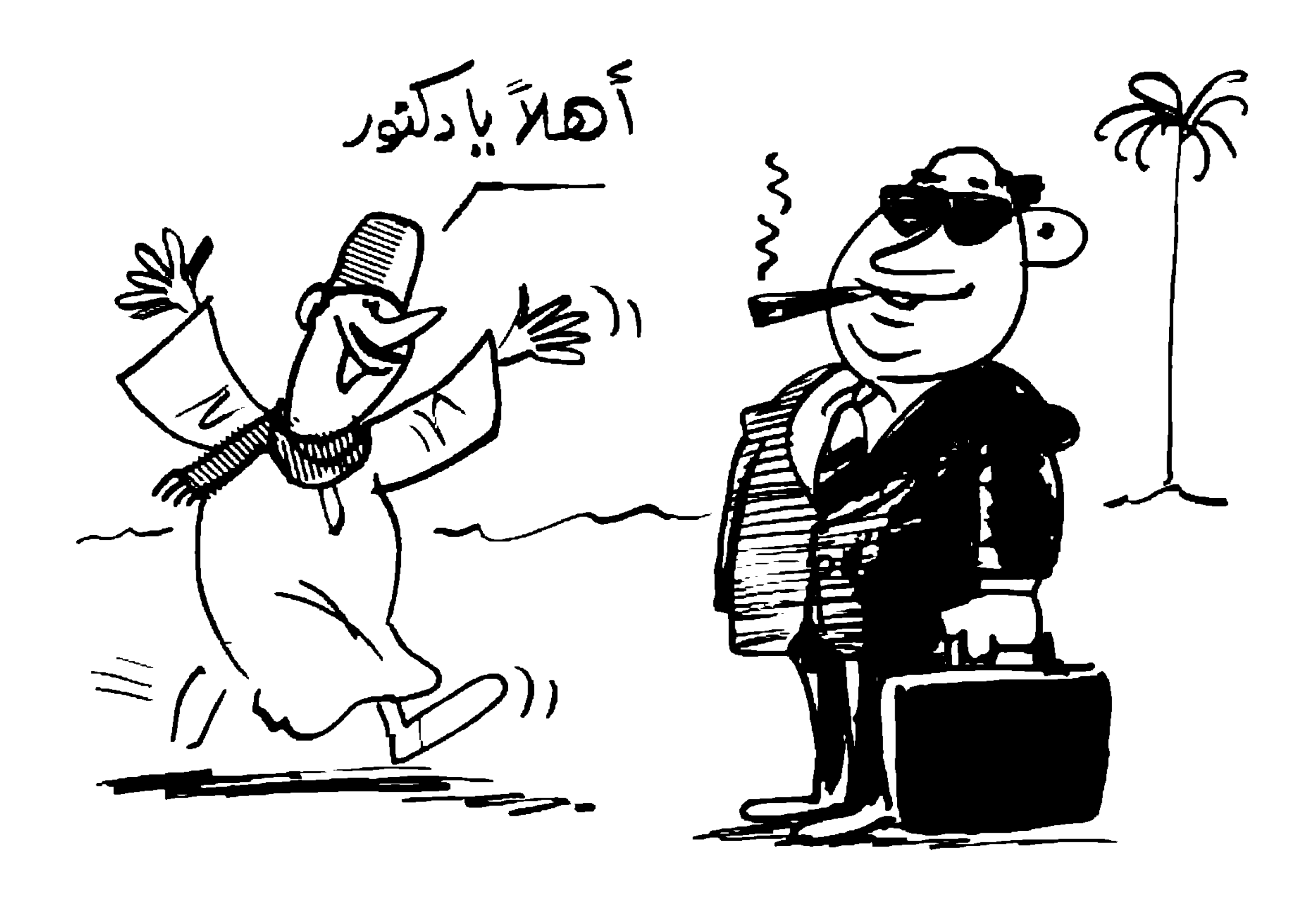
قلت : على مهلك ياخواجاية فمازال حبل الكلام ممتدا وكما انه ايضا طويل فدعينا ناخذ قسطا من الراحة اليوم ثم نبدأ حديثنا فى الغد .

قالت : اذا جاء علينا الغد فانا اشعر الآن اننى اكاد احلق فى الفضاء واطير واظل اطير حتى احط فى بلاد الحمير .

قلت : يامرحبا بك فى بلاد الحمير .

١٩٩٠/٥/١

● ● ●



عن الخطط والأهداف

قالت البنت الفرنساوية بعد أن أفطرت وتعطـرت وتمخطـرت من شـدة الشبـع والانشكاح : لقد ذكرت لى بالأمس ان مهندس الاعلام فى العصر الحميرى كان دكتورا ، هل هو دكتور طب يكشف ويعالج ؟ أم دكتور فى العلم والبحوث والمخترعات ؟

قلت : فى الحقيقة ياخواجاية هوة دكتور فقط ، لا يفهم فى العلم ولا فى الطب ولا فى اى شىء .

قالت إذن كيف صار دكتورا ؟

قلت : ياست ياخواجاية ، فى بعض اجزاء من بلاد الحمير ، كل من اخفى عينه وراء نظارة سوداء ، وحمل فى يده حقيبة سامسونايت ، ينادونه بلقب دكتور . وهذا النوع من الدكاترة هبر أكثر من خمس دخل البترول فى صفقات مريبة وعجيبة .

قالت البنت الفرنسلوية لابد أنهم كانوا اصحاب صناعة أو أصحاب تجارة .

قلت بل كانوا اصحاب صياعة ، ولم يكن لهم هدف الا النصب والاحتيال .

قالت واعطوهم الفلوس من اجل النظارة السوداء والحقيبة السامسونايت ؟

قلت : بالطبع لا ، ولكن النظارة والشنطة السامسونايت ولقب الدكتور ، كانت هى عدة النصب التى فتحت لهم الابواب . نصابون ، كانت عمولتهم ضعف أى عمولة عرضت من قبل . كانوا يدفعون خمسين فى المائة واحيانا ستين فى المائة . وكان بعضهم على استعداد لان يدفع ثمانين فى المائة من قيمة الصفقة . فماذا يضر لو وضعت فى جيبك ٢ مليون دولار واعطيت الطرف الأخر ٨ ملايين ؟ مادمت لن تورد شيئا أو تلتزم بشىء

أنا شخصيا كنت فى زيارة لبلد من بلاد الحمير ، ورأيت بعينى صفقة باع فيها بعض الدكاترة اياهم خمسة الاف بادج ، كانت مخصصة لمهرجان الهيبز ، الذى عقد فى لندن فى عام ١٩٦٥ ، وباعوا البادجات ليعلقها اعضاء الوفود الذين اجتمعوا فى عام ١٩٧٥ لحضور مؤتمر دينى !

● ● ●

لقد بيعت كل قطعة من الخمسة الاف بادج بعشرة جنيهات استرلينية ، مع ان الدكاترة النصابين إياهم أخذوا من صاحب البادجات الهيبية عشرين جنيها للتخلص منها ، ولم يفرق السيد الحمار الذى دفع الفلوس بين المؤتمر الهيبى والمؤتمر الدينى

انا شخصيا توليت ادارة التحرير فى جريدة تصدر فى بلد حميرى أخر ، واكتشفت وانا اتسلم العمل من مدير التحرير السابق انه لا يعرف القراءة والكتابة ، مع ان بطاقته كانت تحوى لقب دكتور ولما سألته دكتور فى ايه ؟ اجابنى بانه دكتور فى لندن !

قالت : اذن ليس لديكم جامعات تمنح درجة الدكتوراه .

قلت : لدينا دكاترة بعدد شعر الراس ، ولدينا دكتور فى السيرة الهلالية ، ولكن لاننا نحب التخصص ، لدينا مائة دكتور فى ابو زيد الهلالى ، ومائة دكتور فى دياب ابن غانم ، ومائة دكتور فى الزناتى خليفة ، ومائة دكتور فى السفيرة عزيزة ، وحتى تكتمل الصورة وتتم المعجزة اصبح لدينا مائة دكتور فى الريس متقال ، الذى ينشد السيرة الهلالية .

قالت : انه تخصص التخصص ، وهي مرتبة في العلم لم يصل اليها احد من قبل . تتخصصون في السيرة اولا ، ثم تتخصصون في كل بطل من أبطالها ، ثم تتخصصون بعد ذلك في المطرب الذى ينشدها . لو كنت منكم لطرت من شدة السعادة .

قلت : وانا ايضا طائر من شدة السعادة ياخواجاية ، وانا احكي لك عن حالنا كلون من الوان الفخر .

قالت : ولكن ، هل كان لديكم مهندس واحد للاعلام ؟

قلت : بل انهم لكثير ، احدهم كان صحفيا فاشلا ، ثم دفعه نفاقه فصار « مستحفظانا » على امور الاعلام ، وهو ينتمي الى اقلية صغيرة تعيش في الوطن الحميرى ، ومع ذلك ، نصب من نفسه داعية من دعاة القومية . وبالرغم من كونه سفاحا ، فقد جعل من نفسه داعية من دعاة الحرية ، ولانه امي لا يعرف القراءة والكتابة ، فقد جعل من نفسه سيفا على رقاب الموهوبين .

وفي زمن اشرافه على سنجقية الاعلام ، اصدر قرارا بمنع نشر خبر موت عبدالحليم حافظ ، اشهر مطرب في العصر الحميرى . ليه ؟ لأنه في رأى الحمار الاعلامي مطرب رجعي انتهازى انكشارى انشطارى عديم المقاتلة والنضال !! وكانت النتيجة انه جعل من جهاز التليفزيون الذى اخترعوه في بلادكم للمتعة حوله إياه إلى جهاز للتعذيب .

قالت البنت الفرنساوية : هل قدمتموه للمحاكمة وعرضتموه للمساءلة ؟

قلت : بالعكس ، بل صار عضوا في مجلس الثورة .

قالت وهل قامت في بلادكم ثورة ؟

قلت الحمد لله في بلادنا الثورة قايمة والكفاح دوار

قالت : كيف ؟ وهل معقول ان الثورة تقوم فلا تقعد ، وتدور فلا تتوقف ؟ لقد قامت لدينا ثورة هي الثورة الفرنسية كما تعلم ، وبعد ان اكلت بنيها استقر كل شيء واقتصر الامر على الاحتفال بقيامها مرة كل عام .

قلت : هذا عندكم ، ولكن عندنا كل يوم ثورة شكل ، وكل يوم ثوار الوان ، وكل ثورة لها رئيس يرتدى زى المارشال ولأن ثوراتنا يقوم بها في العادة مارشالات من منازلهم ، لذلك يصبح شكلهم في بعض

الأحيان الخالق الناطق شكل المارشال . على مجذوب حي الحسين ، وتظل الثورة قايمة في بلادنا والكفاح دوار مادام الثوار في الحكم ، واحيانا يمتد عمر الثورة في بعض اجزاء من بلادنا الى عشرة اعوام ، او عشرين عاما ، ولدينا ثورتان الان في بلاد الحمير عمرهما ٢٢ سنة ثورة في الشرق وثورة في الغرب ، وتستمعين الى الاذاعة هنا وهناك فتظنين ان الثورة قامت بالأمس . فالمارشات العسكرية على ودنه ، والاغاني الحماسية على ودنه وقرارات الثورة بعزل فلان وقتل فلان على قفا من يشيل .

قالت : وما المانع من قيام الثورة اذا كان هدفها التنقية والتطهير ؟

قلت : ولكن ثوراتنا ليس هدفها التطهير أو التغيير ، ان هدفها الحقيقي هو بقاء الحال على ما هو عليه ، بل احيانا على أسوأ مما كان عليه ، بدليل أن المواطن تحت ظل بعض هذه الثوارات انكمشت قدرته المالية عن ذي قبل ، وانحط مستواه المعيشي عن ذي قبل وفقد كل شيء .. أمنه ورزقه وكرامته ، ويعيش المواطن في العصر الحميري أغلب حياته في ظل الوهم وفي ظل الخديعة ، ويعيش في انتظار الوهم الذي سيتحقق بفضل قيادة وتوجيهات وتعليمات وإرشادات وتخطيطات الزعيم الملهم مارشال البر والبحر والجو ، والوريث الوحيد والأكيد لخالد بن الوليد والقعقاع والظاهر بيبرس وعلى بك الكبير وعلى بيه لوز !

قالت البنت الفرنسلوية : وما المانع من ربط الاحزمة على البطون وتقييد حرية المواطن اذا كان الهدف في النهاية هو التحرير إذ لابد بالرغم من أنكم حمير أن يكون لكم اعداء . ولابد من إظهار العين الحمراء للاعداء ، بتجهيز الجيوش وحشد الطاقات وتوحيد الجهود ، ولابد من الشدة على المواطن لكي يتعود على الشدة وقت الحرب . فالحرب ليست نزهة وليست حفلة . وعلى هذا الأساس فمارشالاتكم لديهم حق في أخذ الشعب بالعنف والشدة حتى يتعود المواطن على جو الحرب .

قلت عندك حق ياخواجاية ، فانت تتكلمين عن عالم طبيعي ، وانا اتكلم عن عالم حميري . فالمارشالات تبعنا لا يحاربون اعداءنا الا في الاذاعة . ويتصدون للامبريالية في الصحف والجرائد السيارة وهم في أعماق أعماقهم يتمنون أن يبقى العدو لا يبرح مكانه لأن

وجود العدو داخل اراضينا يجعل منه شماعة يعلق عليها المارشالات كل اخطائهم وخطاياهم . وبسبب العدو الذى لم يجرؤ مارشال واحد منهم على التهويب نحو حدوده تضيق السجون بالاحرار وتلتف حبال المشانق حول رقاب المعارضين ، وبسببه ايضا تختفى الديمقراطية ويسحق المواطن المسكين تحت الاقدام .

قالت البنت : عجيبة يرتدون زى المارشال ولا يحاربون ؟ !!

قلت : بالعكس بل هم يحاربون فى كل يوم وفى كل اتجاه ولكن حروبهم تدور داخل حدودهم وبين بعضهم البعض . عندنا بلد من بلاد العصر الحميرى تدور فيها حرب اهلية الان ، وهم يحاربون من منزل الى منزل ومن شارع الى شارع . وبالرغم من كل شىء . فقد أثبت المارشالات تبعنا أنهم أشجع من عنترة وأكثر إقداما من ابن الوليد ، وقد أثنت الدوائر العسكرية الاجنبية على اداء جميع المتحاربين الحمير ، وأكدت أن هذا الاداء الرائع هو نتيجة تدريب شاق وجاد ورفيع مما جعل جميع المتحاربين الحمير قادرين على التصويب من بعيد ، والدليل هو سقوط قذائف الحمير على بيوت الحمير ، كما أن عمليات الكر والفر جعلت الانتصار مرتين ، مرة انتصر بعض الحمير على بعض الحمير ، وفى المرة الثانية انتصر فيها بعض الحمير على بعض الحمير . فالحمير على الجانبين ، والقتلى حمير ، والجرحى حمير ، والاسرى حمير ، والحمير انهزموا مرتين وانتصروا مرتين . وهى مسالة لم تحدث لأى جنس فى التاريخ قبل ذلك .

قالت البنت الفرنساوية : ياسلام .. معنى ذلك أنكم تقومون بمناورات ليس بالذخيرة الحية فقط ، ولكن بالنفوس الحية ايضا ، وهى مرتبة عسكرية لم يصل إليها احد ، حتى ولا الجيش البروسى الشهير ، وان مثل هذه المناورات الحية كفيلة بالانتصار على الاعداء عندما يحين الوقت المناسب .

قلت : عيبنا ياخواجاية ان الوقت المناسب لم يحن عندنا قط ، فالثورة عندنا دايرة والحرب الاهلية شغالة والثوار فى الحكم لا يخلعهم إلا ثوار اخرون ، فتقوم الثورة من تانى ، وتنشب الحرب الاهلية من جديد .

قالت : يبدو ان مصيبتكم كبيرة وقطتكم نميرة واسمها سميرة ،

لقد وجعت قلبي ايها المضروب . وكان حديثنا عن الدكاترة في الاعلام ، وانحرفت بنا في الحديث الى الثورة والثوار . اليس لديكم دكاترة في مجال الاعلام ؟

قلت : بالعكس ، الدكاترة عندنا اكثر من الهم على القلب ، وثلاثة ارباع وزراء العصر الحميري من صنف الدكاترة . ورغم الفشل المتوالي والفقر المتعالي ، الا اننا متمسكون بتوزير السادة الدكاترة ولكن اغرب هؤلاء الدكاترة واحد يتولى مسئولية عموم الجاز وهو دكتور بفلوسه ، كما انه شاعر يقول الشعر في مواجهة الخطوب والازمات ، اذا ارتفع سعر البترول . رقع القصيدة من نوع :

حبـورا او عبـورا لا تبـالى

فـإن الهبـر من شيمْ الـرجـال

اما اذا انخفض سعر البترول ، رقع قصيدة من نوع :

صبـورا لا تخف غـدر الليـالى

فبـعـد النقص لابـد الـعـلالى

والاكادة ان اغلب نقاد العالم الحميري وجدوا في القصيدة استنباطات واسقاطات في الباطن المستغلق ، وبعضهم ارجع القصيدة الى مدرسة الاستبطان الاستغلاقي ، وبعض صحف العالم الحميري كتبت القصيدة بماء الذهب ونشرتها على عشرة اعمدة ، والبعض رشحها لنيل جائزة موبل .

قالت : البنت الفرنسلوية : ولماذا موبل بالذات ؟ لماذا ليس « شل » او « سوكوني فاكوم » ؟

قلت : لأن موبيل يشترى البترول من صاحبنا وبطريقة شيلني واشيلك . يعطيها البترول ارخص شوية ، تعطيه الجايزة ومكافاة اكبر شوية ، فليس بين الشاعر البترولى والشركة البترولية حساب ..

قالت البنت الفرنسلوية : ما اعظمه من قائد طلبية ، هذا الرجل العظيم الذى هو اغا النفط في بلاده ، والنفط هو المادة الوحيدة التى اثبتت وجودها في هذا العصر ، كما انه مثل الطائرة من علامات القرن العشرين ، هذا الرجل تبعكم يدير آلة التاريخ ، ومع ذلك يترك واقعنا الاليم والمرير ويحلق على جناح الخيال الى سموات الفن والشعر الجميل . لابد ان رجلكم هذا مفلس وشريد وهيمان .

قلت لها : صحيح ، هو مفلس ، ولكن ليس بالمعنى الذى فى راسك . فهو اذا سحب رصيده من اى بنك ، يصبح البنك مهددا بالافلاس .

قالت : اذن هو غنى ..

قلت بل من اغنياء العصر والاوان .

قالت : ولماذا يقرض الشعر ؟

قلت : اى شعر ؟ ان هذا الذى ينطق به ليس من فصيلة الشعر ، ولكنه كلام حلمنتيشى لاضحاك الصغار .

قالت : طيب ، وما دام هو ثريا كما تقول وبنكيرا كما تدعى ، لماذا سعى للحصول على الدكتوراه ؟

قلت : لأن الدكتوراه فى بلاد الحمير لها استخدامات كثيرة . فهى تستخدم احيانا للنصب ، واحيانا فى الغش ، واحيانا للزينة ، وهى مع صاحبنا « قومندان » النفط للعصر الحميرى مجرد حلية تسبق اسمه الكريم .

قالت : اذن كل اصحاب الدكتورهات عندكم من هذا الصنف ، اليس عندكم دكتور واحد بحق وحقيق ؟

قلت : بل هم ايضا اكثر من الهم على القلب ، ولكن اغلبهم استطاع ان يدبر امره فهرب من العصر الحميرى ، وذهب الى عصور اخرى واستقر هناك ، بعضهم يشترك فى برنامج الفضاء ، وبعضهم يشترك فى قواعد الصواريخ وفى برنامج حرب الكواكب ، والبقية التى بقيت داخل العصر الحميرى ، ظلت تقف محلك سر ، لا تتقدم ولا تتاخر ، معايشهم يدبرونها بالعافية ، وملابسهم يادوب تكفيهم حر الصيف وزمهرير الشتاء وسياراتهم من ماركة اللى يحب النبى يزق .

قالت : ولماذا لم يهربوا من عصركم الحميرى؟

قلت لها : سؤال وجيه فعلا ، ولكنى لا اعرف له جوابا ، ربما لأنهم كسالى ، ربما لأن لديهم بعض الامل فى تغيير الأحوال ، والانتقال بالعصر الحميرى الى العصر الجاموسى ، فيصبح لهم فائدة على كل حال ، وربما بعض الغلوشات والهلوسات التى تصيب صنف الحمير ، مثل الارتباط بالأرض والالتصاق بالطين والعودة الى مسقط الراس . والبقاء فى ارض الجذور

قالت البنت الفرنسلوية : انا فى عجب من أمركم ، أحيانا ترتكبون الهفوات واحيانا تصنعون المعجزات . احيانا تحلقون فى الفضاء وأحيانا تزحفون على الأرض ، والغريبة اننى لم اسمع منك اسبابا لأى من الحالتين . يبدو انكم تعيشون حياتكم بالقدرة ، وتمضون فى طريقكم كلشنكان ، هل انتم مشدودون باسلاك ومربوطون بلزرار ؟ اليس لديكم تخطيط ؟ الا تنفذون خطة خمسية او عشرية ؟ هل لديكم تصور للمستقبل ؟ هل عندكم هدف تسعون اليه ؟

قلت لها : اما عن الخطط والتخطيط والاهداف فما اكثرها فى العصر الحميرى ، وهى شغلنا الشاغل وهمنا الحقيقى ومحور اهتمامنا ، واغلب مادة صحافتنا واذاعاتنا وتليفزيوناتنا ، فلنتظرى يا خواجاية حتى يصبح الصباح ، واحكى لك عن الخطط والتخطيط والأهداف !

١٩٩٠/٦/١

● ● ●



المعــرش .. والمكــرش

قالت البنت الفرنساوية وهى تتمطع وتتقصع : حدثنى ايها الحمار الصغير عن التخطيط فى بلادكم وعن المخططين عندكم .

قلت لها : أما عن التخطيط فليس فى الدنيا كلها تخطيط مثل الذى عندنا . أما عن المخططين ، فكل الشعب يخطط . أحيانا على ورق ، وأحيانا على حجر ، واحيانا على بلاط . ادخلى أى دورة مياه فى بلاد العصر الحميرى ، ستكتشفين ان كل الرواد تركوا خطوطا على الجدران وعلى الأبواب . البعض يرسم اشكالا ، والبعض يكتب خطوطا . انظرى الى اى سيارة تمشى فى بلاد العصر الحميرى ، ستجدين خطوطا ظاهرة عند المؤخرة (ياناس ياشر بطلوا قر) و(ما تبصليش بعينك الرضية ، بص للفلوس اللى مدفوعة فىَّ) و(الحلوة دى اسمها فوزية) و(الصبر جميل) و(سيرى بأمر الله) و(مع السلامة يا أبو وردة)

و(الوزة دى بالشىء الفلانى) فى بعض مناطق اخرى من العصر الحميرى ستجدين كتابة من نوع آخر (الى الامام يامحروسة الى الامام) و(يامتعاظم ، اعظم منك الكاظم) و(احسن البلاد فين ، بلد الحسن والحسين) .

قالت : ولماذا يخططون على الحوائط وعلى السيارات ولا يخططون على الورق .

قلت : لأن التخطيط على الورق يعتبر فى بعض بلاد العصر الحميرى نوعا من انواع المغامرة . وفى بعض المناطق من العصر الحميرى يعتبر التخطيط على الورق جريمة ، والورقة المخطوطة يسمونها منشورا . ومخطط المنشور يقدم للمحاكمة بتهمة قلب نظام الحكم بالقوة .

قالت : مسالة غريبة . كيف يتهم بقلب نظام الحكم بالقوة ، مع ان كل الذى ارتكبه جريمة التخطيط على ورقة ؟

قلت : جريمة حمل الورقة فى بعض مناطق العصر الحميرى اخطر من جريمة حمل السلاح ، والقاتل فى العصر الحميرى يعامل فى سجنه معاملة افضل من معاملة مخطط المنشور ، ويفرج عنه بنصف المدة اذا كان حسن السير والسلوك . اما مخطط المنشور فهو سيقضى مدة الحكم كلها ، ويوم الافراج عنه لن يغادر السجن الى الشارع كبقية المسلجين ، ولكنه سيخرج من السجن الى ادارة الامن فى بعض المناطق ، والى المباحث العامة فى مناطق اخرى ، والى مباحث امن الدولة فى مناطق ثانية ، والى المخابرات فى مناطق ثالثة . وقد يخرج الى الشارع ، وقد يعود مرة اخرى الى سجنه .

قالت البنت وقد اندهشت وانبهشت : هل يوجد قاض فى هذه الأماكن ؟

قلت لها : السجن فى بلاد العصر الحميرى لا يحتاج دخوله دائما الى حكم من القاضى . فلدينا فى العصر الحميرى ابواب اخرى لدخول السجن ، وذلك تيسيرا على المواطنين من الذهاب الى المحكمة والوقوف فى قفص الاتهام ، واستئجار محامين ، وصدور احكام ، ثم استئناف هذه الاحكام . وبدلا من خوتة الدماغ ووجع القلب ، يمكن للمواطن ان يذهب الى السجن بامر من المباحث او بتليفون

من المخابرات ، أو بكلمة من عضو القيادة القطرية ، أو بأمر شفوى من عضو اللجنة الشعبية ، أو لمجرد رغبة ابداها الشيخ . واحيانا ابن الشيخ

قالت ويدخل الشخص السجن من أجل هذا ؟

قلت ويموت فيه احيانا ومن يسال عنه يدخل السجن هو الا

قالت : وهل هذا الاجراء قانونى ؟

قلت : بل هو القانون ذاته . فلدينا فى بعض بلاد العصر الحميرى قوانين شتى . قانون الطوارىء ، قانون الاشتباه ، قانون التحفظ ، قانون الاعتقال . وبعض قرارات الاعتقال تصدر احيانا وبهذا النص : (يعتقل افراد جماعة كذا او تنظيم كذا والمتعاطفون معهم والموجودون عندهم لحظة اعتقالهم) ويتصادف ان يكون لدى المقبوض عليه لحظة اعتقاله عمته بهانة وزوجها سيد أحمد وابنها عبدالشكور ، فيلقى القبض عليهم ايضا ويذهبون فى الكازوزة ياولداه . فى منطقة من مناطق العصر الحميرى اتهم بعض الوزراء بتدبير انقلاب ضد نظام الحكم .

قالت البنت تستفسر : تقول وزراء ؟ ..

قلت : نعم ، ولعلمك ، لم يكن هؤلاء المتهمون وزراء فقط ، ولكن كان من بينهم اعضاء فى مجلس قيادة الثورة ، وقد قدم بعض هؤلاء المتهمين الى المحاكمة ، وذهب بعضهم الى المعتقل . اما الذين حوكموا ، فقد أعدم بعضهم وذهب البعض الآخر الى السجن ، اما المعتقلون ، فلا احد يعلم مصيرهم حتى الآن ..

قالت البنت وهى تكاد تبكى : ولماذا لم يحتج اهلهم ؟ ولماذا لم يلجاوا الى جمعيات حقوق الانسان ؟

قلت : فى العصر الحميرى لدينا جمعيات لرعاية الحيوان . اما الانسان فليس له جمعية حتى الآن ، باعتبار ان هذا الصنف من المخلوقات يمثل اقلية وسط اغلبية من جميع اصناف الحيوان . ثم ان هؤلاء المعتقلين ليس لهم اهل على الاطلاق .

قالت : تعنى انهم مقطوعون من شجرة ؟

قلت : لا اعنى هذا بالضبط ولكن هؤلاء المعتقلين كان لهم اهل قبل الاعتقال ، وبعد الاعتقال اختفى اهلهم بقدر قادر ..

قالت البنت الخواجاية : هل ذهبوا فى رحلة سياحية للترويح عن النفس ؟

قلت : بل ذهبوا حيث لا يعلم الا الله . وبعض الحكومات في العصر الحميرى تاخذ بالاحوط . ومادام فرد من الاسرة متهما بالتامر ، فلابد انه من اسرة كلهم متامرون ، ولما كنا نؤمن بنظرية العرق دساس فلابد من أخذ الحيطة حتى لا يتكرر نفس الامر من نفس الاسرة ، وطبقا لهذه النظرية ، تلجا بعض الحكومات في العصر الحميرى الى القبض على اسرة المتأمر الذى ذهب وراء الشمس . بينما تلجأ حكومات اخرى الى القبض على الأسرة ونسف بيتها من اساسه .

قالت : والى اين يذهبون ؟

قلت : في السجون مكان لكل مواطن . ومن تضيق به السجون تتسع له المقابر .

قالت البنت وقد داخت وناحت : ولكن لماذا كل هذه الاحتياطات ؟ هل كان ينوى هؤلاء المتامرون اغراق البلاد واحراق العباد ؟

قلت : بل كانوا يريدون ما هو ابشع من ذلك .

قالت : ابشع من ذلك ؟ ما هو هذا الشيء الذى ابشع من اغراق البلاد واحراق العباد ؟

قلت : هناك ما هو ابشع .

قالت : وما هو هذا الابشع ؟

قلت : كانوا يريدون الاستيلاء على الحكم .

قالت : كل هذا من اجل رغبتهم في الاستيلاء على الحكم ؟ وفيها ايه اذا استولوا على الحكم . ربما كانت لديهم برامج افضل . او حلول للمشاكل أسرع .

قلت : عيبك ياخواجاية ، انك بالرغم من بقائك الى جوارى كل هذه المدة الطويلة ، لا تزالين تعيشين خارج العصر الحميرى ، وتفكرين بعقلية غير عقليته .

قالت : ما الذى تعنيه ؟

قلت : الخلاف حول الحكم عندكم يتلخص في خلاف بين البرامج . حزب يريد تطبيق الاشتراكية ، وحزب يدعو الى الراسمالية . حزب ينادى بالتأميم ، وحزب يدعو الى فتح الباب أمام الراسمال الحر ، ويرفع شعار دعه يعمل ، دعه يمر . ولذلك لا باس من تداول الحكم في بلادكم . ناس تحكم وناس تعارض حتى يأتيها الحكم .

ولكن الحكم في العصر الحميرى يختلف . الحكم في العصر الحميرى هبر على ودنه . وعلم بلا حدود.، ونفوذ الى اخر المدى ، نفوذ لم ينعم به رمسيس أو تحتمس أو جلجامش أو عمر بن الخطاب أو مروان بن عبدالحكم او هارون الرشيد ، وستجدين في بعض المناطق من العصر الحميرى خمسين وزيرا في الحكومة يحملون نفس الاسم وستجدين في بعض المناطق الوالد رئيسا للدولة والابن رئيسا للرياضة وابن العم قائدا للجيش وابن الخالة رئيسا للمخابرات وجوز العمة رئيسا للمباحث ، واما الميزانية فهي من اسرار العائلة . لا يصح للغرباء ان يطلعوا عليها ، والحكم في العصر الحميرى لذائذ واطلاق للغرائز ، وتقلب في النعيم ، ومصمصة في الصميم ولذلك اغلب حكامنا يعيشون في حالة الوضع (ياقاتل او مقتول)

قالت البنت وقد لوت بوزها : اذن فالحكم في العصر الحميرى مشغول طول الوقت بحراسة الحكم .

قلت : مظبوط وأضيف : والذين خارج الحكم مشغولون بالاستيلاء عليه .

قالت : بالرغم من المهالك والقتل والسحل وهدم البيوت ؟

قلت : نعم ، من اجل الحكم يهون كل شيء واى شيء . لدينا في العصر الحميرى من يقضون الصيف في اوروبا . والشتاء في اسيا . ولدينا من يدفع للصحف مليارات من الدولارات لكي يكتبوا عن حكمته وعن عبقريته . عندنا من يهدى الساعات ومن يهدى السيارات ، ومن يهدى القصور والعمارات وعندنا من يسافر ومعه حاشيته ، والبعض يسافر ومعه قبيلته . واحد ابناء العصر الحميرى موجود الان في اوروبا في معيته الف شخص وهو في المنفى الاختيارى يصدر جرائد ويدير اذاعة مع انه قبل ان يصل الى السلطة كان انضف من الصيني بعد غسيله . ولدينا ضباط استولوا على السلطة في بعض مناطق من العصر الحميرى ولم يستمروا في السلطة اكثر من عدة شهور ، واحيانا اكثر من عدة اسابيع ، ومع ذلك يعيشون الان في اوروبا عيشة هارون الرشيد ، الذى كان السحاب الشارد في انحاء مملكته يمطر في أى مكان ، فيحصل على خراجه .

قالت البنت وهي شديدة العجب : ومن اين حصلوا على هذه الفلوس ؟

قلت لها : عندنا فى العصر الحميرى يحصل على الفلوس كل حسب نيته ! واغلب حكام العصر الحميرى والحمد لله من اصحاب النيات الطيبة . ولذلك يسهل الله لهم طريقهم وينجح مقاصدهم .

قالت : نيتهم حلوة وعرفنا . ولكن من اين جاءت لهم الفلوس ؟

قلت لم يسأل احد حتى الآن هذا السؤال ، لأن السؤال فى العصر الحميرى عيب ، واحيانا مذلة .

قالت ايها الحمار ، دوختنى معك ، وجرجرتنى وراءك . كنا نتحدث فى التخطيط . فأخذتنى معك الى متاهات . ما علاقة هذا الذى يعيش فى الخارج ومعه الف مخلوق ونيته الحلوة حققت له ثروة بعشرة الاف مليون ما علاقة كل هذا بالخطط والتخطيط ؟

قلت : ان العلاقة بينهما عضوية وضرورية . فكل الذين استولوا على السلطة واغتنوا من فضل الله ، خططوا فى البداية للاستيلاء على السلطة ، ثم خططوا للاستيلاء على الثروة . وهكذا كان التخطيط هو الاساس .

قالت : انن لا يوجد عندكم تخطيط للبناء ، تخطيط لتحقيق الاهداف .

قلت ياخواجايا : هذا النوع من التخطيط ليس اكثر منه فى العصر الحميرى . والعصر الحميرى كله مشغول بالتخطيط من اجل بناء الهجمات تمهيدا لاحراز الاهداف . ولدينا فى بلادنا من أجل هذا التخطيط عشرات من الخبراء الاجانب ، بعضهم يحصل على دخل سنوى لم يحصل عليه امبراطور الصين . من بين هؤلاء واحد اسمه البيجالو اشتغل عندنا فى عدة مناطق وبالرغم من دخله الكبير وعيشه الوفير . كان يتكلم مع الحمير تبعنا من طراطيف انفه ، مع ان غاية ما حققه من نجاح هو انتصار فريق حميرى على فريق حميرى آخر . ولدينا مخطط اخر اسمه السايس يجلس فى المدرج ومعه قراطيس واقلام ، ويظل يخطط طوال المباراة . ومع ذلك ينهزم فريقه من الأوليمبى ويخرج من الكاس على يد السكة الحديد ، ولدينا مخطط آخر يشتغل فى التهريب وفى التهليب ، ويستغل فريق الكورة فى التهريب ، أحيانا من بورسعيد وأحيانا من بورتثماوث وعندنا مخطط اخر يتقاضى مرتبا يفوق مرتب أى رئيس جمهورية

فى بلاد الغرب ، ومع ذلك ادى تخطيطه الى هزيمة منتخبه الذى يدربه ، والذى يؤهله لكاس العالم ستة/صفر وخمسة/صفر وسبعة/صفر . وبالرغم من ذلك تنهال عليه المكافآت والاكراميات من كل صوب وحدب

قالت البنت الفرنسلوية : عجايب . ينهزم ويحصل على المكافآت ؟

قلت : نعم ، لاننا من جنس يستوى عنده الموت والحياة ، والفوز والخسارة ، المهم يستمع المخطط الى اقتراحات الشيخ أو ينفذ رغبات الامير ، أو يطبق خطة الرئيس ، أو يلبى اوامر الوزير ، أو يطيع تعليمات الخفير . المهم عندنا هو اشباع مزاج المتنفذين والمخطط اياه لا يرفض طلبا ولايرد متعشما ولايصد احدا من اصحاب النفوذ .

قالت البنت الفرنسلوية وقد غلب حمارها وخاب أملها انت تتكلم عن التخطيط فى الكورة ، وانا اتكلم عن التخطيط فى الدولة .

قلت : اعوذ بالله من غضب الله . التخطيط فى امور الدولة تجديف وتخريف وتحد للمشيئة . وامور الدولة تمشى بالبركة ، وتسير على فيض الكريم ، والله جاب ، والله خد ، هو الشعار المرفوع . واصرف ما فى الجيب ياتيك ما فى الغيب ، هى الخطة الخمسية ، وخد من دقنه وافتلله ، هى الخطة القومية فى العصر الحميرى . ولبس ده طاقية ده ، هى الطريقة المثلى فى التجارة والاقتصاد ، وامش قدام عدوك معرش ولا تمشيش مكرش ، هى حكمة الأمن الغذائى فى بعض مناطق العصر الحميرى . وكل اللى يعجبك والبس اللى يعجب الناس ، هى محور الحياة فى مناطق اخرى من العصر الحميرى . وفى الاقتصاد ، نحن نسير حسب نظرية اقتصادية لا تخر المية ، نظرية لم يتوصل اليها ماركس ، ولم يكتشفها شاخت ، نظرية يابخت من نفع واستنفع . ومن هذه النظرية الحميرية تتفرع نظريات اخرى كثيرة . اهمها نظرية اطعم الفم تستحى العين ، ونظرية تراعينى قيراط اراعيك قيراطين ، ونظرية تشيلنى واشيلك ، ونظرية من خد واعطى صار المال ماله . كلها نظريات اقتصادية اثبتت جدواها ، وفوائدها مضمونة ، وتحت مظلتها نشأ عباقرة اعظم من روكفيلر واحدق من هيلتون ، واذكى من الخواجا بتاع كانتكى فرايد تشيكن .

قالت البنت الفرنسلوية مشغوفة وملهوفة : تقول اذكى من كل هؤلاء ؟

قلت : وأعظم من هؤلاء أيضا . لان هؤلاء المليونيرات الخواجات اشتغلوا بالفندقة أو تاجروا بالنفط ، أو افتتحوا محلات لبيع الفراخ ، ولكن المليونيرات الحمير لم يتاجروا فى شىء ، ولم يدخلوا السوق ببضاعة ولكنهم شالوا وشيلوا واطعموا الافواه فاستحت العيون ، ونفعوا الاخرين واستنفعوا بشدة . وصاروا بالشطارة والذكاوة والفهلوة مليارديرات يشار اليهم بالحوالات والشيكات ودفاتر التوفير . الملياردير الريان والميلياردير توفيق عبدالحى والميليارديرة الفولاذية وعشرات من نجوم المال والاقتصاد دخلوا السوق وهم افرغ من زجاجة كازوزة مرمية فى صندوق زبالة ، وخرجوا من السوق مثل برميل ويسكي معتق ومحفوظ فى قبو تحت مصنع ويسكى فى اسكتلندا .

قالت اذن افهم من ذلك انه ليس لديكم وزراء للتخطيط .

قلت : بل لدينا منهم عدد يفوق عدد المشجعين فى مباراة الافتتاح فى كأس العالم .

قالت : ما هى مهمتهم على وجه التحديد ؟

قلت : مهمتهم الاولى هى التخطيط للماضى ! بعضهم يؤيد بشدة العودة الى الوضع الاقتصادى الذى كان سائدا فى عصر سمعان بن كحكوح ، والبعض الاخر يعارض هذا الاتجاه بشدة ، باعتبار ان عصر سمعان بن كحكوح من العصور القديمة . ولذلك يطالب هذا البعض بضرورة الالتزام بالقواعد التى كان معمولا بها فى عصر عباس بن فرهود . البعض منهم متمسك باقتصاد الخلافة ، والبعض ينادى بتطبيق اقتصاد السلطنة ، وهناك قلة قليلة تنادى بالالتزام باسلوب بيت المال . ولكن هناك اتفاق بين الجميع على ان البركة هى الاساس ، وان الرك على النية ، باعتبار ان الدنيا فى الحقيقة للمسعودين وليست للموعودين ، وتجرى جرى الوحوش غير رزقك ما تحوش . وكل الانهار تصب فى البحر والبحر ليس بملآن ، والغنى غنى النفس ، والقناعة كنز لا يفنى ، ولذلك ستجدين مناطق فى العصر الحميرى اهلها يأكلون البسكويت ، ومناطق أخرى أهلها يأكلون الحنذويل ، ناس تلقى بالفلوس فى التراب ، وناس تلحس التراب ناس تستورد كبد العصفور والجبنة الركفورد وعرف الديك الكوكور وناس تفطر بالدود ، وتصطاد الغراب للعشاء .

وهي احوال ناتجة عن تخطيطنا الممتاز ، وجهد المخططين تبعنا الافذاذ . والحمد لله .. الحمد لله .. الحمد لله الذى لا يحمد ـ يلخواجايا ـ على مكروه سواه .

قالت البنت الفرنساوية : يخرب عقلك ، حملر عفريت مجنون وصاحب خيال . شوقتني الى رؤية هذا العصر الحميرى ، والغريب الاحوال والاطوار . هل تسمح الان بان تاخذ بيدى وتخطف رجلك معي للعصر الحميرى ، بما فيه من احوال واهوال ..

قلت : على مهلك يلخواجايا ، فالدخول للعصر الحميرى يحتاج الى تاشيرة والى تامين والى تمهيد . وفي بعض المناطق يحتاج الى تمويل والى تحويل فاصبرى حتى الغد ، فان الله مع الصابرين ..

١٩٩٠/٧/١

● ● ●



الحنجـورى .. والباطنيـــة

قالت البنت الكركورة : عليك اللعنة حمار وخبيث ، جحش ولئيم ، شوقتنى الى العصر الحميرى ، ثم تتخلى الآن عنى ، وتنصحنى بالصبر الجميل لماذا لا تصحبنى الآن وعلى الفور فى جولة فى انحاء العصر الحميرى فأنا اتحرق شوقا الى رؤية هذا العالم الجميل ؟

قلت للبنت الكركورة : المسألة ليس فيها خبث أو لؤم ، المسألة ببساطة انك تستطيعين السفر الى العصر الحميرى بمفردك ولكن ذهابى معك سيكون مغامرة خطيرة قد تنتهى بنا الى ما لا يحمد عقباه .

قالت البنت : ألست انت من ابناء العصر الحميرى ؟

قلت بل محسوبك من الحمير المعدودين .

قالت : وأين المشكلة الآن ؟

قلت : هذه هى المشكلة .. فلو انك ذهبت وحدك لفتحوا لك الابواب والنوافذ ايضا .

ولكن وجود حمار مثلى معك يعقد المشكلة ، ويجعل منها جريمة امن دولة بالتاكيد فوجودى معك يجعلنى هدفا لقسم مكافحة الجواسيس ، فبالرغم من عشق النظم الحميرية للاجانب ، الا ان الاتصال الفردى بهم يصبح جريمة . وفى العصر الحميرى كل مواطن خائن حتى لو ثبت العكس !

قالت البنت الفرنسلوية : لابد ان لديكم اسرارا تخافون عليها وتحرصون على ان تبقى فى الحفظ والصون ؟

قلت : عندنا طبعا ما نحرص عليه . لدينا قاعدة الصواريخ عابرة القارات فى ام القوين ، ولدينا قاعدة الغواصات الذرية فى ام درمان . وعندنا محطة اطلاق الاقمار الصناعية فى ام خنان ، وعندنا ايضا بلاوى متلتلة واسلحة مولولة فى بنى مزار وبنى سليم وبنى غلزى .

قالت البنت الكركورة : إذن حكوماتكم عندها حق فى منعكم من الاتصال بالأجانب ، فاسرار خطيرة مثل هذه الموجودة فى ام خنان وام درمان ، لابد من الحفاظ عليها كنور العين .

وسكتت البنت الخواجايا وقالت : ما رايك لو ذهبنا فى جولة إلى العصر الحميرى ونحن آخر حصانة وفى المضمون ؟

قلت : كيف ؟

قالت نتزوج .. ونسافر زوجا وزوجة ، وعندئذ نضمن الأمان والاطمئنان .

قلت للبنت الفرنسلوية : مصيبة العبد فى حضرتك انك لن تفهمى العصر الحميرى حتى لو سمح لك بالعيش فيه عشرة اعوام . إن الزواج لن يمنع وقوع الكوارث .. وربما كان سببا فى الموت حرقا او رجما بالحجارة .

قالت : ليه ؟

قلت : أولا انا رجل مسلم وسادخل الجنة بإذن الله . وزواجى من امراة مثلك ترتدى المينى جيب ، وتدلدل نصف صدرها وتكشف عن معظم ساقيها سيثير ثائرة المسلمين الذين يولون وجوههم شطر قم وسيحكمون على العبد لله بأننى مرتد واستحق الحرق بالنار .

سألتنى البنت : وهل كل الناس فى العصر الحميرى من هؤلاء ؟

اجبتها : لا .. انهم فى الحقيقة اقلية ، ولكن أصواتهم عالية وايديهم

طويلة وخناجرهم مسمومة وحكمهم نافذ لا يقبل أى نقض أو استئناف . قالت : ماداموا اقلية نستطيع البعد عنهم ونقيم مع المثقفين واصحاب العقول ؟

قلت : اذا فعلنا ذلك نكون كالهاربين من الرمضاء للنار . المثقفون الحمير حالهم اعجب وسلوكهم اغرب . اذا شاهدنا هؤلاء الذين يولون وجوههم شطر موسكو فسيقولون هذا ليس عقد زواج ولكنه عقد شركة لانتاج خدمات تآمرية لخدمة الطبقة البورجوازية ولتحقيق اهداف الامبريالية ..

قالت البنت وهي تكاد من شدة الضحك تتشقلب ولكن الآن وبعد عمك جورباتشوف لم يعد احد يستعمل هذه اللغة الحنجورية .

قلت : انا اعلم ذلك وانت ايضا ، حتى فى موسكو قبلة العالم الحنجورى سارت المظاهرات تهتف بسقوط لينين ، وتطالب بنبش قبر ماركس ، ولكن دراويش الماركسية فى العصر الحميرى لا يزالون مخلصين للعهد الذى قطعوه على انفسهم .

قالت : غريبة ، لو كان الامر اقتصر على المظاهرات فى موسكو لقلت ناس عندهم مبادىء ومعهم العذر . فالمبادىء يختلف حولها الناس ، ناس معها وناس ضدها ، ولكن الذى حدث لم يكن خلافا على المبادىء . لقد كان انكارا للمبادىء وثورة عليها والدليل على ذلك ان الروس الشيوعيين اللينينيين الماركسيين يقفون الآن فى طوابير اطول من طابور الجمعية الاستهلاكية لكى يحصلوا على قطعة هامبورجر من مكدونالد الامريكى ، ويشفطوا شفطة من مشروب الكولا بتاع العم سام . وبعد سقوط شاوشيسكو فى رومانيا صارت بيوت الدعارة فى بوخارست تنافس فى الكم والكيف بيوت الدعارة فى ستوكهولم ، وبعد ان اصاب التغيير المانيا الشرقية تضاعف عدد المتعطلين ، واصبحت الغالبية العظمى من المتسولين ، وشح الطعام فى الأسواق ، وارتفعت الاسعار ، ومع ذلك لم يرتفع صوت واحد ينادى بالعودة الى ايام الحزب الشيوعى الالمانى ، وإن كانت هناك اصوات ارتفعت تطالب بالعودة الى أيام هتلر . والناس فى ألبانيا هربت من الحدود عرايا بلابيص ، وبعض الهاربين هددوا بالانتحار إن اعادوهم الى بلادهم . فهل لا يزال فى العصر الحميرى احد يدافع عن النظم الشيوعية ؟

قلت : للأسف ياخواجاية ، فى الراية كتب الحناجرة نسبة الى الحنجورى يهاجمون الحمير امثالى الذين هاجموا الظاهرة ، وقالوا ان السبب فى الخيبة ليس الماركسية ولكنها النظم التى حكمت باسمها . ولن بعض عملاء الامبريالية والرأسمالية الذين زرعتهم المخابرات المركزية الامريكية داخل الاحزاب الشيوعية تمكنوا فى النهاية من الانحراف بالمسيرة الماركسية الى هذه النهاية المفجعة . وقال السادة الحناجرة ان البروسترويكا هى عملية نقد ذاتى على مستوى عال ، وأنها تستهدف اعادة البناء لمصلحة العمال والشغيلة ومن اجل بناء الحنشكونى فى سبيل خيركاسونى وللسماح بالتقابل المتضامن على طريق الوعد المتزامن .

قالت البنت الفرنسلوية يقولون من اجل بناء الحنشكونى فى سبيل خيركاسونى . وخيركاسونى كما تعلم كابتن اشترك فى كاس العالم ، فما علاقة كاس العالم بكاس الامم الشيوعية ؟

قلت للبنت الفرنسلوية : اصدقاؤنا فرع الحنجورى من الحزب الباطنى ايضا ، وهم لا يهتمون كثيرا بالمعنى الظاهر ، ولكنهم يهتمون على نحو خاص بالمعنى الباطنى . والمعنى الباطنى فى الحقيقة اهم بكثير من المعنى الظاهر للافهام . ولذلك اختاروا جازكاسونى بالذات . اولا لأنه لعيب شهير للغاية ، وثانيا لانه كان السبب فى احراز الهدف القاتل فى مرمى فريق مصر ، والذى كان السبب فى حرمان العالم الثالث من بطاقة الى الدور الثانى . وقالت لان جازكاسونى احاطوه قبل المباريات بدعاية جعلت منه اعظم لعيب فى العالم .

وقالت الدعاية إنه اعظم من بوشكاش واحرف من بيليه واخطر الف مرة من دستيفانو واكثر لياقة ومهارة من مارادونا . ولكن اداء جازكاسونى فى مباريات الكاس لم يؤكد هذا الزعم . كان لعبه (مش بطال) مثل غيره من الكباتن واستخدم العنف بدل المهارة فحصل على انذارين وطردوه من الملعب . وجلس على الدكة الى جانب المدرب فى المباراة الحاسمة على المركز الثالث بين انجلترا وايطاليا وقف بعد المباراة يبكى كما بكت خالتى بهانة بعد ان مات زوجها فى حادث جرار على الطريق الزراعى .

قالت البنت الفرنساوية وقد نفد صبرها : من وصفك ايها الحمار لجازكاسونى تاكد انك تابعت كاس العالم وعرفت خباياها ولكنك لم تكشف لى عن العلاقة بين جازكاسونى وما حدث فى الدول الشيوعية ؟ ولماذا خلط الماركسيون تبعكم بين البروسترويكا وجازكاسونى ؟

قلت الامر ياخواجاية فى غاية البساطة ، الماركسيون تبعنا لعبوا مع العالم الشيوعى دور الاعلام مع جازكاسونى ، قالوا انه اعظم نظام وابدع نظام واجدع نظام ، وان المواطن فى النظام الشيوعى أفلت بجلده من كل أمراض العصر . فهو يأكل طعاما صحيا وإن كان بلا طعم ، وهو ينام مبكرا ويستيقظ مع العصافير المغردة ، لأن لديهم فى الوطن الشيوعى أشغالا لابد من إنجازها ، وفعاليات لابد من إبرازها ، ليس لمصلحة الفرد ، ولكن لمصلحة الشعب . وقالوا انهم هناك نجوا من خبل العصر وجنونه ، فلا موسيقى روك اندرول ولا أفلام جنس ، ولا رسم سيرالى ، الذى هو شخبطة رسمها ذيل حمار !

وقالوا ان المرأة فى المجتمع الماركسى كرامتها مصونة وعفتها فى الحفظ والصون ، ولذلك لم تجد عاهرة واحدة فى العالم الشيوعى، ولكن .. اذا حدث لقاء وعناق والذى بالى بالك ، بالانسانية الفياضة المترامية على مدد الشوف . وتاكيد على ان الرجل والمرأة متساويان فى الحقوق وفى الواجبات .

قالت البنت الفرنساوية وقد ارعشت حاجبيها دهشة واستنكارا ولماذا كل هذه اللفة الطويلة ؟ لماذا لم يشرحوا الامر للناس على الفور ؟ خصوصا ان الناس لا تعرف جازكاسونى هذا الذى لعب بعض المباريات فى كأس العالم .

قلت ياخواجاية كل شيخ وله طريقة . وهؤلاء السادة الحمير اياهم يتبعون الطريقة الباطنية .

قالت البنت الفرنساوية تسأل : الباطنية نسبة إلى علم الباطن ؟

قلت : بل نسبة الى حى الباطنية ، وهو حى عريق وشهير فى القاهرة المعزية ، وسكانه يبيعون للناس المزاج والخيال والاسلوب الحنجورى المبطونى ، خصوصا ان الصنف المتداول فى الباطنية

من النوع المضروب . وبعد اول نفس يشده الباطني يخلط على الفوربين الخيال والواقع ويبدأ الباطن فى استخدام لغة الحنجورى . فيقول مثلا مساء الهنجفة بدلا من مساء النور . والهنجفة كلمة مركبة من كلمتين . ها .. ونجف . اما الها فهى كناية عن المستقبل . يقول الرجل ها .. ناكل . ها .. نشرب . ها .. نسافر . اى انها اشارة الى فعل قادم .

اما النجف فانت تعرفين وظيفته ، وهو التنوير بشدة ، وتكثيف الاضواء فى مساحة محدودة . وهكذا تجدين ان المعنى واحد وإن اختلفت الصياغة .

قالت : ياسلام .. انه علم غويط ، وعريض وهى نظرة الى ما وراء الهيلولة . ونفاذ الى ما وراء الغيب .

قلت : هى بالضبط كذلك . ولذلك ايضا لجا بعض الماركسيين من صنف الحمير الذين أثروا من عمليات كهربائية مشبوهة فى بلاد العصر الحميرى الى انشاء حزب اطلقوا عليه حزب التنوير .

السذج يتصورون انهم يقصدون تنوير الامة للابتعاد عن طريق الغمة وسلوك الطريق الصحيح . بينما اصحاب الحزب يقصدون الكهرباء التى كانت قدم السعد عليهم ووش الخير .

اما مدعى الناصرية الكهربائى فقد خرج من الكهرباء إلى المركز العربى للثقافة والمباحث ..

قالت البنت الفرنساوية : وما علاقة الثقافة بالمباحث ؟

قلت فى الحقيقة هناك علاقة وثيقة بينهما . فالمباحث هنا لا تعنى جهاز الشرطة الذى نعرفه ، ولكنها تعنى البحث العلمى المبرمج على اسس بحثية ودراسات مبنية وملوخية بالتقلية .

قالت البنت الفرنساوية : لقد تركت موضوعنا ودخلت فى موضوع أخر .

قلت : بالعكس ان المواضيع كلها مترابطة ، وسكك ابو زيد كلها مسالك ، واحزاب الكهرباء كلها شيوعية او ناصرية او امريكية تثبت ان المبادىء كلها عظيمة ولكن الذين ينتحلونها يكونون احيانا من ارذل انواع الناس . عمك هونيكر فى المانيا الشرقية عاش مثل السلطان يلبغا المهندار ، كان لديه قصور وحمامات سباحة وبنات

فى عمر الورد . وعمك جيفكوف بتاع بلغاريا كان ولده يلعب القمار فى لندن ولا عمك الشيخ عجنون بن شنكح والنصاب الناصرى عبدالحميد ابن سنفريد ، اثرى بقدر تلاعبه بالمبادىء . وجمع من الفلوس مليون ضعف عدد كلمات الاحاديث النارية التى ادلى بها للجرائد ، وسرق حتى من محلات ماركس اندسبنسر بلندن ، وكتبت بعض الصحف العربية ان التهمة من تدبير الاعداء والصهاينة مع ان ابن سنفريد حرامى ابن حرامية ومسجل خطر فى جميع اجهزة الامن العام . المهم ان الانهيار عندما حدث فى العالم الماركسى قال الحمير تبعنا انها حركة تطهير تتم من الداخل لمصلحة الاشتراكية والطبقة العاملة الفتية ، فلما اتضح للجميع ان المسالة هى انهيار كامل للنظام وافلاس كامل للنظرية ، لم يسكتوا ولم يكفوا .

بعضهم كتب يقول ان الاستبطان الاستغلاقى المتعانق مع الحواشى والشواشى كان لابد ان يقهر أو يتقهقر !

وبعضهم جن جنونه واتهم جورباتشوف بانه دسيسة امريكية وعميل للمخابرات المركزية ، وانه قابض فلوس من جهاز كنتاكى فرايد تشيكن للفراخ المشوية ! ولايزال الحبل على الجرار ، والرفاق يضربون اخماسا فى اسداس ، ولا يعرفون كيف يتصرفون بعد ان حدث الزلزال ووجدوا انفسهم بين الانقاض ..

قالت البنت الفرنساوية وهى تكاد تبكى : إنه موقف صعب صدقنى . ربما كانوا سذجا امنوا بإله ثم اكتشفوا فجاة انه صنم لا يضر ولا ينفع ، ولو كنت انت مكانهم لحدثت لك نفس الديخوخة وربما اصابتك نفس الشيخوخة . وربما لطمت على خديك بالشبشب من انتاج ايف سان لوران .

قلت عندك حق ياخواجاية ، فهؤلاء الرفاق تبعنا اشبه بوكيل شركة سيارات ، وهو نازل اعلانات عمال على بطال على حلاوة الصنعة ودقة الاداء ، وانسياب الخطوط ، وسعة الصالون ودقة المحرك وقوة الاضواء ، ومتانة الكاوتشوك ، ثم فجاة افلس المصنع نفسه وقال فى حيثيات الافلاس ، لقد كانت البضاعة سيئة والصناعة اسوأ ، وكانت السيارة اذا سارت توقفت وإذا توقفت تمزقت وإذا

تمزقت تناثرت . ولكن الناس كانت تركبها وتحمد الله ليس لانها جيدة ولكن لأن وراء كل راكب مخبرا يمسك بخناقة ويكتم انفاسه ويجبره على ان يهتف مجبورا .. ياسلام !

قالت البنت الفرنساوية : الله يخيب حضرتك ، هؤلاء الرفاق هل علينا خطر من الاتصال بهم اذا ذهبنا إلى هناك ؟ هل هناك في بلاد الحمير من نخشى لقاءهم معا غير اصحاب اللحى واصحاب الحنجورى ؟

قلت : ذهابك وجدك إلى بلاد العصر الحميرى اسلم واكسب . وربما عادت عليك الزيارة بخير وتصبح زيارة وتجارة لأنهم هناك يحبون اللحم الابيض ، ويعشقون الشعر الاصفر . ويغرقون في بحر العيون الزرق

قالت : عليك اللعنة ، اننى باحثة ولست غانية ، وانا اهدف إلى البحث ولا اهدف إلى الخبص . وذهابى مع الضرورة ضرورة حتى أرى بعينيك المعمصتين واشم بأنفك المسدودة واتذوق بلسانك الذى هو مثل المبرد المسنون .

قلت على كل حال لقد مضى بنا الليل فهيا إلى النوم ، وغدا يا صغيرتى .. يوم آخر !

١٩٩٠/٨/١

● ● ●



كل يـوم .. وتـغـيـب

قالت البنت الكركورة وقد بدا عليها الغضب والخصام : اعتقد انك تكذب على وأنك كنت تحكى لى طوال الوقت عن عالم ليس له وجود .

قلت : للبنت الغضبانة ، ولماذا تعتقدين مثل هذا الاعتقاد ؟

قالت : وعدتنى كثيرا ان تاخذنى معك إلى العصر الحميرى الذى تنتمى اليه ، ولكنك فى كل مرة تعتذر عن السفر معى إلى هناك ، وحاجة من اثنين : إما انك كذاب ولا وجود لشىء اسمه العصر الحميرى . واما انك هارب من هناك وتخشى ان تعود مرة أخرى ..

قلت للبنت الزعلانة : أما عن العصر الحميرى فهو موجود وعامر وعال العال ، وبعض اهله هاجوا وماجوا وهجموا على أخرين ، والحرب شغالة الآن فى العصر الحميرى . والجميع فى حالة طوارىء ، واذا نشبت الحرب فسيكون الدم للركب ، والقتلى بمئات الألوف .

بالاضافة إلى العمى والعور والعرج والكتع ، هؤلاء بالتاكيد سيتحولون إلى متسولين ..

قالت البنت مندهشة : ولماذا قامت الحرب ؟

قلت : لا احد يعرف ، ففي عصر الحمير لا احد يسال عن السبب ، لأن السؤال عيب ، وهو ايضا قلة الادب ، كما انه مذلة !

قالت : على فرض ان السؤال كما تقول ، فهل يمنع هذا ان اعرف لماذا نشبت الحرب في العصر الحميرى ؟ اليس الجميع سواء ؟

قلت : نعم . ولكن بعض الحمير لها حوافر ولها اسنان . فهجمت على غيرها . وهذه الحمير الحصلاوى سبق لها دخول الحرب ولمدة طويلة وخرجت من الحرب مضروبة ومعطوبة ، ومع ذلك احتفلت بالنصر ، وانطلقت الزغاريد وانطلقت الصواريخ . وغنى الجميع للمجد الذى بلغوه .

قالت البنت وقد شردت بعيدا : تقول انهزموا واحتفلوا ؟

قلت : نعم ، انهزموا واحتفلوا ، ثم ذهبوا للحرب من جديد !

قالت : اما حكاية ليس لها مثيل ، ومادامو انهزموا ، فلماذا يحاربون من جديد ؟

قلت لأن الذين حاربوهم في البداية كانوا من نوع الحصلاوى ايضا ، فعضوهم ورفسوهم وبهدلوهم وجعلوهم عبرة للاخرين . وكان لابد للحمير المغلوبين أن يبحثوا عن نصر سهل ، فهجموا على حمير من النوع الوديع واجتاحوهم في ساعات وسبوا حريمهم ونهبوا متاعهم وحصل لهم انبساط عظيم ..

قالت البنت مذهولة : واحتفلوا بالنصر ايضا .

قلت : هذه المرة لا .. فالنصر لم يتم بعد . ويبدو انه لن يكون له وجود . ففي العصر الحميرى فتوات اخرون ، هبوا لنجدة الحمير الطيبين ، والآن يحتشد الحمير على كل الجبهات ، ويستعدون لاطلاق النار .

قالت البنت وهي تخبط على صدرها : أما حمير بصحيح . إنهم عندما يبداون في إطلاق النار فسيقتلون انفسهم ، ويخربون بلادهم ، لماذا لايهاجمون الا جنسهم ؟ ولماذا لا يحاربون الذئاب التي تاكل الحمير ؟

قلت : أخر حرب للحمير ضد الذئاب كانت منذ حوالى عشرين عاما . بعد ذلك تفرغوا للحرب ضد انفسهم . ومنذ ذلك الحين كلما ظهر زعيم من صنف الحمير فإنه يتصدى للحرب ضد الذئاب فى الاذاعة احيانا يهددهم بالنسف ، وأحيانا يتوعدهم بالخنق ، ولكنه لا يفعل اكثر من ذلك . وكان الحمير سعداء بهذا النوع من القتال . فيتظاهرون عقب كل تهديد . ويهتفون للزعيم الذى يقود المعركة فى الاذاعة ويرفعون صورته فوق الاعناق . ولكن عندما يحارب الحمير ضد بعضهم البعض فهم يحاربون فى الواقع . ويستخدمون كل الأسلحة ، من الدبابة إلى الاظافر والاسنان .

قالت البنت وقد اندهشت وانبهشت : وفى أى منطقة تدور الحرب الآن بين الحمير فى العصر الحميرى .

قلت : تدور الحرب الآن فى منطقة كانت منذ عشر سنوات هى اغنى مناطق العالم . وكان كل اصناف الحمير يقصدونها للعمل والرزق . ويقصدها ايضا الوف من صنف النمور والضباع والذئاب والبقر والجاموس ، للتجارة والزيارة والعمل . وكانت الحياة فيها سهلة والمشاكل قليلة والرزق وفيرا والسوق مفتوحة والاستهلاك على ودنه ، والسعادة والطمانينة ترفرف على الجميع كان ذلك منذ عشر سنوات بالتحديد ، ثم فجاة نشبت الحرب بين الحمير واستمرت ثمانى سنوات ، وخلال سنوات الحرب الطويلة حارب الحمير بعضهم بالدبابة وبالمدفع وبالصواريخ وبالغازات السامة وبالحراب وبالسيوف وبالمطاوى ، وقتلوا على الجانبين أكثر من مليون ونصف مليون حمار فى عمر الورد ، ومسحوا مدنا باكملها من على الخريطة وخسروا مائة مليار دولار كانت كفيلة بتحويل بلاد الحمير كلها إلى جنة ، وتحويل صنف الحمير إلى أسود .

قالت البنت وهى تكاد تبكى من الغيظ : وكيف انتهت الحرب ؟

قلت : انتهت بعد ان داخ الحمير على الجانبين ، وافلس الجانبان حتى لم يعد معهما ما يشتريان به الخبز ، فوقف القتال لانه لم يعد فى مقدور المقاتلين ان يتحركوا .

قالت البنت تستفهم : وتفرغ الحمير بعد الحرب للتعمير والانشاء ؟

قلت : بل تفرغوا لشيء اخر اغرب من الخيال . ففي ايام الحرب . صرخ الحمير من صنفنا يطلبون النجدة من الحمير الاشقاء ، وزحف اكثر من مليون حمار تلبية لنداء الاستغاثة ، وحلوا محل الحمير العساكر في المصانع وفي الحقول وفي المتاجر . وعندما انتهت الحرب عند الحدود انتقلت إلى الداخل ، راحوا يقتلون الحمير الضيوف الذين هبوا لنجدة الحمير الاشقاء ، ضربوهم واستولوا على ممتلكاتهم ثم قتلوهم شر قتلة وحتى جثثهم اختفت عن الانظار .

قالت البنت وهي تصرخ كالمجنونة : ولكن ليه ؟

قلت : بلا سبب ، لانها عادة قديمة عند صنف الحمير كان من المفروض اختفاؤها منذ اربعة عشر قرنا . ففي الزمن القديم كان الحمير من فزارة اذا غضبوا من الحمير من بني تميم ، هاجموا مضاربهم ليلا ، وسبوا نساءهم وغلمانهم وقتلوا رجالهم . واستولوا على ما لديهم من خيل وإبل وبغال وحمير .

قالت البنت مقاطعة : ولكنك تقول : ان هذا السلوك كان ينبغي ان يختفي منذ اربعة عشر قرنا .

قلت : بل إنه اختفى بالفعل فترة طويلة من الزمان عندما جاءنا رسول برسالة من السماء ، دعانا إلى ترك اخلاق الجاهلية والتمسك بأخلاق الاسلام ، ان نكون اخوة بدلا من ان نكون اعداء ، ان تكون سيوفنا ضد اعدائنا وليس ضد اشقائنا ، ان نمتنع عن سفك الدماء الا دفاعا عن النفس . بعد هذه البعثة السماوية إنحدت السيوف ضد العدو ، وتحولت القبائل إلى امة . ودعوا الاخرين إلى رسالة السماء . ونشروها بالفعل من اقصى الشرق إلى اقصى الغرب ، ومن اقصى الجنوب إلى اقصى الشمال ، واضافوا لتراث البشرية علوما جديدة ، وكشفوا عن عوالم كانت مجهولة ، وكانوا سادة الغابة عندما كانت الوحوش الكاسرة تسكن في الكهوف والمغارات . ولكنهم فجاة عادوا إلى طباعهم القديمة ، وتفرقوا بعد ان كانوا متحدين ، وتنازعوا بعد ان كانوا متفقين . وحتى المخترعات الحديثة حولوها إلى ادوات لأهدافهم الصغيرة .

قالت البنت مثل ماذا ؟

قلت : الاذاعة مثلا . اختراعها كان بهدف اشاعة المعرفة وإذاعة

الأخبار ونشر الموسيقى والفنون على الملايين . ولكن الاذاعة فى العصر الحميرى تستخدم للهجوم على حمير اخرين وبعض الحمير يدعون انهم تقدميون ، ويتهمون حميرا اخرين بانهم رجعيون . والحمير التقدميون يريدون نشر التقدمية فى العصر الحميرى ، فإذا لم يكن بالكلام فـ .. بالسلاح .

وقالت البنت وهى تشد شعرها : وهل هناك تقدميون بالفعل فى العصر الحميرى ؟

قلت مجرد كلام وهلفطة وضحك على الذقون . فالحمير التقدميون يحفظون بعض العبارات ، ويتكلمون ببعض الرطانات . ويرفعون شعارات ليس لها على ارض الواقع وجود . وهم فى الحقيقة أكثر رجعية من الرجعيين . والحمار فى ظل النظم التقدمية محروم من الكلام ومحروم من التفكير ومحروم من الاختيار ومحروم من السفر ومحروم من كل الحقوق التى من حق الحمار . الحق الوحيد الذى يمارسه هو التصفيق لقائد الحمير ، وتعليق صورته على الجدران . وابلاغ اجهزته بأى همسة او لمسة يرتكبها الخلان والجيران .

قالت البنت : ولماذا اطلقوا على انفسهم وصف التقدميين ؟

قلت : ربما لأن كل حمار فى ظل التقدمية من واجبه ان يتقدم بتقرير إلى المباحث عما يدور حوله من أحوال وما يتردد حوله من اقوال !

قالت انن هو موظف فى المباحث .

قلت : ابدا ، هو متطوع لعمل الخير ، وليس هناك افضل من الابلاغ عن المعارف والجيران .

قالت البنت وتسمى هذا خيرا ؟

قلت : عيبك كما قلت لك الف مرة من قبل انك لن تعرفى العصر الحميرى مهما بذلت من محاولات . ان ما تتصورين انه شر بالنسبة لبلادك . هو خير بالنسبة لأهل العصر الحميرى . فالذين يبلغون عنهم ينتزعهم الزبانية على الفور من الدار للنار ، والسعيد منهم من يموت على الفور فيتخلص من عذاب كل يوم . ولذلك فالابلاغ عادة يكون عن الاصدقاء . وهى خدمة يقدمها الصديق لصديقه لكى يتخلص من الحياة !! .

قالت البنت وهى تبكى : وهل الحياة سيئة إلى هذا الحد عند الحمير التقدميين .

قلت : اذا قلنا سيئة فنحن نكذب ، واذا قلنا شاقة فنحن لا نقول الحقيقة ، فالسوء والمشقة مستوى من الحياة له شكل وله حدود . أما الحياة عند التقدميين الحمير فليس لها مثيل . ولا يوجد وصف يليق بها فى كل القواميس .

قالت البنت وقد بدأت تلطم كما النساء فى العصر الحميرى القديم : هل تشبه الحياة عند الحمير التقدميين ، الحياة عند شلوشيسكو مثلا ؟

قلت : فين الحياة عند شلوشيسكو والحياة عند الحمير التقدميين ؟ عند شلوشيسكو هناك حدود وهناك خطوط . هناك اعداء وهناك اصدقاء . هناك انصار وهناك مناهضون . ولكن الحمار فى ظل التقدميين العرب لا يعرف راسه من رجليه . اذا عارض فهو هالك ، واذا ايد فهو هالك ، واذا قنع بالصف الخلفى فهو هالك ، واذا تقدم إلى الصف الاول فهو هالك ، اذا هتف بسقوط الزعيم فهو هالك ، واذا هتف بحياة الزعيم فهو هالك . هو هالك فى اى وضع وعلى كل حال ، ولذلك ستجدين فى القسم التقدمى من العصر الحميرى ابتسامات على شفاة الحمير وفى القلوب غصة ، وستجدين العلاقات بين الجميع مقطوعة . والسهرات ممنوعة . ليس بامر من احد ولكنها ممنوعة بفعل الناس ، وحتى لا يقولك احد ما لم تقله ، ويستنطقك احد ما لم تنطق به ، وبعض احزاب الحمير التقدمية قتلت من اعضائها اضعاف ما قتلت من اعدائها ، وبعض الحمير التقدميين نبشوا القبور ومارسوا التعذيب على جثث المعارضين ، ثم القوا بها بعد التعذيب فى البحر ، بدعوى ان جثث (الخونة) لا تستحق الدفن فى تراب الوطن .

قالت البنت وقد بدأت تاكل فى هدومها كالمجنونة . وماذا فعل هؤلاء الخونة ؟ هل ارشدوا الاعداء عن ابواب المدينة السرية ؟ هل قادوهم داخل المدينة ؟

قلت : بل فعلوا ما هو اخطر من ذلك ؟

قالت : وهل هناك ما هو اخطر من ذلك ؟

قلت : نعم .. فى العصر الحميرى هناك ما هو اخطر من ذلك . لقد عارضوا افكار الزعيم ، وبعضهم سخر من الكتاب الذى قام بتاليفه .

قالت البنت : وهل الزعيم مؤلف ايضا .

قلت : فى العصر الحميرى اياه ، عندما تصبح زعيما فكل شىء ممكن وكل شىء يجوز .

قالت البنت : ليس هذا سؤالى ، ولكننى اسأل ، هل كان الزعيم يعمل بالتاليف قبل الزعامة ؟

قلت : لا . هذه حالة طارئة جاءت بعد الزعامة .

قالت : التاليف ليس حالة ولكنه صناعة لها صناع وخبراء يعرفون اسرارها ككل صناعة فى العالم . فكيف اصبح الزعيم مؤلفا بعد الزعامة .

قلت : فى الحقيقة يا خواجاية ، فى العصر الحميرى . عندما يصبح الاخ القائد أو الاخ العظيم او الاخ الكبير او الاخ الرئيس زعيما يصبح هو الاول فى كل شىء . هو المهندس الاول ، وهو المعلم الاول ، وهو الفلاح الاول ، وهو المفكر الاول ، وهو العسكرى الاول ، وهو المؤلف الاول ، وكتابه سيكون اوسع الكتب توزيعا . ليس فى العالم الحميرى فقط ولكن فى العالم كله . وسيترجم إلى كل لغات العالم حتى لغة هندوراس ولغة كوستاريكا . ونهار « ابوه » ازرق كل مواطن لا يقرأ الكتاب ويحفظه ، وسيرزق من وراء هذا الكتاب ويحفظه عشرات (المؤلفين) الارزقية الذين سيدبجون الصفحات عن اثر كتاب الزعيم فى ثورات جنوب افريقيا ، وعن صدى الكتاب فى حركات التحرير بامريكا الجنوبية .

قالت البنت وهى تشهق : معنى ذلك أن سكان هذه البلاد قراوا الكتاب وحفظوه !

قلت : بل إنهم لم يسمعوا حتى باسمه . صحيح ان ملايين النسخ وصلت إلى هناك ، ولكنها بقيت فى الحفظ والصون داخل سفارة الزعيم . وهذه السفارات نفسها هى التى ستكتب التقارير للزعيم بان نسخ الكتاب نفدت كلها والناس تقف فى طوابير ولا طوابير الجمعية الاستهلاكية تنتظر الطبعات الجديدة لكى تقرا ثم تثور ثورة على نهج ثورة الزعيم .

قالت البنت الأروبة : ولكن اليس هناك احتمال ولو ضئيلا ان يصل إلى هذه السفارات مفتشون فيجدوا نسخ الكتاب مكدسة داخل الحجرات ؟

قلت : انهم لن يجدوا نسخة واحدة على الاطلاق . لأن السفارات المدربة بعد ان يرسلوا التقارير للزعيم ، يسارعون إلى بيع النسخ بالأقة . وهكذا يكسبون مرتين على قفا الكتاب ، مرة يكسبون رضاء الزعيم التقدمي وعطاياه ، ومرة يكسبون ثمن بيع الكتب بالأقة ، ويكسبون فوق ذلك تاييد باعة اللب والفول السوداني في انحاء العالم !

ولدينا زعماء تقدميون اخرون ليس لهم كتب ولكن لهم احزاب . واذا سألت عن اهداف الحزب سيقولون لك ، الوحدة النضالية الاجتهادية الفورية وغير الفورية ، من أجل الصعود والنهوض والطرود ايضا . وسيطلبون منك شد الحزام على البطن بينما قادة الحزب التقدمي الوحدوي الاشتراكي ياكلون الكافيار في الصباح ، والديوك الرومي في الغداء والبط البكيني في المساء .

قالت البنت وكأنها اكتشفت سرا : عرفت الآن لماذا تدعو هذه الاحزاب إلى الاشتراكية .

قلت اسألها : ليه ؟

قالت : لان زعماء الحزب يتناولون اطعمة اشتراكية . فالكافيار ـ كما تعلم ـ من الاتحاد السوفيتي .. والبط البكيني من الصين الشعبية !!

قلت للبنت والغيظ يمزق كبدي : لن تفهمي العصر الحميري ولو انفقت العمر في دراسته .

قالت البنت : ليه ؟

قلت لأن هذه الاحزاب ليست اشتراكية ، ولكنها مشتراكية ، وهي مشتراكية لأن كل اعضائها مشتركون في دفتر التليفون ، ومشتركون في النوادي الرياضية ، ومع كل منهم اشتراك في وسائل المواصلات ! وهذه الاحزاب في الحقيقة احزاب مشتراكية . ولكنهم يسمونها اشتراكية من باب الدلع والهزار .

قالت البنت وهي تصرخ : خيبة الله عليكم حمير بحق وحقيق .

اشتراكيتكم اذن ليست كما نعرفها (من كل مواطن حسب قدرته ، ولكل حسب حاجته :

قلت : اشتراكيتنا عكس ذلك على طول الخط . فهى (لكل حسب قدرته ، ومن كل حسب نفوذه والظهر الذى يسنده) وفى العصر الحميرى مثل يقول (يابخت من كان النقيب خاله) فما بالك بمن كان الزعيم خاله أو عمه أو صهره أو من ريحة الريحة ، تصورى ياخواجاية هناك ابناء عم انفقوا مليارات على القعدة والمزاج ، وابناء عم انفقوا مليارات للحصول على معلومات .

قالت البنت : أما الذين انفقوا الفلوس للحصول على المعلومات ، فهؤلاء لا يمكن ان يكونوا من العصر الحميرى . لأن الحصول على المعلومات هى آخر صيحة فى هذا العصر . وبدون المعلومات لا يمكن لدولة ان تنهض او تنمو وتستمر . فالمعلومات هى الاساس فى السلم وفى الحرب ، والدولة التى تملك معلومات اكثر هى التى لديها فرصة اكبر للنجاة .

قلت وانا اكاد اخبط راسى فى الحائط : مستحيل ان تصبحى حمارة فى اى يوم من الايام . فالمعلومات التى لديكم ليست هى المعلومات التى لدينا.

قالت البنت الفرنساوية : المعلومات هى المعلومات فى اى مكان وزمان .

قلت ولكن العصر الحميرى ليس فى المكان او الزمان . انه يعيش فى الهيلولة المطلقة ، ويسبح فى اللا نهائى المتفشنخ . وابن العم التقدمى المشتراكى ، بعد ان انفق المليارات ، وطاف بالمعمورة وبالمخروبة ايضا ، وتذوق كل انواع البيض الامارة والسمر السمارة ، وبعد ان غنى سواح وماشى فى البلاد سواح ، والخطوة بينى وبين حبيبى براح . وبعد كل الذى حصل والذى وصل عاد بمعلومات من النوع الحميرى الممتاز . على رأس المعلومات ان عدد المؤمنين بافكار الزعيم التى وردت فى كتابه بلغ ٥ مليارات و٦٠٠ مليون و١٤٢ الف نسمة .

قالت البنت وهى تكركر : وكيف احصاهم هذا المضروب ؟

قلت : جاء فى تقرير الحمار اياه ، ان الحصر تم على طريقة حصر

المساجين فى السجون ، وانه اضطر من أجل ذلك إلى الطواف فى الكرة الارضية من حارة إلى شارع . ومن شارع إلى زقلق ، ومن زقاق إلى ميدان ، ومن ميدان إلى قرية ، ومن قرية إلى كفر ، ومن كفر إلى نجع ، ومن نجع إلى مضارب ، ومن مضارب إلى واحة ، ومن واحة إلى غابة ، ومن غابة إلى نزلة ، ومن نزلة إلى دحديرة ، ومن دحديرة إلى لاشىء ! واضطر من اجل ذلك إلى استخدام كل انواع المواصلات . طيارات وصواريخ ودبابات وسيارات وموتوسيكلات وجمال وحمير واتوبيسات وافيال . ولذلك طلب بدل سفر وبدل مواصلات مائة مليون دولار ، وحصل عليها .. كل دولار ينطح دولار .

قالت البنت وهى تشد شعر راسها : وهل هذه كل المعلومات التى حصل عليها ؟

قلت : لا .. بالطبع ولكنه حصل على معلومات اخرى بالتاكيد .

قالت : مثل ماذا ؟

قلت : جاء فى تقريره ، انه بعد ان لف الكون ، وعرف احوال قبائل الزولو وقبائل الهون ، اكتشف - بفضل الله - ان الارض كروية ! وان الدنيا مقسمة قسمين ، وعندما تكون الشمس ساطعة على قسم ، يكون الظلام مخيما على القسم الاخر ، واكد ايضا انه اكتشف بعد بذل الجهود وانفاق النقود ان الدنيا حظوظ ومزاجات ، وان الشمس تطلع كل يوم وتغيب !

قالت البنت الفرنسلوية : يا له من عبقرى ، اكتشف ما لم يكتشفه احد من قبل ، ولم يقدر على اكتشافه اى جهاز من جهاز المخابرات فى الشرق او فى الغرب . وهو عندما اكتشف ان الشمس تطلع كل يوم ، وضع اصبعه على حقيقة كانت غائبة عنا ، ثم احدث انفجارا خطيرا عندما ختم اكتشافه بان ذلك ينتهى دائما بالمغيب . فهى تطلع صحيح ولكنها تغيب ، ولكنها لا تغيب الا لكى تطلع ، ولا تطلع الا لكى تغيب . ان هذا العبقرى هو وجودى فى الحقيقة ، لانه اكتشف نظرية جديدة هى .. انا اطلع اذن انا اغيب !!

قلت وتسمين هذه نظرية !

قالت : نظرية ونص . وهو ليس فيلسوفا فقط . ولكنه ثورى ومناضل وعظيم . انه اراد ان يؤكد لزعيمه ان كل شىء يقوم ليسقط ،

ويعيش ليموت ، وينشأ ليزول . فالشمس تطلع كل يوم .. وتغيب ، ولكنها بعد ان تغيب تعود ، وبعد العودة تغيب ، فهى تغيب لتعود ، وتعود لتغيب ، وهكذا دواليك .

قلت : ياخواجاية ، قد يكون وراء هذا الكلام فلسفة ، وقد يكون فى باطنه علم يخفى على الكثيرين ولكن هذا الاكتشاف الرهيب ليس بفضل الاخ الحمار اياه ولكنه اكتشاف قديم مضى عليه اكثر من ربع قرن من الزمان ، واول من اكتشفه للحقيقة والتاريخ . هى خضرة الشريفة تلميذة زكريا الحجاوى ، فهى اول من لعلع صوتها باغنيتها الشهيرة (والشمس تسطع كل يوم وتغيب ، والبطن تحمل كل علم وتجيب .. صعبان على)

هتفت البنت الفرنساوية ، ياسلام ـ هذا معنى اعمق وعبارة ارشق . من هى خضرة الشريفة واستاذها زكريا الحجاوى ؟ واين اراضيهما الآن ؟

قلت للبنت الفرنساوية وقد هدنى وغصنى السغب : .. هذه قصة اخرى ، فإلى الغد يافرنساوية واسال الله ان يهدك ويقطم وسطك .. امين يارب العالمين ..

١٩٩٠/٩/١

● ● ●



٣٠٠ مليــون زلمـــة !

قالت البنت الفرنساوية وقد استيقظت من النجمة : إحك لى ايها الحمار الصغير عن خضرة الشريفة وزكريا الحجاوى ، هل هما من الانتيكة فى بلادكم ؟ هل هما نوع من الاطلال والاثار ؟

قلت : يا خواجاية عمك زكريا الحجاوى كان على هيئة بشر ، ولكنه فى الحقيقة كان مصنعا لانتاج الصياعة . كان يحب الأرض ، لأنه عليها ولد ، وعليها مات ، وعليها يبعث ان شاء الله يوم القيامة ، وكان يحب البشر ، كل البشر ، باعتبارهم اخوة اشقاء من صلب ادم ، وبصرف النظر عن اللغة والدين واللون ، وكان يحب الشجر ويحب الحجر ، ويبلبط فى الطين ، ويتمرغ فى التراب ، ويستنشق فى سرور عرق الناس وروث ائم .

كان يحب الطبيعة . أما خضرة الشريفة ، فهي فنانة مسرحها الحوارى والشوارع ، وهي تغنى كلاما يحتقره المثقفون اياهم ، باعتباره من كلام السوقة والدهماء والعامة . وهي لاتفهم ما تقوله ، ولكنها بالرغم من ذلك تقول بإحساس ، شعور غريزى لديها ، لأنها تغنى مأساة الناس ومأساتها ، وتلطم على الخدين في مأتم الانسانية وملتمها .

قالت البنت الفرنسلوية : وهل لايزال عمك زكريا وخالتك خضرة يعيشان في العصر الحميرى ؟

قلت : عمك زكريا مات يرحمه الله ، وخالتك خضرة لاتزال تسرح في الموالد والاسواق ، ولكن يمكنك اعتبار هذا الصنف من البشر انتيكة في العصر الحميرى فالعصر تغير والحمير أيضا . في زمن عمك زكريا الحجلوى ، كان صنف الحمير طيبين ، كان كل حمار يرضى بما قسم له الله ، عود برسيم وحفنة شعير ، وكان كل حمار يراعى خاطر جيرانه الحمير ، اذا مات حمار في الشارع ، ارتدى كل الحمير السواد واعلن كل الحمير الحداد ، واذا تزوج حمار في قرية ، رقص كل الحمير وسهروا وغنوا واكلوا وحمدوا الله على ذلك . الآن تغير العصر ياخواجاية وتغير الحمير ايضا ، وستجدين في انحاء العصر الحميرى حمارا ميتا في شقة وحمارا أخر يتزوج في الشقة المقابلة ، اختلطت أحزان الحمير بأفراحها ، وضاعت المعالم ، وزالت الحدود . وفي العصر الحميرى اجزاء تشبع حتى البطر ، وأجزاء تجوع حتى الكفر . وستعثرين على حمار يقتل حمارا اخر من اجل كبشة دولارات ! وهناك حمار ينفق الملايين في ليلة على موائد القمار ، وحمار يبحث عن عشائه في الزبالة ، حمار ينام في قصر ولا قصر التيه ، ومائة حمار مكدسة في حجرة تحت السلم . انتهى العصر الحميرى الطيب ، وبزغت شمس العصر الحميرى القبيح ، واصبحت الحياة مصالح ومطامع ، وصار الحمار الابن يقتل الحمار الأب للاستيلاء على الشقة . والحمار الحفيد يمزق جسم الحمارة الجدة للحصول على غويشة ذهب تحتفظ بها من ايام المجد القديم ، الدولار هو سيد الموقف الآن . والحمير تبيع كل شيء من اجله .

قالت البنت الخواجاية ، ولكنك لم تقل جديدا ، فنحن أيضا

فى اوروبا نعيش فى نفس الحالة ونعانى منها .

قلت : عيبك ياخواجاية انك دائما تخلطين بين العصر الحميرى واوروبا .

قالت : وما الفرق ؟

قلت : فى اوروبا بشر . ولدينا حمير . وانتم تعيشون فى العصر النووى ونحن نعيش فى العصر الحميرى ، ومثل هذه العلاقات اذا ساءت عندكم ، فلها ما يبررها . اما عندنا ، فليس لها مبرر على الاطلاق . وبعض فلاسفة اوروبا قالوا ان السلوك هو نتيجة علاقات الانتاج فى المجتمع ، ونحن فى العصر الحميرى لانزال نعيش فى العصر الزراعى ، ونحن نزرع الجعضيض والسريس والبرسيم والكنتالوب ايضا . وصناعتنا هى علب كبريت ومشط وحصير ملون وقلل قناوى ، لم تتغير وسائل الانتاج ، ولكن تغيرت علاقات الحمير بعضها ببعض .

قالت البنت الخواجاية : افهم من ذلك انكم تاخرتم فى وسائل الانتاج ، تقدمتم فى سوء العلاقات .

قلت : بالضبط .

قالت البنت الفرنسلوية : ولكن هذه معجزة .

قلت : اما عن المعجزات فى العصر الحميرى فحدثى ولا حرج . حياتنا نفسها معجزة ، واستمرارنا فى الحياة معجزة ، وسلوكنا وتصرفاتنا كلها معجزات فى معجزات ، تصورى ياخواجاية ان لدينا حزبا سياسيا اسمه حزب البعث الحميرى وهو قام على أساس بعث امة الخير لتعود كما كانت امة من البغال ، قوية الاحتمال شديدة الصبر . واستطاع الحزب ان يسطو على الحكم فى بلدين من بلاد الحمير ولكنه فى التجربة اثبت انه ليس حزبا للبعث ولكنه حزب للبأس . فالمسائل عنده بالعافية ، تخلص من حلفائه بالعافية ، ثم تخلص من انصاره بالعافية ، وتفنن فى اختيار انواع من العافية لم تخطر لاحد من قبل على بال ، أصناف والوان من العذاب تجعل من المرحوم هتلر مجرد هلو مثل اسامة عرابى وتجعل من حزب البعث ملرادونا التعذيب . تصورى ياخواجاية اذا وقع حمار فى ايديهم نشروا عظامه بالمنشار . واذا اعتدى احدهم على الحزب بالقول

او الاشارة . فهو مقتول لا محالة ، وقد تقولين . وما له واحد اخطا وقتلوه ، وانا ايضا موافق وليس لدى اعتراض ، فكل مخطىء عليه ان يتحمل حتى ولو كان العقاب لا يتناسب مع الجريمة ، ولكن ما رأيك ياخواجاية ان المخطىء لا يموت وحده . ولكنهم يقتلون معه الابن الرضيع والزوجة المريضة والجد الكسيح . وتدفع العائلة كلها ثمن خطا ارتكبه فرد منهم . حتى البيت يصبح اثرا بعد عين ، حتى قبورهم مجهولة ومن يستدل عليها يلقى حتفه على الفور ، واثبتت التجربة ايضا ان حزب البعث تحول فى الحكم الى حزب البحث ، فكل مواطن مخبر وكل عضو فى الحزب شريط تسجيل ، وكما تحول الحزب الى حزب للبأس وحزب للبحث تحول ايضا الى حزب للبخس ، تصورى ياخواجاية ان عضو الحزب يرتقى فيصبح وزيرا او وكيلا او مديرا . ولكن فجأة بقدرة قادر يتحول الى غفير مراحيض ، والى كناس شوارع ، والى مفتش مراجيح .

قالت البنت الفرنساوية وقد ارعشت حاجبها : ولماذا كل هذه الحكاوى ايها الحمار الصغير عن هذا الذى اسمه حزب البعث ، الذى انقلب الى حزب للبأس ، ثم تغير الى حزب للبحث ، ثم صار حزبا للبخس ؟ ما علاقة هذا كله بالعصر الحميرى الذى كنا نتحدث فيه ؟

قلت : عيبك ياخواجاية انك طالبة علم ومتعجلة ، لأن طلب العلم يحتاج الى صبر ولا صبر ايوب ، ويحتاج الى جلد ولا جلد نلسون مانديلا .

قالت البنت الخواجاية وقد صاحت وناحت : الصبر فى الشدائد ميزة ولكن فى الكلام الفارغ مسخرة .

قلت : حتى فى الكلام الفارغ الصبر مطلوب وصاحبه مثاب ، الم تسمعى عن شفيق جلال ؟ انه مطرب فى عصرنا وهو لا يصبر فقط ولكنه يطلب من الصبر ان يصبر ويعلم الصبر ان يصبر .

قالت البنت الخواجاية : طيب صبرنا . فماذا بعد ؟

قلت : حديثى عن حزب البعث سببه ان حزب البعث الحميرى هو علامة على عصرنا ، وهو قام فى البداية لتوحيد الحمير فمزقهم وقام لبعثهم بغالا اشداء صابرين ، فتحولوا على يديه الى حمير

مجروحة ومبطوحة ، سارحين فى البرارى كل حمار وحده ، وكل حمار يغنى على بلواه . وهو فى النهاية ارتكب جريمة العصر . فاجتاح شوية حمير غلابة وشردهم واعتدى عليهم . ولم تكن هذه هى جريمته الوحيدة . ولكن جريمته الكبرى أن هذا الحادث كشف القناع عن وجوه الحمير كلها فبانت على حقيقتها . الحمار التونسى وقف من المأساة عين فى المخلاة وعين فى الغدير . والحمار السودانى توصل الى مبادرة تتيح قبض المعلوم وتناول المقسوم ، والحمار الفلسطينى ضاع فى الكلزوزة ، وصار كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ، والحمار المصرى سلبوه تحويشة العمر وشلحو متاعه عند الحدود ، وضربوه على قفاه عند الجوازات ، ويواجه الحمير اليوم موفقا صعبا لم يواجهوا مثله من قبل ، والسبب فى المأساة هو حزب البعث الحميرى ، الذى تحول الى حزب للباس وانقلب الى حزب للبحث ثم صار حزبا للبخس .

قالت البنت الفرنساوية : حتى على فرض ان ما تقوله هو الصح ، فما علاقة هذا كله برحلتنا فى ربوع العصر الحميرى نشاهد ونتفرج ، ونلاحظ ونستفيد ، ونخرج فى النهاية ببحث تاريخى مفيد عن العصر الحميرى وما جرى له وما جرى عليه .

قلت : ولكن كيف الذهاب الان وقد تقطعت السكك وتمزقت السبل ، واصبح التجوال فى بلاد الحمير كالمشى على حبل مشدود ، فالدبابات تسد الافق وطائرات الشبح تحجب الشمس وصواريخ عين القط مشرعة كاسياف تنادى على عاصى الهوى الله أكبر ! وحاملات الطائرات تملا البحر ومدافعها مسلطة ومسددة على كل انوع الحمير .

قالت البنت الفرنساوية وهى تضرب صدرها بيدها : تصبح كارثة لو قامت الحرب وتم ابادة جميع اصناف الحمير . وتصبح مصيبة لو انتهى العصر الحميرى قبل ان نبحثه وندرسه .

قلت للخواجاية : لا تخافى ولا تحزنى . عمر الحمير طويل وسرهم باتع . وقد تحدث معجزة فى اخر لحظة فتعود الامور الى ما كانت عليه ، أخر الاجة وأخر هنجفة

قالت : كيف ؟

قلت : ربما يسقط حزب البعث فيرتاح منه الحمير البعثيون أولا : وهؤلاء في الحقيقة مثل راكب الاسد ، يخيف به الناس وهو اكثر الناس خوفا . واذا كان حزب البعث قد قتل من الاعداء الفا ، فقد قتل من الانصار مليونا .

قالت : واذا لم يسقط حزب البعث ؟

قلت : في هذه الحالة سيسقط صنف الحمير جميعا ، فلن نعثر في العصر الحميرى الا على فلول . وفي هذه الحالة لن يكون عمك زكريا الحجلاوى وحده في المتحف . ولكن سيكون معه كثيرون ، وسيلحق صنف الحمير بصنف الهنود الحمر ، وسنحتاج عندئذ لخالتك خضرة الشريفة لكى نسرح بها في ارجاء الكون لتندب العصر الحميرى الذى مضى وانقضى ، وسنحتاج عندئذ الى مؤلف عبقرى لكى يضع كلمات موال يليق بالمناسبة

قالت البنت الفرنسلوية وقد سرحت وهامت : الا يوجد في العصر الحميرى مؤلفون من هذا المستوى ؟

قلت : الآن اشك بعد ان مات مرسى جميل عزيز ومات عبدالفتاح مصطفى ومات فتحى قورة وسكت عمنا مامون الشناوى ، اشك الان في وجود مؤلف في العصر الحميرى يستطيع ان يكتب مثل هذا الموال ، والحق اقول يلخواجاية انه كان لدينا في الماضى كثيرون من هذا النوع ، احدهم تنبا بالطوفان الذى حدث اخيرا ، وقضى عمره كله يوصى الحمير ويعظهم ويرشدهم ويعلمهم ، ولكن لاحياة لمن تنادى ، وبالعكس ، وانقلب الحمير ضده وسجنوه وطاردوه وطردوه وقطعوا عيشه وأذلوه وجردوه حتى من جنسية الحمير ، وبالرغم من ذلك ظل مقيما على حبه لهم ، وظل يرشدهم ويعظهم ويتمنى ان يراهم بغالا او احصنه حتى آخر يوم من حياته

قالت البنت الفرنسلوية : وهل تنبا فعلا بما حدث لهم اليوم .

قلت : تقريبا .

قالت : وماذا قال :

قلت : قال :

يا شرق فيك جو منور

والعقـــل ضـــــلام

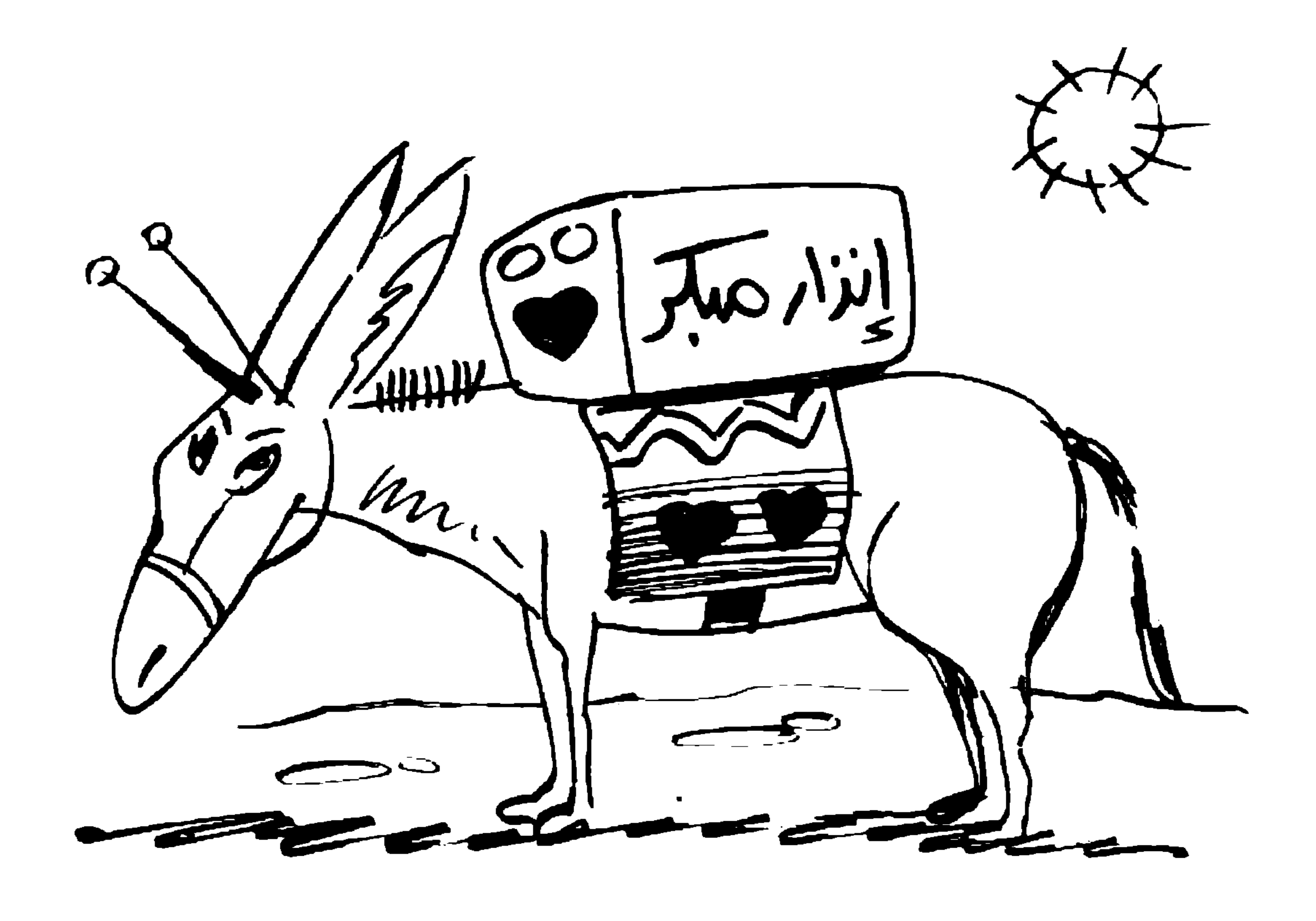
وفيك حرارة ياخسارة
وبرود أجسام
وتلتميت مليون زلة
لكن اغنام
لا بالمسيح عرفوا مقامهم
ولا بالاسلام
وفيك بهايم تتكلم
وتقول يا سلام

شقهت البنت الفرنسلوية وقالت : يا سلام ! هذا شاعر حميرى من الطراز الاول ووصفك لما يجرى على ارض الحمير الان يجعلنى اتمسك بالسفر الى هناك قبل ان تقوم القيامة . لابد ان تبحث لنا عن طريقة الان لكى نذهب الى العصر الحميرى ونتجول فيه ، لان الفرصة اذا فاتت ، فلن يكون هناك اى معنى لحياتى وسانتحر على الفور ، خذنى الى العصر الحميرى ارجوك ، اتوسل اليك قبل ان يندثر ويصبح تاريخا ، وحتى اكون شاهدة عليه وعلى العصر

قلت : أهمدى الان ونامى وغدا نبحث عن وسيلة ، فغدا يوم آخر .

١٩٩٠/١٠/١

● ● ●



المجنـــون .. وليـــلاه ..

استيقظت البنت الفرنسلوية من النجمة ، وهزتنى ولكزتنى ، ثم سحبتنى من الفراش وقالت : انهض عليك اللعنة ، لابد من اللحاق بالعصر الحميرى قبل ان يلحقه الفناء ، فلو انه قضى عليه ، فسأقتل نفسى على الفور ، وستكون انت المسئول عن كل الاضرار التى ستصيب بنتا مثلى ، طموحة وجذابة ، وفى انتظار ابن الحلال .

قلت للبنت الفرنساوية وانا اتساءل : ومن قال لك أن العصر الحميرى سينتهى .

قالت : انت .. ألم تقل لى ان الحرب ستقوم واذا قامت الحرب ، فستقضى على صنف الحمير ، ولن يكون لهم اثر على ظهر الأرض .

قلت : على كل حال الحرب لم تنشب بعد ، وحتى اذا نشبت الحرب فلن تقضى على صنف الحمير . فالحمير كثير وانتاجهم وفير ، وهم لا يتوالدون ، ولكنهم ينقسمون ولذلك هدئى من روعك وحطى فى بطنك بطيخة صيفى ، وكونى على ثقة من اننا سنحصل على حمير فى كل زمان ، فنحن رغم ضعفنا وخيبتنا وهواننا على الناس ، الا اننا انتاج متميز ، فنحن من تقاوى فريدة ليس لها نظير .

قالت : افهم من ذلك انك لا تريد ان تاخذني الى العصر الحميرى

قلت : بالعكس . بل انا شديد الرغبة فى الذهاب بك الى هناك ولكن فى عصرنا الحميرى كل شىء باوان ، وكل امر مرهون بزمن ، وما هو مكتوب على الجبين لازم تراه العين ، وتجرى جرى الوحوش وغير رزقك ما تحوش ، وما دام مكتوبا على جبينك انك ستشاهدين العصر الحميرى ، وتقضين فترة مع صنف الحمير ، فانت باذن واحد احد ومن غير مقاطعة ، سيكون لك حظ مشاهدة العصر الحميرى .

قالت : ولكن هذه اتكالية وانهزامية وتراخ من جانبكم واعتماد على المجهول .

قلت : ميزتنا فى العصر الحميرى اننا نعتمد على المجهول وعلى المعلوم ايضا ، وستجدين فى العصر الحميرى علماء ذرة ، وستجدين فى الوقت نفسه مجاذيب يتصلون بالجان ويعرفون الأخبار من خلال اتصالهم بالعفاريت .

قالت : إذن ليس لديكم ادباء ولا حركة تنوير ولا شعراء يستلهمون الوحى من الطبيعة . ولا فلاسفة يقلبون الامر على كل الوجوه ، ثم يخرجون فى النهاية بسؤال .

قلت : بل لدينا حركة تنوير سبقت حركة التنوير فى اوروبا . فى يوم كان عندنا الفراهيدى وابن الهيثم وابن بطوطه وابن خلدون ، وكان لدينا المتنبى وابو العلاء المعرى ، وكان لدينا الحلاج وبشار بن برد الذى ضربوه بالسياط حتى مات ، ثم القوا بجثته فى نهر دجلة . وكان لدينا المتمرد ابو نواس ، الذى خاف من بطش مباحث الخليفة فادعى العربدة والجنون ، مع انه كان ثائرا قبل ان يعرف الناس الثورة . وكان لدينا ائمة حاربوا الظلم ووقفوا ضد بطش السلطان . الامام الشافعى الذى مد رجله فى مواجهة الوالى ، لأنه لا يمد يده . والامام ابو حنيفة ، الذى يتنازل عن حريته حتى لا يتنازل عن عقيدته . وبعد عصر التنوير دخل الحمير فى نفق مظلم ، ثم جاء عليهم عصر اخر اشرقت فيه شمس المعرفة . وجاء رفاعة رافع الطهطاوى والجبرتى والشيخ العطار وشهبندر التجار المحروقى وشيخ الثوار البصير سليمان الجوسقى واحمد القرداتى ،

الذى كان يسرح بقرد فى حوارى القاهرة ، والذى كان همزة الوصل بين ثوارها ضد جيش نابليون ، ثم جاء على مبارك والشيخ البشرى ومحمد بك البابلى ، والشاعر شوقى والشاعر حافظ والمعمم لطفى المنفلوطى ، وعلى محمود طه الفنان ، والدكاترة زكى مبارك ، صديق ليلىَ المريضة بالعراق ، والضاحك الساخر ابراهيم عبدالقادر المازنى ، وصاحب العين المقفولة والعقل المفتوح الدكتور طه حسين ، وابو الادب توفيق الحكيم ، وصاحب نوبل عمنا الكبير نجيب محفوظ .

قالت البنت الفرنساوية مندهشة ومنتفشة : تقول لديكم فى العصر الحميرى اديب حصل على جائزة نوبل .

قلت : نعم وحصل عليها بجدارة واقتدار . وهو فى فقه الرواية ـ وباعتراف الكل ـ اعظم من شتاينبك ، وفى المنولوج الداخلى اقدر من جيمس جويس ، وفى السرد احرف من تنسى وليامز ، وهو بالنسبة لالبرتو مورافيا خطوة الى الامام .

قالت البنت الفرنساوية : وكيف استطاع كاتب من العصر الحميرى ان يصل الى هذا المقام ؟

قلت : هذا سرنا فى العصر الحميرى وماساتنا ايضا ، لقد كان لدينا منذ وقت قريب ناقد لو ظهر فى أمريكا أو فرنسا ، لاقيمت له فى الشوارع تماثيل ، ولكنه عاش عندنا ومات مطاردا ومذعورا ، الا فى فترات قليلة فى حياته . ومر فى حياتنا مرور السياح ، ولم يستطع رغم عبقريته وذكائه معرفة ما يدور بالضبط فى الشارع الذى يقع خلف منزله ، ومات لويس عوض مجهولا من اغلب الناس ، بينما المجد والفلوس والشهرة كانت من نصيب سليم عبدالجبار .

قالت البنت الفرنساوية : ومن هو سليم عبدالجبار ؟

قلت : انه عضو فى شىء اسمه اتحاد الكتاب وهو اتحاد يضم عددا من الكتاب اضعاف عدد العائدين من العراق والكويت . وبعضهم ينشر اسمه ويكتب تحت اسمه (عضو اتحاد الكتاب) وبعضهم يضيف اليها عنوان سكنه ، واحيانا رقم تليفونه ، واحيانا استعداده لتوصيل القصص والمقالات للمنازل بالمجان ، وستجدين فى كل تاريخنا مفارقات غريبة ، الفلوس ستكون من نصيب هؤلاء ،

والفقر من نصيب الموهوبين ، وسيتصدر هؤلاء المراكز والمناصب . وسيحرم اصحاب الفنون واصحاب العقول ، وسيكسب على برعى عشرة اضعاف ما ربحه نعمان عاشور ، وسيعيش على عويس افضل مائة مرة من يوسف ادريس وسيسقط كاتب مثل فيليب جلاب من الاجهاد لكي يدفع اجرة المسكن وثمن الطعام والهندام ، وسيشيخ لطفي الخولى قبل الاوان ، وسيسكت عمنا أحمد بهاء الدين عن الكلام ، بينما سيظهر بالتليفزيون كل مساء من لا يجيد القراءة ولا الكتابة ولا يعرف الفرق بين الالف وعمود النور . ولن يقع بصرك على صلاح حافظ فى أى مكان ، بينما ستقابلين على كل مادبة أو فى كل حفلة اصحاب الاصوات الغليظة والاقلام الغبية ، ادعياء الثقافة ، محترفى القشور خريجي مدرسة روايات الجيب ومجلة المختار .

لقد كان لدينا يا خواجاية فى يوم من الايام عبقرى لم تلد النساء مثله عبقرى يدعى سيد درويش بدأ حياته عامل بناء ، ثم إحترف قراءة القرآن ، واشتغل بالتلحين والغناء ، ولم يكن للحمير ثروة موسيقية من قبله ، وكل ثروتهم الموسيقية التى حصلوا عليها من بعده ، حصلوا عليها من فضله ، ومع ذلك تركوه يموت فى شرخ الشباب ، بينما استطاع نصاب موسيقى اسمه الدكتور جوزيف فوقى ان يحصل من الاذاعة على نصف مليون ثمنا لموسيقاه . مع ان الكل كان يعلم انه كان يؤلف الموسيقى على سلالم الاذاعة ، وكان يقوم بتسميعها للمؤدين داخل استوديو التسجيل وهو ينقر بأصابعه على ترابيزة المذيع .

وكان لدينا هرمان احدهما يدعى ام كلثوم والاخر يدعى عبدالوهاب ، الاولى كانت مطربة ، لم تخلق السماء حنجرة فى جمال حنجرتها ، ولم تفتل الاقدار حبالا صوتية من نوع حبالها . أما عبدالوهاب فقد تربع على العرش اغلب فترات القرن العشرين ، ومع ذلك عندما ماتت كوكب الشرق قدرت ثروتها باربعة ملايين جنيه حميرى ، وكل خمسة جنيهات من النوع الحميرى تساوى جنيها من النوع الاسترلينى ، كما أن ثروة عبدالوهاب لا تتعدى هذه الحدود .

في المقابل كان هناك فنان خارج العصر الحميرى يدعى الفيس بريسلى ، مات فى الاربعين من عمره ، وخلف وراءه ثروة تقدر بثلاثة عشر الف مليون دولار ، مع إن ثروة العصر الحميرى تفوق كل الثروات .

وفى العصر الحميرى كان لدينا قارىء صوته نغمة من نغمات السماء ، عاش ومات فى حى البغالة ، كان يحضر ماتم الفقراء قبل الاثرياء . وعندما مات الشيخ محمد رفعت لم يكن فى بيته الا حفنة من الجنيهات ، بينما يوجد الآن قارىء اسمه البشير عنتر لا يعرف اصول القراءة ولا يجيد فن التلاوة ، ومع ذلك فهو لا يقرأ الا اذا تناول اربعة اكياس كل كيس فيه الف محبوب ، أما عشاؤه فلابد ان يكون وزة محمرة وفطيرة مشلتته وبرام رز معمر بالحمام .

قالت البنت الفرنسلوية منزعجة : ولكن كيف يمكنه القراءة بعد ابتلاع كل هذه الكمية من الطعام ؟

قلت انه لايقرا الا بعد ابتلاعها ، كما ان عشاءه لن يكون مقصورا على الوزة المحمرة والفطيرة المشلتته والارز المعمر بالحمام ، ولكن لابد من وجود حلة البالوظة ثم البطيخة الشلين فى الصيف ثم قفص البرتقال فى الشتاء ، ثم يشرب دستة كازوزة من نوع الاسباتس ، لكى يتكرع ويطرد الغازات . وهو الآن صاحب عمارة على النيل وعمارة فى المهندسين وعمارة فى مدينة نصر ، وعمارة على كورنيس الاسكندرية بالاضافة الى عدد من الشاليهات فى المعمورة والعجمى وماربنا وشاطىء ابو التلات . بينما عمنا الشيخ رفعت عاش ومات فى بيته المتواضع فى شارع البغالة على مقربة من السيدة زينب وسيدى على زين العابدين جلبا للبركة وهدوء البال .

قالت البنت الفرنساوية وقد سرحت وشطحت : عرفت الآن لماذا الحرب حتمية فى بلادكم

قلت : ليه ؟

قالت : لاصلاح الخلل الذى يهدد جهدكم ويدفع بالذيول الى المقدمة ، ويجرجر الرؤوس الى الخلف .

قلت : واهمة انت وعبيطة يا خواجايا ، قلت لك الف مرة ان مقاييس بلادكم لا تصلح للتطبيق فى العصر الحميرى ، والحروب

ستعود بنا اكثر الى الوراء ، وستجعل من الذيول ائمة ومن الائمة مجرد كومبارس .

قالت : لا غير معقول .

قلت : معقول ونص . فبعد حرب ١٩٤٨ التى ظهرت فيه الاسلحة الفاسدة . وانكشف فيها المجتمع الحميرى ، فإذا به ملء بالثقوب والثغرات وكان لابد حسب نظريتك ان تتولى الحرب تغييره الى الافضل ، ولكن التغيير حدث الى الاسوأ . قام اول انقلاب عسكرى فى العصر الحميرى فى مكان يقال له دمشق من ضواحى العصر الحميرى ، وقضى الانقلاب العسكرى على الديمقراطية الهزيلة التى كانت هناك .

وعرف العصر الحميرى بعد الحرب نموذج الجنرالات الذين يظهرون بوفرة فى جمهورية الدومونيكان وجمهورية شركة الموز فى جواتيمالا ، وجمهورية شركة القنال فى بنما . وجمهورية شركة التليفونات فى السان سلفادور . ثم جاءت حرب ١٩٥٦ وثبت من خلالها ان القيادة العسكرية غير مؤهلة وليست على مستوى المسئولية ، وبدلا من تغييرها ثبتوها فى اماكنها واعطوها كل السلطات ، ثم كانت الخيبة الكبرى فى حرب ١٩٦٧ ، وانهزمت جيوش العصر الحميرى كلها امام جيش المرتزقة والصياع ، ولعلها كانت الحرب الوحيدة التى حصل خير من بعدها ، غيروا القيادة ودفعوا الى الصفوف الامامية اصحاب المواهب واصحاب الكفاءة . ولذلك كان الاداء رائعا فى حرب اكتوبر ، ولكن المعجزة التى صنعها العسكريون بددها السياسيون ، وعدنا خلفا در من جديد ، انقسم المجتمع الى قسمين بحجة الانفتاح والانبطاح ، قسم الذين عبروا ، وقسم الذين هبروا

اما الذين عبروا . فقد بذلوا الدم ، واما الذين هبروا ، فقد جمعوا ما تيسر من الاموال بالرغم من عدم رؤية احد منهم على المعابر وقت الحرب ، اما الذين عبروا فقد تاهوا فى الزحمة واختفوا فى الظلام . واصبح للعصر الحميرى ابطال من نوع جديد . البطل توفيق عبد الحى ، الذى كان بطلا فى التايكوندو . وصاحب الرقم القياسى فى بيع الفراخ الفاسدة والسمك المعفن ، ووسيلته فى ذلك شركة اسمها

أراك ، لا أراك الله مكروها فى عزيز لديك . والبطل رشاد عثمان الذى أوصاه الوالى بأن ياخذ باله من اسكندرية ، فاخذ باله فى اسنانه وهات يا استيلاء على أراضى وهات ياهبر فى فلوس ، وكله فى سبيل التنمية الشعبية . والبطل الحاج عصمت السادات ، صاحب الكرامات والحيازات والشقق والموتيلات ، الذى استولى على الشنابر المسحوبة على البارد والشنابر المسحوبة على الساخن . وهات يا بيع فى السوق السوداء ، والبطل الحاج محمد لطفى المليونير الثرى ، الذى برر تضخم ثروته بانه عمل فى ليبيا لمدة عام وبمرتب قدره مائة دينار فى الشهر ! ولذلك ياخواجايا اذا قامت الحرب ، فسيدخل العصر الحميرى بالتاكيد فى متاهات جديدة وستسوء احوال الجميع اكثر ، وقد يعودون من جديد الى الصحراء والخيام وصيد البر والبحر ، وغزوات القبائل ، والفخر بالأصول والانساب .

قالت : يالها من عيشة حلوة ، واتمنى لو عشتها معهم اذا عادت تلك الايام .

قلت : الصحراء هى سخرية الطبيعة من الاقدار ، وفى الصحراء لا مكان للخديعة او الكذب او الزيف او البهتان . فكل شىء مكشوف وواضح وعلى عينك ياتاجر . لا يستطيع احد فى الصحراء ان يدعى الثراء لانه لا توجد فى الصحراء بنوك ، مالك على جسمك أو داخل بيت الشعر ، أو سارح فى حالك داخل الصحراء . وفى الصحراء لا يستطيع احد أن يدعى الشجاعة . لأن الصحراء واسعة ومكشوفة ، وسيراك الجميع لحظة نشوب المعركة اذا اخذت نيلك وهربت كالفار الجربان . الصحراء هى الصدق وهى الشرف وهى اسمى مراحل الحياة .

هكذا كانت الصحراء فى عصرنا الاول واخشى الآن إذا عدنا الى الصحراء ان نعود بكذبنا وغشنا وخداعنا وقيمنا البالية التى تهرأت من كثرة الاستعمال ، واخشى ان نعود اليها ومعنا ابطالنا الجدد ، توفيق عبدالحي ، ورشاد عثمان ، وعصمت السادات ، ومحمد لطفى .

قالت : وما له ، على الاقل يبنون بيوتا ويفتحون منافذ لبيع اللحم الفاسد والسمك المعفن ويقيمون فى الصحراء سوقا سوداء .

قلت : فى هذه الحالة سأتركك تذهبين لوحدك الى العصر الحميرى الجديد . اما أنا فبرىء منهم الى يوم الدين .

قالت البنت الفرنسلوية : لا والف لا ، رجلك على رجلي وقدمك قبل قدمي ، ورحلتنا ستكون معا . وقد نصبح يوما ما مثل المجنون وليلاه .

قلت : انخمدى ونامي فورا ايتها الخواجايا ، فلنا ألمح فى عينيك الان انك ستصبحين حمارة فى وقت قريب ان شاء الله .

١٩٩٠/١١/١

● ● ●



كــوز المحــبة انخــرم .. !

قالت البنت الخواجايا وقد تنعكش شعرها وتبعزق بعضها : أخبرنى ياحمارى الصغير ، كيف تقضون وقتكم الان وانتم فى فترة الانتظار ؟

قلت : اى انتظار ؟

قالت : انتظار الحرب . الم تقل لى انكم فى انتظار الحرب التى اذا نشبت قد تعود بكم القهقرى الف عام الى الوراء .

قلت : لاشىء . نحن فقط ننتظر .

قالت : اعرف انكم تنتظرون . ولكنى اسال كيف تقضون وقتكم فى فترة الانتظار هل لديكم موسيقى مثلا ؟

قلت : الموسيقى عندنا على قفا من يشيل ، من الطبل البلدى الى اوركسترا القاهرة السيمفونى .

قالت : ولكن هل تستمعون اليها ؟

قلت : نستمع اليها احيانا ، خصوصا اذا كان يصاحبها غناء .

قالت : وأى نوع من الغناء عندكم ؟

قلت : عندنا يا ست هانم غناء على كل لون . عندنا غناء شعبى لزوم افراح الفقراء وللترفيه عن رواد الاسواق ، وقليل يحمل حكمة الشعب الحميرى وفلسفته ، وكثير غث ومضروب ويقدس القيم العالية والعلاقات غير الصحية بين الناس .

والمصيبة ان هذا اللون من الغناء هو الذى فرض نفسه فى النهاية ، والسبب هو التكنولوجيا .

قالت البنت الخواجايا : كيف ؟

قلت : بعد اختراع الراديو كاسيت اصبح الغناء فى متناول الجميع ، عشرة من الحمير يحصلون على نص قرش حشيش وعدة كاستات من النوع المضروب ويسهرون سهرة تمتد حتى الفجر . ولذلك ظهر فى الأونة الاخيرة مئات المطربين والمطربات ، ونشات ايضا عشرات الشركات لتعبئة هذه الكاستات . واصبح لدينا مشاهير من عينة سيد فكرى والبحر ابو جريشة والريس بيرة وام امام السنجلفية نسبة الى كفر سنجلف من اعمال مركز الباجور .

قالت البنت الفرنساوية : وهل يتغنون بالحب مثل مادونا ؟

قلت : بالرغم من شهرتهم وانتشارهم ، الا ان احدا من المستمعين لم يستطع ان يتبين حتى الآن ، بماذا يتغنون ؟ او لماذا يغنون ؟ فكلامهم بالرغم من انه هابط فهو ايضا غامض ، لا يعرف له احد راس من رجلين ، مثلا ، كوز المحبة انخرم ، اديله بنطة لحام ، وغزالة شاردة عاوزة اللى يصطادها . وخد الحبيب قشف ادهلنه زيت حار ،ومين الاستوك ده ؟ اللى ما شى ينك ده .

قالت : ومن الذى يؤلف هذا الكلام ؟

قلت : لا احد يدرى . فيكفى الان اسم المغنى ، والشرط الوحيد أن يكون متمتعا بجاعورة من النوع الممتاز .

قالت البنت الفرنساوية : ربما هى موجة جديدة وحركة تغريب مقصودة ، هدفها الاحتجاج على ما فى المجتمع من انحراف واعوجاج .

قلت : فى الحقيقة ياخواجايا هى حركة تجريد للمعانى وتجريح للذوق . وهى هوجة مثل هوجة الموالد ، كما انها نكسة ووكسة ، وانحطاط وانحدار ، وهى للاسف الشديد جاءت بعد موجة سبقتها كان الغناء الشعبى فيها يحكى قصص غرام شريفة وعفيفة . حسن ونعيمة ، وسعد وانصاف ، واحمد ووجيدة ، وكان المغنى الشعبى يغنى للوطن فى افراحه وفى اتراحه ايضا . غنى السابقون لثورة ١٩ ولثورة يوليو ، وساهموا فى تعبئة الناس فى حرب ٤٨ وفى حرب

٥٦ .. والنار ولا العار ولا استعمار فى بلدنا . و .. الله يخلى الجيش وعساكره منصورين . قال ياواد ياعليش خدلك خمس فدادين ، طول عمرى لابس خيش ما كنت يوم جالعه ، ما كنت لاجى العيش ، والقمح انا زارعه .

قالت البنت الفرنسلوية : ولكن هذا لون من الغناء تحريضى وظهر مثله ابان الثورة الفرنسية .

قلت : فلتطلقى عليه اى وصف ، ولكنه كان غناء له معنى وله هدف ، وكان المغنى من دول يبحث عن كلام معقول لانه لايستطيع ان يواجه جمهوره فى الشارع بكلام من الذى يقال هذه الايام ، من نوع يامجمع المساطيل بالليل .. و .. قالوا الحشيش لالأ ، ان كان حلال ادى احنا شربناه ، وان كان حرام ادى احنا حرقناه . لازمتها ايه قوله اه ولأ .

قالت البنت الفرنسلوية : وهل هذه هى كل الاغانى التى عندكم ؟

قلت للبنت الفرنسلوية : الاغانى عندنا على قفا من يشيل . لدينا اغانى من نوع لولاكى ، ومن نوع دنا ، وبعض المطربين الان يغنون بالرومى وبالهندى وبالجريجى . ولدينا مطرب انتحل اسم مطرب هندى . لذلك سئم الناس الغناء الى درجة ان مطربة الشباب فى هذه المرحلة رحلت عن دنيانا منذ خمسة عشر عاما ، أما مطرب اللحظة فقد مات منذ ثلاثة عشر عاما ، أما مطرب جميع الاجيال فأطر بها حتى سن التسعين .

قالت : ولكن لماذا ترفض هذه الموجة الجديدة من اغانى الشباب ؟

قلت : انا لا ارفض شيئا ولكن هم الذين يرفضون ، تصورى مطرب شباب يغنى لجيله .. جيل ١٩٩٠ ، فيغنى نفس المعانى التى كان يتغنى بها المطربون فى جيل ١٩٠٠ ، ياحبيبى يللى راح ، ياحبيبى يالى ضاع . ياحبيبى يلى العوازل سلطوه عليه . يا رايح وانا قاعد استناك . ياتقيل وانا مدلوق عليك . يامصهين وانا سهران اناجيك .. يا من يجيبلى حبيبى . ان حد شاف حبيبى سلمولى عليه . ساكن قصادى وباحبه . جت واحدة ثانية لهفته منى . ياخرابى على بختى المنيل . وادى قسمتى ونصيبى . وفلاح كان ماشى بيهرش من جنب السور . معان وكلمات كانت تصلح ايام الحبرة واليشمك والعربة الحنطور والمشربيات التى تحجب الجمال

عن عيون الفضوليين ، ولكن الكلمات نفسها مازالنا نستعملها في زمن اصبح فيه الحب على المكشوف . البنات في الشارع اكثر من الاولاد ، وفي التعليم اشطر من الصبيان ، وفي الوظائف عد على قد ما تقدر .

في القاهرة وحدها الوف من البنات يسكن وحدهن ، وفي بيروت يوجد ضعفهن ، وفي الدار البيضاء نادرا ما تجدين بنتا تعيش مع اهلها بعد سن الستاشر ، وفي تونس اغلب البنات هاجرن الى لندن وباريس ، ومع ذلك نتناول الحب في الاغاني بنفس الطريقة التي كنا نتناولها بها عندما كانت غاية الحب ان يختلس نظرة الى الحبيبة ، وهي واقفة خلف المشربية ، اونازلة تدلع تملا القلل . وعندما كانت وسائل الاتصال بين المحبين معدومة ، فلا اجهزة تليفون ولا اجهزة فاكس ، وكانت اقصى امنية للحبيب ان يهرش في شعر راسه وهو فايت على بيت الحبايبب ، فتدرك الحبيبة انه يرسل اليها بالتحية والسلام .

اعرف واحدا من الحمير سافر الى اوروبا حديثا ووقف في النافذة في عاصمة اوروبية كبرى يحملق ويبحلق في بنت خواجايا تقف في نافذة امامه ، ووقع صاحبنا في الحب من اول نظرة ، واراد ان يعلمها بحبه ، هرش في شعر راسه ، فلما لم ترد السلام بالهرش في راسها ، راح يهرش عمال على بطال حتى اقتلع بعض شعر راسه ، وبعد أسبوع من البحلقة والهرش ، التقى بالبنت على رصيف الشارع فحدق فيها وراح يهرش ففتحت البنت شنطتها واخرجت زجاجة دواء وقالت له : خذ هذه الزجاجة ففيها دواء يقضي على كل الحشرات التي في شعر راسك . لأن الهرش في الراس ليس من ادوات الحب في بلادكم . ولكنه في بلدنا اول درجة من درجات الحب .

قالت البنت الفرنسلوية اليس لديكم شعراء ؟ يبتكرون المعاني ويحلقون على اجنحة الخيال .

قلت : كان لدينا من هذا النوع كثيرون ، كان امير الشعراء احمد شوقي يؤلف الاغاني ويحتضن المواهب الشابة من المطربين ، وكان الشاعر احمد رامي يبتكر المعاني ويخترع المواقف ويحلق على اجنحة الخيال الى النجوم ، وكان على محمود طه يربط الحب بالحضارة القديمة ، وكان محمود حسن اسماعيل يجد صلة بين الغرام والنيل ، وكان الشاعر احمد فتحي يغني للحب

على طريقة روميو وجوليت ، وجاء بعد هؤلاء الشعراء عشرات من مؤلفي الاغاني ، كان لديهم احساس وعندهم ذوق ، وخلفهم ثقافة شاملة وتجربة عريضة . مرسى جميل عزيز ومأمون الشناوى ويا أمة القمر ع الباب ، و .. ادى الربيع عاد من تاني . اختفى هذا الصنف الآن ، واصبح مؤلف الاغاني لا يفكر ولا يحس ، يؤلف الاغنية وهو في الكافتيريا واحيانا وهو في السيارة ، وغالبا وهو في بوفيه الاذاعة ، لم يعد لديهم وقت ينفقونه في التفكير أو في اصطياد المعاني واغلبهم لم يقرأ ديوان شعر في حياته وهؤلاء يتصورون ان المعرى كان فقيرا لا يجد ما يستر جسده ، وان المتنبى كان عرافا يفتح المندل ويوشوش الودع . ولذلك لدينا في العصر الحميرى ظاهرة لا اعتقد انها موجودة في مكان اخر على ظهر الارض .

تصورى .. لدينا يلخواجايا اغنية عمرها الف وخمسمائة علم كتبها شاعر مقاتل قضى نصف عمره على ظهر الحصان . اغنية تقول

ولقد ذكرتك والسيوف نواهل

منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

قالت : اغنية عمرها الف وخمسمائة علم وتستمعون اليها في الوقت الحاضر ؟

قلت : وسنستمع اليها في المستقبل ايضا .

ولدينا اغنية عمرها الف علم ، انتشرت انتشار الوباء في حقبة لسبعينات . الاغنية تقول :

لما إناخوا قبيل الصبح عيسهمو

وحملوها وسارت بالهوى الابل

ياحادى العيس عرج كي اودعهم

ياحادى العيس في ترحالك الأجل

لدينا اغنية ثالثة عمرها الف ومائتان علم . الاغنية تقول

اقول وقد ناحت بقربى حمامة

ياجارتا لو تعلمين بحالى

معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى

ولا نزلت منك الهموم ببال

والناس تستمع لها وتطرب . ربما لم يفهموا المعنى على وجه التحديد ، ربما غمضت بعض الكلمات عليهم ، ولكنهم شعروا باحساسهم الدفين انها أغان راقية وتحمل زخما من المعاني السامية ، فهذا الفتى المحارب كان يدعى عنترة وكانت له حبيبة اسمها عبلة ، والمعنى الذى جاء فى شعره لم يصل اليه احد من قبله ، ولم يرتفع اليه احد من بعده . ولقد ذكرتك والسيوف نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى ، فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم ، تصورى يلخواجايا وهو فى عز المعركة وفى اتون المعمعة تذكر حبيبته ، بينما السيوف تنهش فى لحمه وتصطبغ بلون دمه . ما الذى فعله الشاعر وهو فى هذا الكرب العظيم ؟ لا شيء سوى انه تمنى لو انه طبع قبلة على السيف الذى ينهش لحمه ، لانه يلمع لمعان فم حبيبته التى كانت تتمتع باسنان كاللؤلؤ وفم كخاتم سليمان ، وبعد ان مات الشاعر ومضى عليه الف وخمسمائة علم فى التراب ، جاء شاعر عابث اسمه حسين شفيق المصرى . فاراد ان يسخر من الشاعر القديم فقال : ولقد ذكرتك والحمار معاكس فوق الشريط وقد اتى الوابور !

وفى الحقيقة يلخواجايا ، الشاعر العابث لم يكن يسخر من الشاعر القديم ، لكنه كان يضيف اليه . فالموقف الذى اختاره ولم يتذكر شيئا فيه الا حبيبته كان اصعب مائة مرة من الموقف الذى وجد الشاعر القديم نفسه فيه . فالشاعر القديم بطل وشجاع قلبه كالحديد ، والحرب عنده متعة والقتال هواية ولم يدخل معركة فى حياته الا انتصر فيها ، ولم يصارع احدا الا قتله ، وهو فى المعركة كانه فى حوض سباحة ، او فى كازينو على شاطيء النيل .

أما الشاعر الحديث فهو فلاح قفل يركب حمارته العرجا ويحاول ان يعبر بها شريط السكة الحديد ، ولكن الحمارة تعثرت وانحشرت حوافرها فى الشريط ، بينما الوابور قادم يطلق صفيرا وينفث دخانا ويحمل معه الموت الأكيد . وبالرغم من ذلك تذكر الفلاح القفل حبيبته وهو مدرك تماما انه هالك لا محالة ، وانه ضايع فى الكازوزة بدون شك ، حتى العابثون زمان كانوا يعبثون من خلال الفن ، وكانت مواهبهم تساعدهم على ذلك .

اما مؤلفو هذه الايام فلا فن ولا موهبة ولا وقت عندهم للعبث ، لانهم مشغولون طول الوقت ، احيانا في الاذاعة لامضاء عقد ، واحيانا في مكتب بيع اغنية ، واحيانا في بيت لتحفيظ مطربة لا تعرف القراءة ولا الكتابة .

اذكر ان ملحنا شهيرا اسمعني ذات يوم قصيدة من تلحينه . كان المذهب يقول : مر بي ، أومأ لي ، وبعد ان استمعت الى الاغنية كاملة ، اسند العود على الحائط المجاور وسألني سؤالا في غاية الغرابة والسذاجة : اوما لي .. يعني ايه واجبته : أومالي ، يعني هات سيجارة وضحكت ، وضحك هو الآخر . واندهشت . كيف يلحن كلاما لايفهم معناه ؟ مع ان التلحين هو مزيد من التفسير للمعنى الذى يحمله الكلام او يخفيه بين السطور ، ولكن كل شيء في العصر الحميري جائز ، وكل شيء ممكن ، حتى تلحين الكلام الذى لا يفهم الملحن معناه .

وضربت البنت على صدرها وقالت : يخرب عقلك ، لقد فهمت الآن من كلامك انكم حمير صحيح ، ولكن اصحاب حضارة ، وكان لكم تاريخ من الوف السنين ، وعندكم اغان عمرها الف وخمسمائة عام .. مع ان الانجليز لا يفهمون لغة اجدادهم التي كانوا يستعملونها منذ اربعمائة عام ، وانت يامضروب مازلت تحفظ الاغاني القديمة ، كأنك انت الذى قمت بتاليفها الآن ، لقد شوقتني لرؤية العصر الحميرى ، فمتى تذهب بي الى هناك .

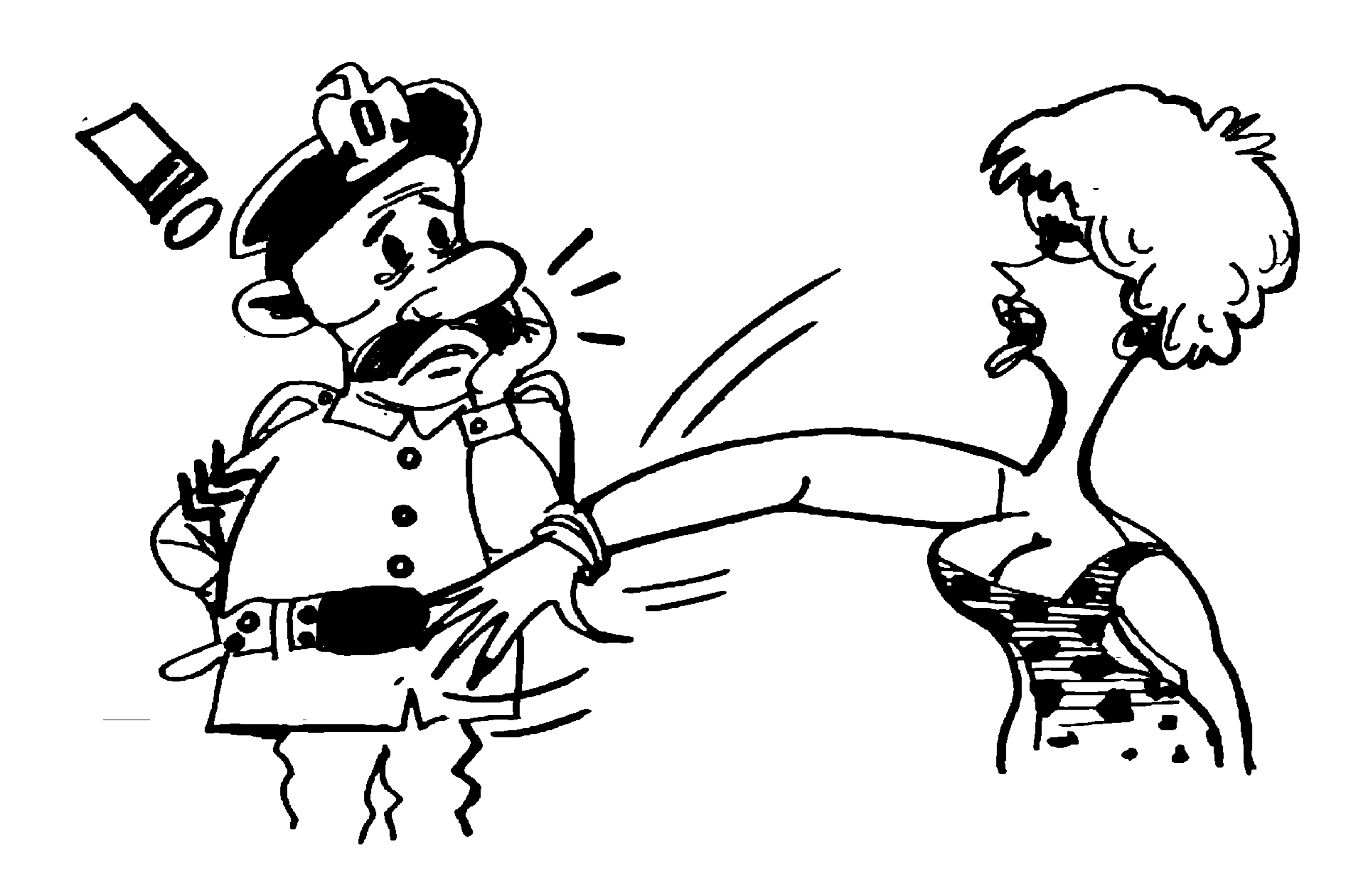
فقلت لها : نامي الآن ، وغدا يحلها الف حلال .

قالت : واذا لم يحلها ؟

قلت لها : اتخمدى ونامي ، وغدا يأتي الفرج مع تباشير الصباح .

١٩٩٠/١٢/١

● ● ●



الوعـــد والمكتـــوب .. !

استيقظت البنت الخواجايا مذعورة ، وألقت نظرة على ساعة الحائط ، ثم برطمت وتعزرنت وسبت الاخضرين ، وتحولت فجاة الى اعصار مدمر ، وانطلقت الكلمات من فمها الرقيق كأنها دانات مدفع ميدان ، وراحت تجمع ثيابها وتجمع متاعها ، وارتدت فردة حذاء وبحثت عن الفردة الاخرى ، فلما لم تجدها ، شوحت ولوحت ، وفتحت الباب وخرجت لا تلوى على شيء . على رأى الشيخ طاهر مدرس اللغة العربية ، وخرجت وراءها بالشبشب والجلباب ، ولحقت بها عند محطة الاتوبيس ، وعكمتها من قفاها وجرجرتها على الافريز ، ولكنها عصلجت وصوتت ، فالتف حولنا جمع غفير ، من صبى صغير الى امراة عجوز دردبيس ، ثم جاء العسكرى عتريس ، ومن قفايا عكمنى ، وعلى الارض جرجرنى وبكمية من الشتائم اتحفنى ، فلما اعترضت على هذه المعاملة الحقيرة والاهانة الكبيرة .

اندهش الشاويش لجراتى ، وكاد يجن من شدة وقاحتى ، وقال ع القسم لابد ان تذهب ، ومحضرا لابد أن تعمل ، وسجنا لابد ان تدخل فلما اخرجت له البطاقة ، وعليها صورتى فى منتهى الشياكة والاناقة . قال : طبعا ، هذا لبس نشالين ، فلو انك موظف حكومة ، لخرجت من بيتك بالفانلة واللباس ، أما ملبوسك الى وظيفتك ، فلن يزيد على شوال بدون اكمام ، وفى قدمك مجرد مداس ، ولو كنت صاحب دكان لعانيت من وقف الحال . ولو كنت خريجا فانت منتظر خطاب القوى العاملة ، ولكن صورتك فى البطاقة كشفت حالك ، فانت متقمش ومتمرمش ، وبالطبع معك فلوس وعندك غموس ، وانت نشال قرارى ، ولابد لهفت محفظة الست الامورة ، ولابد من سجنك لترتاح منك المعمورة . قال قوله هذا واستغفر الله وهبدنى قلما على قفاى ، وركبة فى حشاى .

وعلى الفور انطلقت البنت الفرنسلوية كالمدفع وهات يالتلطيش فى الشاويش . واندهش الشاويش غاية الاندهاش ، وحصل فى عقله انهباش ، وقال مزمجرا ! اضربه علشانك وانت ولا على بالك ، لابد انك زميلته ، وفى الحرفة وكيلته ، وانت ولية سوابق ، ونهار ابوك غامق . فلما اخرجت باسبورها وعرف هيئتها ، انسحب على الفور وقال : عجايب ظننته من صنف النشال ، فاذا هما عاشقان ، وفى حاجة الى موال ، وها هى البنت تبوسه ، وتضع فلوسها على فلوسه ، وفى الوقت نفسه ترمقنى بعين بصاصة تندب فيها رصاصه .

وانصرف الشاويش ، وتفرق الناس . فعدنا الى البيت واكلنا الفول بالزيت ، وسالتها على الفطار ما الذى حولك من ملاك الى عفريت .

قالت : لعنة الله عليك ، وعلى اليوم الذى شكلك فيه رايت ، ولد كذاب واونطجى . وانت خدعتنى وجرجرتنى ، وبكلامك المهبول اقنعتنى ، ووعدتنى بالذهاب لرؤية العصر الحميرى ، ولكننى معك منذ علم ولم اشاهد من الحمير الا انت ، وبذلك صحت نظريتى ، فانت الحمار الوحيد ، وما عدا ذلك فهو خطرفة وهلضمة . ومنذ علم وانا الف وراك ، واذهب معك من هنا لهناك ، وانت تهرش مخى باساطير وخرافات ، وتلحس عقلى بحكايات وروايات .

علم كامل يا نصلب ضيعته من عمرى . علم كامل . واستطاع جورباتشوف فى زمن مثله ان يحول روسيا من دولة شيوعية الى دولة راسمالية . وتم خلاله بناء نفق تحت المانش يربط بريطانيا باوروبا لاول مرة فى تاريخ البشرية .

علم كامل . استقلت خلاله ناميبيا . وتطورت فيه قضية السود فى جنوب افريقيا . وسقط فيه حسين حبرى مرتين وعاد الى الحكم مرتين . وانت تسرع بى بعيدا الى عالم حميرى ليس له وجود . والى ناس حمير ليس لهم مثيل . والمصيبة انى صدقتك . وانا معذورة على كل حال . فشكلك والحمار سواء . ولكن عقل الحمار افضل . فهو على الاقل يعرف طريقه . وفى الشغل يفيد فريقه .

قلت للبنت الخواجايا : اما فى شكلى والحمار سواء . فهذه حقيقة . ولكنى لم اخدعك . بل انت التى ورايا جريت . وعلشان تتشرفى بصحبتى بكيت . وانا وعدتك بالذهاب الى العصر الحميرى . وساذهب بك حسب وعدى لك . ولكنك يا خواجايا لا تعرفين ان هناك فرقا بين الوعد والمكتوب . فالوعد من فعل البشر . والمكتوب من صنع السماء العالية . نحن نعد دون أن نعلم ما هو المكتوب . احيانا يتفق الوعد مع المكتوب . ولكن هذا يحدث احيانا ولمدة قصيرة . وصحيح انا وعدتك يا خواجايا . ولكن الوعد غير المكتوب كما شرحت لك من قبل .

اما المكتوب يلخواجايا فهو كما نراه الان على الطبيعة . العصر الحميرى اشتعلت فيه النار . البوارج تملأ البحر ومدافع الميدان تمتد نحو الافق . والطائرات الشبح تسدعين الشمس . وهناك لغط حول قنابل ميكروبية . وهناك شك حول قنابل نرية . واذا قامت الحرب . قد ينتهى العصر الحميرى قبل ان تكتحل برؤيته عينك الجميلة ياست البنات .

قالت البنت الخواجايا وهى تكاد تنفجر من شدة الغيظ : اذا انتهى العصر الحميرى او راح فى ستين داهية . فلا لوم عليك ولا تثريب . لأن هذه ليست هى المشكلة . المشكلة يا حمارى هى الوقت الذى اضعته . علم كامل وانا الف وادور خلفك . علم من عمرى ومن عمر الحياة يا مفترى . البنى ادم يعيش على هذه الأرض . ربما ستين عاما اذا كان سعيد الحظ . وبعض الناس ماتوا

في سن الأربعين ، وكل الجنود ملتوا ما بين العشرين والثلاثين ، وانا افقد من عمرى عاما كاملا دون فايدة وبلا اى عايدة .

قلت يا سبحان الله ، طبعك حامى يلخواجايا وامرك غريب ، تبكين من اجل عام ضاع من حياتك ؟ وفى بلاد الحمير يبددون القرون والدهور ولا نشعر بشيء . هل تسمعين عن جامع نفق شبرا ؟ منذ الاربعينات وناس يذقون تجمع من ركاب الترومای والاتوبيس اموالا لبناء جامع نفق شبرا . لا الجامع ظهر ولا التبرعات انقطعت . ومع ذلك لم يحتج احد ولم يعترض احد .

وفى المغرب العربى مشروع مد خط سكة حديد من طنجة الى الاسكندرية ، وقد فكروا فى المشروع منذ استقلال الجزائر عام ١٩٦٢ . وقد الفوا لجنة لدراسة المشروع . ثم الفوا لجنة ثانية لدراسة مشروع اللجنة الاولى . ثم الفوا لجنة ثالثة للتفتيش على اعمال اللجنتين ، ومنذ عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٩٠ لا تزال اللجان تتالف والمشاريع تعاد والميزانيات تدبر ، ولكن بالنسبة لخط السكة الحديد لاحس ولا خبر . ومع ذلك لم يغضب أحد ولم يحتج أحد .

بعض الدول فى بلاد الحمير وعدت شعوبها بضرب البيروقراطية واشاعة الديموقراطية وتطبيق الديناميكية وضرب الاستاتيكية ، وبعضها وعد شعبه ببندقية لكل محارب ودواء لكل مريض ووظيفة لكل ضايع وبالطو لكل بردان وعشوة لكل جوعان ومعاش لكل فلسان ، ومضت على هذه الوعود عشرات السنين . ازداد خلالها عدد المرضى وتضاعف عدد المفلسين ، وصار البردانين والجوعانين هم حزب الاغلبية ، وبالرغم من ذلك لم يغضب احد ولم يحتج احد .

وهذا الموقف ـ يلخواجايا ـ من الشعب الحميرى . ليس نتيجة يأس لا سمح الله . ولكن ايمانا منا بأن الوعد غير المكتوب . فالحكومات وعدت ، ولكن المكتوب لا يتفق مع الوعد . وايضا يا خواجايا .. لان العجلة من الشيطان ، وفى التانى السلامة وفى العجلة الندامة ، وتجرى جرى الوحوش وغير رزقك لم تحوش ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، ولو عرفتم الغيب لاخترتم الواقع . وهذه الاقوال يلخواجايا قد لا تعجبك ، ولكنها عصير حكمتنا من خلال تجربتنا الطويلة فى الحياة .

وتصورى يلخواجايا لو ان مشروع خط سكة حديد الشمال الافريقى نفذوه على الفور ، لكان عمره الان ربع قرن ، ترى كم من الاقدام كانت ستفرم تحت العجلات ؟ وكم من النفوس كانت ازهقت بفعل الاصطدامات والانقلابات ؟ وكم من المآسى كانت ستحل بالبلاد والعباد ؟ ولو أن الحكومات نفذت ما وعدت به . لحدث فى بلاد الحمير ما لا يحمد عقباه .. على راى اموج البور سعيدى فالناس اذا جاعت هدات ، واذا تعرت سكنت ، واذا صاعت انزوت واذا مرضت انطوت . اما اذا شبعت وارتوت وتلمضت فيا داهية دقى . سيصبحون أخر افترى وأخر بجاحة ، وقد يطالبون بالمزيد . وبعد الحصول على الديمقراطية قد يطلبون بالمشاركة . وقد يفترون اكثر فيطالبون بالمساواة فى الحقوق والواجبات .

اعرف ثورة قامت فى بلاد الحمير منذ عشرين عاما . كان لديها فى الخزانة فائض اموال يكفى لكى يعيش كل حمار فى الارض الحميرية فى مستوى المواطن الايطالى . ولكن الثورة اياها أثرت التريث . ووعدت الحمير بمستوى يفوق مستوى المواطن السويدى . وبعد مضى عشرين عاما على هذا الوعد ، انحط مستوى الحمير الذين يعيشون فى ظل الثورة اياها حتى صاروا يحلمون بمستوى المواطن السويسى ، وبدلا من عمل لكل مواطن ، وحققت الثورة هدفا اخر هو لجنة لكل مواطن .. واللجان فى كل مكان ، بينما الطعام ليس له وجود فى اى مكان . ومع ذلك لم يغضب احد ولم يحتج احد ، باعتبار ان كل شىء قسمه ونصيب . وما هو مكتوب لازم تراه العين ، واقدارنا بيد السماء القاسية يا نهر البنفسج على راى عمنا زكريا الحجلاوى يرحمه الله .

وعندنا يالخواجايا حزب اسمه حزب البعث العربى الاشتراكى . والبعث معناه اعادة الحياة ، ومع ذلك تسبب فى قتل الامة . ولم يضرب من صنف الناس الا العرب ، بدد شمل البعض وخرب مصالح الجميع ، ومع انه اشتراكى ، الا انه بعد عشرين عاما فى السلطة باع القطاع العام وحل اتحاد العمال وقتل كل صاحب رأى . ومع ذلك لم يغضب احد ولم يحتج احد . على أساس تهرب على فين ياعبد من المكتوب .

قالت البنت الخواجايا وهى تصرخ : مالى انا وهذا الكلام

الفارغ . لقد وعدتني انت بان اذهب الى العصر الحميرى واتفرج عليه ، ولكنني انفقت من عمرى عاما ولم نذهب الى اى مكان ولم اتفرج على اى شيء . واضعت من حياتى عاما دون ان نحقق فيه شيئا على الاطلاق .

قلت : ما اعبطك يا خواجايا . وما اشد سذاجة حضرتك . انت منذ وضعت يدك فى يدى وانت تعيشين فى العصر الحميرى . وعليك ان تلتزمى بقواعده وان تخضعى لقوانينه . وانت تغضبين من اجل علم ضاع من حياتك ، والعبد لله غادر ارض الحمير ذات مرة لمدة عشر سنوات وودعت بعض الناس الذين كانوا جلوسا على القهوة ، وعندما عدت بعد عشر سنوات وجدتهم جلوسا على القهوة فى نفس الوضع والهيئة ، ولم يندهش احد منهم لرؤيتى ، ولم يسالنى احد منهم اين كنت ؟ وما دمت يا خواجايا اصبحت صديقتى . واخترت الحياة على طريقتى . فلا بد من اعتقاد ما نعتقده وقبول ما نقبله واحتمال ما نحتمله . والا اذا كنت ستعترضين على كل هايفة وتلطمين فى كل نايبة ، وتفرجى علينا طوب الارض علشان علم واحد مر من حياتك بدون فايدة او عايدة . فسيكون هذا ـ يابنت الفرطوس ـ فراقا بينى وبينك .

وعلى الفور على الارض البنت سقطت . وبدموع غزيرة بكت ، وعلى طراطيف صوابعى باست ، وقالت ارجوك اتوسل اليك لا تطردنى . ولا تفارقنى . لن اسألك فى المستقبل عن اى شيء . ولن اخوت دماغك باى موضوع . ساعيش معك حميرية من جذور الحمير ، وستجدنى بعد فترة اتفوق على صنف الحمير ، لا اسال ولا اتشكك ، لا اغضب ولا احتج ، وسأستمع الى الوعد ولكنى ساخضع للمكتوب .

قلت : خيرا وبركة ، حميرية تعيشين ان شاء الله ، حميرية تموتين بفضل الله ، حميرية تبعثين مع صنف الحمير باذن الله ، أما اذا تبرمت او شكوت او صرخت او لطمت ، فليس عندى الا البرطوشة على بوزك .

قالت : خدامتك وجاريتك يا حمارى العزيز .

قلت : دعينا الان من الكلام الفارغ وتعالى الى الفراش .. •

يناير ١٩٩١



خـرســاء اليمــامـة . !

استيقظت البنت الفرنسلوية من الفجرية وقالت : والآن .. وحتى يستجيب العراق لمطالب المجتمع الدولى ، ويخرج من الكويت بسلام ، ماذا تقترح يلسى السيد أن نفعل حتى تحين اللحظة الحاسمة ونتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود ؟ قلت : سنفعل يلخواجايا كما يفعل الحمير فى بلادنا . سنقضى الوقت فى قزقزة اللب وطرقعة الصوابع وفى تقليب صفحات الصحف وفى النوم بعد الظهر ؟ ، وفى الدردشة بعد العشاء حتى مطلع الفجر ثم النوم حتى العصر .

قالت البنت محتجة انت تفعل ذلك .. آه . ولكنى انا لا افعل ذلك ولو انطبقت السموات على الارض .

قلت للبنت الخواجايا فى هدوء : انت طبعا لن تفعلى ذلك ، فهذا السيناريو الذى عرضته عليك ، هو حق الرجال ، اما صنف الحريم فلهن روتين اخر . ساقدمك لبعض السيدات الحميريات لزوم قضاء الوقت معهن والدردشة فى احوال الجيران ، والنميمة فى حق الاصدقاء والخلان ، ثم قرطفة الملوخية وتقليب التقلية ، وتخليل القوطة المجنونة ، وقدح الزبدة المدهونة ، وغسل الهدوم المركونة ، ثم الاستحمام بالماء السلخن والصابون ، ثم دعك الكعوب وطرد القشف المدموك ، ثم النوم وانتظار السيد حتى يعود .

قالت البنت الفرنساوية : وهل تتصور اننى ساطبخ لك ملوخية واقلب لك التقلية ثم اجلس انتظر تشريفك لكى اقوم لك بدور شهر زاد ؟ اذا كنت تعتقد ذلك ، فهذا بعيد عن شنبك !

صرخت فى وجه البنت الفرنساوية : لقد اتفقنا يا بنت الفرطوس على انك حميرية تعيشين ، حميرية تسلكين ، والا فسيكون فراق بينى وبينك ، وانا رجل من بلاد الحمير ، وارغب فى الحياة مع امراة من نفس الماركة .

تراجعت البنت الفرنساوية وتنحنحت ، ثم بكت ونهنهت . وقالت : لا تلجا فى كل مناسبة الى سلاحك البتار ، ولا تهددنى بحرمانى من العيش معك ايها الحمار ، فانا اخترت الحياة معك لهدف .. هو مشاهدة العصر الحميرى ، والحياة مع صنف الحمير ، وساحقق هدفى حتى ولو اضطرتنى الظروف الى الحياة معك ايها الحمار ، والصبر على ما ابتلتنى به الاقدار ، حتى قرطفة الملوخية وتحبيشها بكل انواع الافاوية والبهار .

قلت : على خيرة الله ، اتفقنا . وعلى بركة الله ننفذ الروتين الذى اتفقنا عليه ، انا فى السلاملك وانت فى الحرملك ، انا مع العمد والاعيان وانت مع الهوانم والستات .

قالت البنت تتساءل : معنى ذلك اننا لن نلتقى ابدا ؟

قلت : بل سنلتقى بالتاكيد ، وسيكون ذلك فى السرير .

قالت البنت الفرنساوية وقد ارعشت حلجبها ، وفي حركة تؤكد ان الكلام مش علجبها : ومتى اذن نلتقي لنتناقش ونتفاهم ونرسم خريطة حياتنا معا ونراجع خطواتنا السابقة ونتفق على مسيرتنا المقبلة .

قلت وانا اتنحنح واخبط بيدى على الترابيزة واتبحبح : ولماذا كل هذا العناء ؟ وما جدوى هذا الشقاء ؟ ان اجتماعنا سيكون للمناغشة وليس للمناقشة ، وماذا تجدى المناقشة مع مثلك ؟ وكيف اناقش امراة والنساء ناقصات عقل ودين ؟ وكما قال سيدنا دهمان بن دحبور .. المرأة اولها نتن واخرها نتن ! وكمان قال بمباز بن كعبور .. الشيطان امراة ، والجنة لا يدخلها شيطان !

ونحن في بلاد الحمير لا نناقش صنف الحمير.. ولا نستشيرهن . نحن نامر فنطاع ، ونحكي فيستمعن ، ونصمت فيشعلن النار لعمل الشاى والكركديه .

قالت البنت الفرنساوية : معنى ذلك اننا لن نخرج معا نتمشى على شاطىء النهر ونتناول الافطار معا في الكافتيريا او نخلع وننزل نبلبط معا في حمام سباحة ؟

قلت للبنت الخواجايا : امرك عجب وسلوكك شغب ، وحتى اذا اضطرتنا الظروف للمشي معا ، فلابد ان يكون بيني وبينك فرسخ وقيل فرسخان ، فالمرأة عورة والرجل الحمش لا يمشي جنبا الى جنب مع المعاور ، ولكنه يمشي وحده وتمشي المعاور وحدها ، لا يقتربان ولا يتكلمان .

قالت البنت الفرنساوية وقدفشخت بقها حتى بانت نواجذها : ولكن اليس هناك احتمال ان يتكلم غريب مع المعاور ؟

اجبتها : افرضى ان هذا حدث ، وان الغريب للمعاور همس ، فلا ضرر ولا ضرار ، مادمت لا أرى ولا اسمع ولا ادرى بما يدور ووائى في الخفاء . فالعيب في بلاد الحمير ليس العمل السيىء او الفعل الشائن ، ولكن العيب هو ان يعرف أو يذاع او يشاع بين العالمين . في بلادكم ايتها الخواجاية تصنعون كل شيء واى شيء على البهلي وعلى عينك يا تاجر ، واذا اعتقدتم بان هذا الشيء عيب ، فإنكم لا تفعلونه ، واذا اقتنعتم بالشيء ولو كان عيبا ارتكبتموه ولو في ميدان علم ، وأما عندنا فنحن نصنع كل شيء في الخفاء فإذا

قالت البنت مندهشة : اذن لا جناح على من يزور المعاور في خفية من العيون ، ولا عتاب على المعاور اذا مالت هنا او هنك في السر وبعيدا عن النور .

قلت للبنت الخواجايا : الله يحب الستر ، ومن ستر بني آدم ستره الله يوم القيامة .

قالت : افرض انني رضيت بشروطك وقبلت الحياة بقيودك ، ثم اشتقت اليك وقت جلوسك مع العمد والاعيان ، فكيف اراسلك ؟ واين القاك ؟

قلت : هذا العمل مكروه ، ومن يوافق عليه معتوه ، وانت في عالم وانا في عالم ، فإذا التقينا كل ذلك في الحرملك في وقت معلوم . اما اى اتصال غير ذلك ، فهو سعي مذموم وفعل محموم ووقت معدوم .

قالت البنت الفرنساوية : اعرف من هذا انه في بلد الحمير لا تجتمع الاتان والذكور .

قلت : عفارم عليكي يابنت الفرطوس . لقد صرت حميرية ورب الكعبة . لقد نطقت كلمة اتان كما نطقها عمروش بن جحشان ، والاتان هي انثى الحمار ، وهذا دليل على انك على الدرب ترحفين وحذو النعل بالنعل تمشين ، اما جوابي عن سؤالك .. فلا تجتمع الاتان مع الذكور الا ساعة المناجاة ولحظة الملاغية ، فنحن في الحقيقة لا نعيش في مجتمع ولكننا نعيش في منفصل . كل جنس يعيش وحده . كالسجون .. عنبر للرجال وعنبر للحريم ، التطلع من بعيد مباح ، والبصبصة من الشبابيك تجوز ، وتبادل الرسائل عبر النبتشية ماشي ، ولكن الاختلاط ممنوع ، والاجتماع حرام ، حسب فتوى الشيخ تمبك ابن زربون ، ولذلك كل نكتنا في العصر الحميرى جنسية ، وكل تفكيرنا في غرف النوم ، وكل اعشابنا مقويات ، واكثر الكتب رواجا في بلادنا هو اعادة الشيخ الى صباه ، واغلب اغانينا تأوهات وشهقات وحركات لا تليق الا خلف الابواب المغلقة ، والستائر المسدلة .

وفي بلادنا يعشق الحمير صنف المرأة الاوروبية لانها شخصية ، وفي مجلس الرجال تتكلم ، اذا دخلت مجتمعا انحنت الشنبات والصلعات ، واذا ارادت الجلوس قدموا لها الكراسي وعليها الشلتات ، واذا وضعت السيجارة بين شفتيها تقدموا اليها بالكبريت والولاعات ، وتراقص الف

والصلعات ، واذا ارادت الجلوس قدموا لها الكراسى وعليها الشلتات ، واذا وضعت السيجارة بين شفتيها تقدموا اليها بالكبريت والولاعات ، وتراقص الف رجل ولا كلمة انتقاد واحدة ، وتقبل كل رجل يصافحها ولا كلمة عتاب واحدة من بعلها ، وتخرج وقت ان تشاء وتعود وقت ان تشاء وتقابل فى البيت وحدها من تشاء ، وترتدى المايوه قطعتين واحيانا قطعة واحدة واحيانا نصف قطعة ، واحيانا تنزل البحر زلط ملط ، ولكن لا احد ينظر ولا احد يبحلق ولا احد يهتم .

ولكن فى بلاد الحمير اذا سارت فى الطريق اتان مقشفة ، طاردها اكثر من حمار ، وغازلها اكثر من جحش ، ولقبوها بالباشا ، ووصفوها بالقمر ، وتعقبوها حتى يحول بينهم وبينها عسكرى الدورية او بوليس النجدة او ولاد حتتها ، وتصبح عركة ولا عركة ابو زيد الهلالى ، وهوجة ولا هوجة عرابى ، وحرب ولا حرب البسوس .

ويجلس المستوظف عندنا فى مكتبة وفكره شارد فى امراة رآها ذات مرة تنشر الغسيل فى البلكونة ، واغلب الروميوهات تبعنا يؤلفون الشعر فى جوليت شاهدوها مرة واحدة فى اتوبيس نمره سبعة . اما نسوان الحمير فحدثنى عنهن ولا حرج ، الحمارة منهن تحب ابن الجيران ممنوع تتزوج من تحب .. لا والف لا . وتجلس فى البيت تنتظر ابن الحلال . ويأتيها ابن الحلال ، وفى اغلب الاحيان لا يعرفها ولا تعرفه . ويتزوجان وتبدا المشاكل . مشاكل من كل صنف وعلى كل لون . وفى الغالب لاينفصلان ولكنهما يعيشان مثل ناكر ونكير . بلا حب وبلا مودة ، واحيانا بلا حوار . واحيانا تقبع الحمارة فى بيت الوالد ، ولا ترى احدا ولا يراها احد ، ثم تقبل الزواج من اول طارق على الباب .. وغالبا ما يكون فى سن جدها . ولكنها تتشبث به كما يتشبث الغريق بالقشة . ولكن بعد عام او عامين تصبح الحمارة ارملة ، وتقضى بقية العمر تنتقل من فراش الى فراش ، احيانا تحت يفطة الزواج واحيانا بدون !

قالت البنت الفرنساوية : ومالى انا والتاريخ الاسود لصنف الحمير والحميرات ؟

قلت لها : مادمت اصبحت حميرية ، فلابد من الاحاطة بالتاريخ

الحميرى كله ، حتى تهمدى وتنخمدى وتسكتى وتنكتمى ، والا ..
فليس لدى الا البرطوشة وعلى نافوخ حضرتك .

قالت غاضبة : تضربنى بالبرطوشة ؟

قلت : وما هو اقل من ذلك لو توفرت . ولمعلوماتك ياخواجاية ضرب الزوج لزوجته مشروع ، وهو وسيلة من وسائل التاديب والتهذيب ، والمحاكم تقره وتوافق عليه ، باعتبار ان الادب فضلوه على العلم ، ولانه لا يضر صنف النسوان ، وكما اكد الفيلسوف عمر الجيزاوى .. اكسر للبنت ضلع يطلعلها اربعة وعشرين .

قالت البنت الخواجاية : الى هذا الحد تحتقرون صنف الحريم ؟

قلت للخواجاية : المسالة لا علاقة لها بالاحترام والاحتقار ، المسالة ياخواجاية ان بعض الحمير فى منطقتنا يعيشون فى القرن الخامس ، اما الحمير المتطورون فيشعون فى القرن الثامن ، وفى بلاد الحمير المتاخرين ، يعتبر وجه البنت عورة ، وكعب رجلها عورة ، وهى لا ترى زوجها الا بعد حفلة الزفاف وفى غرفة النوم . اما قيادة السيارة بالنسبة للبنت فهى حرام ، ومصير كل سواقة الى النار ، ولان صوتها عورة فهى تنكتم لا تتكلم مع احد ، وان كلمها احد لا ترد عليه ، وحتى فى الجامعة لا تتلقى العلم من استاذ . ولكنها تتلقى العلم من جهاز تلفزيون . وحتى سائق السيارة يكلمها من قفاه ، وهى لا ترد عليه بالكلام ولكن بالاشارة . مع انه زمان كان يوجد لدينا امراة فى تاريخ الحمير اسمها زرقاء اليمامة ، حمت اهلها وقومها من شرور الاعداء ، حمت حدودها من الغزو .

زرقاء اليمامة هذه تحولت فى هذا العصر الى خرساء اليمامة ، يحدث فى بلاد الحمير المتطورة ؟ يحدث ما هو العن وما هو اسخم ، بالرغم من اننا نعيش فى القرن الثامن ، الا ان البنت عندنا تتعرى مثل البنت التى تعيش فى القرن العشرين ، ولكن دون تجربة ودون عقل . اذا مشت تقصعت كالزمبلك ، واذا وقفت اهتزت كالغصن العيان ، واذا كلمتها اشلحت ، واذا غازلتها نظرت اليك باشمئزاز وقالت ياسم ، واذا تزوجت تريد ان تسيطر ، وهى لا تحب ولكنها تريد ان تمتلك . وفى بلاد القرن العشرين ، اذا مارامت المراة الغرام مع من تحب ، شكرت وحمدت فضل بعلها .

وعندنا يتمنعن وهن الراغبات ، ويعرضن وهن المقبلات ، ويعذبن وهن المعذبات مشكلات ولخبطات ولعبكات ، وربك عالم بالحاجات والمحتجات .

قالت البنت الفرنساوية وقد سرحت وهجعت : وماذا بعد ؟

قلت : لا شيء تنتظرين في حمى سى السيد حتى السلام ، وحسك عينك شباك لا تفتحي ، غريب لا تكلمي . باب لا تخرجي ، خضار لا تشتري ، لحمة لا تقطعي ، طلباتك مجابة وحاجتك واصلة لحد عندك ، ومهمتك الوحيدة انتظار سى السيد حتى يعود اخر الليل بعد القعدة مع الصحاب والاحباب ، وفي الصيف ساجلب لك البطيخ الشليان والعنب البناتي ، والمشمش اللى الهوى هزك يامشمس ، وفي الشتاء ساحمل معي عند العودة ورقة اللحمة وكيس الطرشي البلدى والبرتقال ابو سرة وبرطمان المفتقة لزوم الهلاضيم والتختخة . ولو استمرت الاحوال ، ستصبحين كالمحمل .. وهز ياوز ، ويا ارض احفظى ما عليكي وتصبحين مثل رفيعه هانم والعبد لله مثل السبع افندى ، وسيصيبك السكر وضغط الدم والنقرس ، لكن كل داء وله دواء ، وكل الامراض دواؤها موجود عند الست عزيزة العمشة ، حيث العمل جاهز ويمكن ربطه في ذيل قرموط او دفنه في تربة ميت .

قالت البنت صارخة : تربة ميت ؟ وعمل ؟ اى عمل هذا وانا لا عمل لى الا دراسة السلالات ومعرفة اصل الاجناس . وتخصصي في العصر الحميرى بالذات .

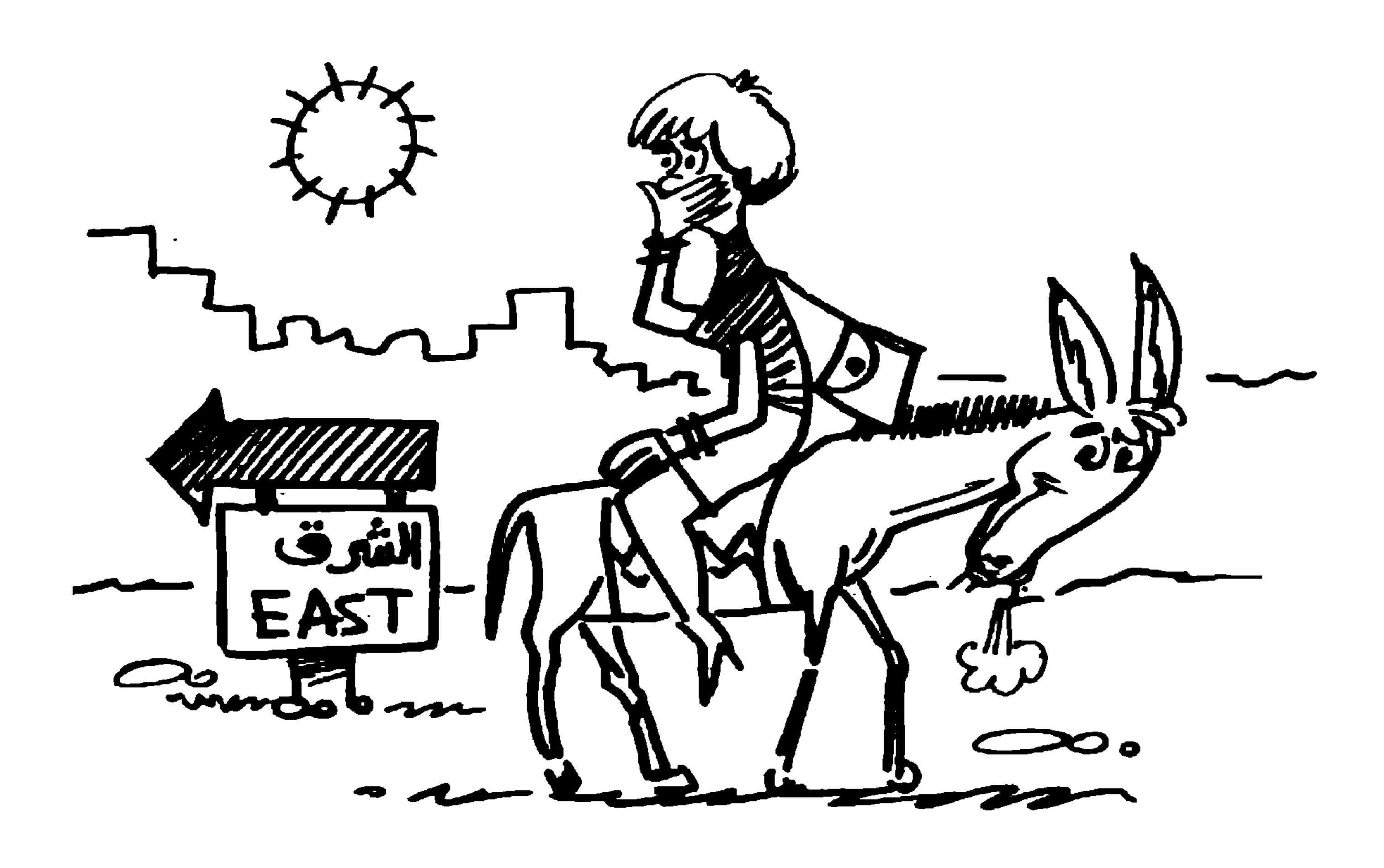
قلت : ما حكيته لك الآن هو سر العصر الحميرى ولغزه ومفتاحه وسحره ورونقه وعزه ، ومادمت اصبحت الآن حميرية ، فعليك الغوص في العصر الحميرى حتى القاع .

قالت : من اجل العلم كل شيء يهون ، وكل امر مطاع .

قلت : اتفقنا .. تعالى الان الى الفراش ، وغدا يوم اخر !

فبراير ١٩٩١

● ● ●



... أولاد كاليـــونى !

قالت البنت الفرنسلوية وقد نفخها الغيظ فصارت كالبطيخة الصيفي : حجتك سقطت ايها الحملر ، وعاصفة الصحراء انتهت . وعمك بوش أعلن امام العالم كله اندحار العدوان وانتهاء الحرب ، ونستطيع الآن ان نذهب الى العصر الحميرى نتمشى ونتمشكح ، نتجول ونتحول ، نبشر وننكش ، وبالتأكيد سنصل الى جذور العصر الحميرى ، وسنعرف اصوله وفصوله ، وسأصير عالمة يشار اليها بالبنان ، وساحصل على الدكتوراه والبيلى باه ، وستدخل التاريخ معي رغم انفك ، باعتبارك الحملر الذى ركبته وطفت به العصر الحميرى من ادناه الى اقصاه .

قلت : نقبك على شونة ايتها البنت الفرنسلوية ، فزيارة العصر الحميرى قبل الحرب كانت صعبة ، وبعد الحرب اصبحت مستحيلة .

قالت البنت الفرنسلوية وقد ارعشت حاجبها : ها انت تحاول خداعي مرة اخرى ، ولكنى لن اسمح لك ، فالحرب انتهت والمدافع سكتت ، والسفر الى هناك سيكون متعة مشروعة ، وستكون زيارة وتجارة سياحة وصياعة اذا اردت ان تاتى معى كلن بها ، واذا رفضت ، او تماحكت ، او تملعنت ، ففى ستين داهية حضرتك ، واستطيع الاستعانة باى حمار من الذين تعرفت عليهم من خلالك ، ولا تنس اننى تعرفت على مائة حمار من اقاربك ومعارفك وكلهم فى الحمورية اكثر منك باعا واطول منك ذراعا .

قلت لها : حذار ايتها الفرنسلوية ان تفكرى فى مثل هذا الامر . اذا اردت الذهاب الى العصر الحميرى ، فاذهبى وحدك وطوفى وحدك ، اما اذا حاولت الاتصال باحد من اقربائى او احد اصدقائى فقسما عظما لابد ان اكون بمطوة قرن غزال قاتلك : ومن شعرك على الارض اجرجرك ، حتى اغسل عارى ، وانقذ الشرف الحمارى . فنحن يابنت المديوبة ابناء العصر الحميرى الاصلاء الذين انحدروا من اصلاب حمير حصلوية وحمير مصرية وحمير يمانية ، نحظر تماما اتصال زوجة حمار بحمير آخرين .

قالت البنت الفرنسلوية وقد مطت شفايفها ودكت الارض بكعبيها : عندما ابد الاتصال بالحمير الاخرين لن اكون زوجتك ، سأكون قد حصلت على الطلاق ، وسيكون من حقى ان اتصل بمن اشاء وفى الوقت الذى اريد .

قلت للبنت الفرنسلوية وانا اكتم الغيظ فى قلبى : اسهل لك الصعود الى الفضاء بدون صاروخ من الحصول على ورقة الطلاق وعليك الآن ان تنصتى وتفهمى .

قالت البنت الفرنسلوية وهى تشيح بوجهها : انصت لايه وافهم ماذا ، انك لا تقول شيئا يستحق الانصات ، ومن ينصت لك لا يفهم شيئا .

قلت لها : اسمعى يا بنت الناس ، فلنفترق فى هدوء كما التقينا .

قالت البنت : عظيم ، هذا اول كلام تقوله له معنى .

قلت لها : وبغض النظر عن سلاطة لسانك وسوء ملافظك ، فانا اريد ان اؤكد لك ان دخول العصر الحميرى الان صار مستحيلا ،

صحيح ان الحرب انتهت ، ولكن الفتنة ازدادت والعصر الحميرى انقسم بعد الحرب الى قسمين ، قسم ينتمى الى عائلة ام المعارك ، وهؤلاء هم الاشلوس والنشامى والصناديد .. والجزء الثانى ينتسب الى عاصفة الصحراء .. وبين القسمين بحور وجبال وهضاب وتلال . وانت يابنت المديوبة فرنسلوية وخواجاية وجنسك من المشاركين فى عاصفة الصحراء .

قطعت البنت الفرنسلوية حديثى وقالت فى استعلاء : هذا يسهل الامر ، فانتسابى لعاصفة الصحراء يجعلنى موضع الترحيب والتكريم فى نصف العصر الحميرى ، ويجعلنى آخر مهابة واحتراما فى النصف الثانى .

قلت للفرنسلوية : هذا تحليل خاطىء سيؤدى فى النهاية الى قرافة سانت تريزا . اذا وقعت فى ايدى الاشلوس والنشامى فسيمزقون جسمك اربا اربا . وسيدقون عظامك قطعة قطعة . وسيشربون دمك نقطة نقطة ، لأن هزيمة الاشلوس فى أم المعارك ستجعلهم يحاولون تحقيق النصر فى اخت المعارك أو بنت المعارك او بنت خالة الست ام المعارك وسيعتبرون هزيمتك هزيمة للامبريالية والكمبرادورية والشواشى العليا للبرجوازية وسيؤلفون الاغانى ابتهاجا بالانتصار على حضرتك وستغنى ام الاذاعات .. الفرنسلوية جاتلنا والنصر اتحقق لنا .. وسيعقد الفريق البشير مؤتمرا صحفيا فى الخرطوم يهنىء فيه الاشلوس على النصر فى اخت المعارك ، وستهدد موريتانيا بضرب باريس بالصواريخ اذا عاودت ارسال فرنسلوية اخرى الى ارض النشامى .

قالت البنت الفرنسلوية : اطمئن لن اذهب فى جولتى فى العصر الحميرى الى القسم الخاضع للاشلوس والنشامى ، ساكتفى بزيارة القسم الاخر الذى ينتمى الى عاصفة الصحراء .

قلت للبنت الفرنسلوية : ان زيارتك للقسم الاخر لن تؤدى الى اى خير ، وقد تلقين مصيرا ابشع من المصير الذى تتعرضين له فى القسم التابع لأم المعارك .

قالت البنت الفرنسلوية : هذا كلام مضحك ، فكيف يكون مصيرى بشعا عند حمير عاصفة الصحراء تماما كمصيرى عند حمير أم المعارك ؟

قلت : ايتها البنت الفرنسلوية هذا شيء طبيعي ويتفق مع طبائع وسلوك الناس ، سيتصور البعض منهم انك حضرت للمن عليهم بعد معروفك الكبير ، وسيتصور كل منهم عندما تخاطبيينه انك تشمخين عليهم بانفك ، فاذا لثغت لهم لثغلتك الفرنسية .. قالوا تكلمنا من طرطوفة لسانها ، واذا ضحكت لهم ، قالوا تسخر منا لضعفنا وهواننا على الناس .. اذا سالتهم اى شيء قالوا جاءت تقبض المعلوم نظير وقوفها الى جانبنا ساعة الشدة .

قالت البنت وهي تشخط وتنطر : الى هذا الحد انتم معقدون ؟

قلت : معقدون .. هذه كلمة بسيطة ، فنحن في الحقيقة لا نعانى من عقد نفسية كبقية خلق الله ، ولكننا نعانى من غدد نفسية . ولدينا قصة في تاريخنا مضحكة للغاية ، اذ يحكى ان الخليفة نزل النهر للسباحة فادركه التعب فكاد يغرق ويجرفه التيار ، ولما كان الخليفة وحده ، فقد صرخ طالبا النجدة من الاشلوس اولاد الحلال ، وهرع لنجدته فلاح طيب كان موجودا في ارضه المحاذية لشاطيء النهر ، خلع الرجل الشهم هدومه وقفز الى النهر واستطاع انقاذ الخليفة وجره الى البر . ووقف الخليفة على البر عريانا بلبوصا يرتعش من شدة البرد ويبكي من شدة الخوف . وراح الفلاح البائس الغلبان يواسيه ويطيب خاطره ، وعندما حدق في وجهه اكتشف انه الخليفة . فقال له : انت الخليفة ؟ حمد لله على سلامتك يامولاى .

قال الخليفة للفلاح : نعم انا الخليفة واشكرك بشدة . وساصلك بجائزة تعينك على الشيخوخة وتقيك غدر الزمان ، فقط انتظر حتى ارتدى هدومي واصلح من شانى واضع عمامة الملك على راسى ، ثم ادبر لك امرك مما يجعلك آخر امان وطمان . فلماارتدى الخليفة هدومه ووضع عمامة الحكم على جبينه استل سيفه وقطع رقبة الفلاح الغلبان الذى انقذه من الغرق ونجاه من الموت .

قالت : هذه قصة غريبة وهذا الخليفة مجنون بدون شك وهذا الفلاح سيىء الحظ .

قلت : هذا هو التفسير الفرنسى للتاريخ . اما التفسير الحميرى وهو الاصدق . فيقول : ان كل الحمير يسلكون سلوك الخليفة ، ويا ويل من يراهم في موقف ضعف او يضبطهم في وضع ذليل او مهين .

سيضربونه بالاحذى (جمع حذاء) حتي ولو كان قد عرض نفسه للموت من اجلهم ، او باع عياله لاكرامهم ، فالأشاوس يكرهون ان يراهم احد في حالة بعيدة عن الأشوسة . فهم يحبون الظهور دائما متاشوسين ومتنشمين بينما العالم كله ركش . ولذلك فوضع طبيعي ان يلقي كل من علون أو ساعد او ساهم في نصرة الحمير المستضعفين ، طبيعي جدا ان يلقي الاهانة اذا ما ذهب في زيارة أو في جولة او في رحلة الى بلاد الاخوة الذين كانوا اشاوس ثم هجم عليهم حمير اخرون اكثر اشوسة ، انها مسألة معقدة صحيح ، ولكن هذا هو سلو اهل العصر الحميرى ، ومهما حاولنا افهامك حقيقة احوالنا فإنك لم تفهمي ، لأنك لكي تفهمي لابد ان تكوني حمارة من صلب حمير .

قالت البنت الفرنساوية متحدية : وعلى فرض انهم سيقتلونني ويمزقونني ويشربون من دمي ، فهل سيحدث ذلك في اول يوم من زيارتي للعصر الحميرى ؟

ولم تنتظر البنت جوابا ولكنها اجابت بنفسها قائلة : اذا حدث لي ما تحذرني منه فسيكون ذلك بعد شهر من زيارتي ، وربما بعد شهرين وربما بعد اسبوعين ، وسيكون هذا وقتا كافيا ادون فيه ملاحظاتي ومشاهداتي وتحليلاتي . وهذا الذى سادونه سيفتح الطريق امام العلماء والباحثين لفهم العصر الحميرى والغوص في اعماقه ، وحتي لو مت بعد ذلك فسأدخل التاريخ من اوسع ابوابه ، ولن يذكر العصر الحميرى الا ويذكروني قبله ، ولن يكون للعصر الحميرى اى ذكر الا اذا جاء ذكرى معه .

قلت للبنت الفرنساوية : خيبتك يا خواجاية انك تحسبين الامور بمقياس عصرك ، ولكن الأمور في العصر الحميرى تجرى بلا مقياس . خيبتنا الحقيقية في العصر الحميرى اننا بلا مقياس ، وبلا حدود وبلا ضابط وبلا رابط ندخل معركة لا نطلق فيها اى طلقة ونسميها ام المعارك ، ندوخ دوخة الأرملة ثم نعلن اننا كنا على موعد مع القدر ، ترتفع الأسعار كل يوم في بلادنا لتصل الى أرقام فلكية ثم نعلن اننا دخلنا في عام الرخاء ، نأكل ضربا لا يأكله حرامي في مولد ونصدر عملة عليها علامة الانتصار ، تقوم مظاهرة في مدينة صغيرة فنضربها بمدافع الميدان ثم نتهم المشتركين فيها

بالخيانة ونؤكد ان كل فرد في المظاهرة حصل على عدة ملايين من الدولارات ، مع ان اغلب المشتركين في المظاهرة ينامون من غير عشاء ، واغلبهم كان يهرش في جسده اثناء المظاهرة من وخز الدمامل وتقيح الجروح ، واى معارض لنا نتهمه بالخيانة وكل من يخالفنا الراى جاسوس ، وكل من ليس معنا فهو ضدنا ، وليس في الدنيا اصوب من احكامنا ولا احكم من قراراتنا ولا اشرف من أخلاقنا ولا اطهر من ارومتنا ، وصنفنا خلق للريادة والسيادة ، ونحنا للضيف وحنا للسيف . وشاعرنا هو الذى قال

اذا الملك الجبار صعر خده
مشينا اليه بالسيوف معاتبينا
ونشرب ان وردنا الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدرا وطينا !

كلام وطق حنك ودردشة ورغي عمال على بطال ، لا احد يستطيع ان يعرف جدنا من هزلنا ، فنحن نجد في ساعة الهزل ، ونهزل في ساعة الجد . مأساتنا اعمق من مأساة ابناء كاليوني ، وهي المأساة التي حددها كاليوني نفسه حين قال .. مأساة اولادى انهم يتكلمون حين يجب ان ينصتوا ، وينصتون حين يجب ان يتكلموا ، مأساتنا اعمق من ماساه اولاد كاليوني ، لأن الحمير تبعنا يحاربون حين يجب ان يتفاوضوا ، ويتفاوضون حين يجب ان يقاتلوا . انها سمة حياتنا وعلامة على جنسنا ، نحكم بالحديد والنار ونصدر المجلدات في فوائد الديموقراطية ، ننشىء مجالس نيابية ونمنع اعضاءها من الكلام او المناقشة ، فان تكلموا او تناقشوا ، قدمناهم لمحكمة العيب او مجلس قيادة الثورة او اللجنة الشعبية . فالأسماء عندنا لا تعني شيئا ، وابلغ دليل على عبقريتنا ان لدينا مؤسسات متشابهة واسماء مختلفة وعندنا في العصر الحميرى نظام واحد وشعارات مختلفة ، ويتصور الخواجات امثالكم ان لدينا في العصر الحميرى نظما تقدمية ونظما رجعية ، مع انه لا يوجد على وجه الأرض ما هو اسوأ من النظم الرجعية في بلادنا الا النظم التقدمية ، ولذلك اذا ذهبت وحدك ياخواجاية الى العصر الحميرى فلن تفهمي شيئا ولن تخرجي بشيء . ولن تذهبي الى هناك مع أحد اقربائي او احد اصدقائي .

لأنني اقسمت بسيدي الطرطوشي انك لو فعلت ذلك لاقتلك واشرب من دمك ، لا مناص الا بالذهاب معي ، وستذهبين معي بإذن الله ورغم انفك ، وسنطوف بالعصر الحميري ، كما نشاء وفي الوقت الذي نريده ، ولكن سنختار الوقت المناسب عندما تهدأ الأمور وتطيب النفوس ويضيع الاثر السيىء الذي تركته عاصفة الصحراء في حربهامع ام المعارك .

قالت البنت الفرنساوية وقد بدأت تنصت وتفهم ايضا : ومتى يكون ذلك يا حماري العزيز ؟

قلت في الجزء الثاني بإذن ربي . واعدك يا خواجاية بان نتجول في العصر الحميري كعابي وعلى مهلنا وبراحتنا ، ومن طنجة الى صنعاء .

قالت البنت الخواجاية وقد بدا عليها الاقتناع : آه ياحماري العزيز .. غلبت ولم يغلب حماري ، وساصبر وانتظر ، وارجو ان يصل العصر الحميري قريبا الى حالته الطبيعية ، لكي نتمكن من التجوال معا .. من طنجة الى الشارقة ، ومن عطبرة الى القنطرة ومن الكوفة الى الشلوفة ومن تونس الى خلن يونس ومن اليمامة الى وادي سلامة ، لنشاهد كل شبر في العصر الحميري ، ونلمس كل حجر في العصر الحميري ونتكلم مع اكبر عدد من الحمير من ابناء العصر الحميري هذا وعد علي ومكتوب ايضا .. وبإذن واحد احد سنجوب العصر الحميري معا في يوم في شهر في سنة .. قولي ان شاء الله .. قوليها ولو بالفرنساوي .. فالسماء مفتوحة تقبل كل الدعوات بكل اللغات !

والى اللقاء في الجزء الثاني بإذن واحد احد ..

مارس ١٩٩١

● ● ●

■ المحتويات ■

رقم الايداع بدار الكتب ٤٧٧٧ / ١٩٩١

الترقيم الدولى ISBN 977 - 08 - 0133 - X



■ هذا الكتاب ■



« قالت البنت العصفورة الكركورة الفرنساوية : أعتقد أنك تبالغ يا حمارى العزيز .

قلت : بالعكس ، بل أنا متواضع ، والحقيقة أسوأ من هذا بكثير . فمثلا نحن نعيش فى رقعة واحدة ، ونتكلم لغة واحدة ونعبد إلهاً واحدا ، ومع ذلك فكل عشرة أمتار نحتاج إلى تأشيرة دخول ، وتغيير عملة ، وإقامة من دوائر الشرطة وأحيانا نحتاج إلى كفيل » ..

● ● ●

هكذا يمضى الحوار بين محمود السعدنى ، حمار من الشرق ، المنتمى إلى العصر الحميرى ، بينما تحاول البنت السنيورة الفرنساوية إقناعه بأنه رغم هذا الانتماء الحميرى ، فإن له قيمة فى تاريخ الانسانية .

● وهكذا يقدم الساخر العظيم محمود السعدنى أعنف هجائية ساخرة لأوضاعنا فى العالم العربى المعاصر .

انه كتاب فريد ، وثيقة أدبية تضاف إلى فن السخرية والهجاء العربى .. كتبها فيلسوف أديب وشاعر وحكواتى ومتكلم عظيم ..

انه كتاب يضحكك إلى حد البكاء !

جمال الغيطانى

١٥٠ قرشا

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم


روائع مجلة
الابتسامة
من الكتب
المعالجة
والصفحات الفردية